نفحات الهدى والإيمان

من مجالس القرآن

مجالس شهر رمضان لسنة ١٤٣٠هـ

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

ربيع بن هادي عمير المدخلي

رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية - سابقاً

الميراث النبوي

للنشر والتوزيع

مصورات
أبي عبدالرحمن السلفي

نفحات الهدى والإيمان

من مجالس القرآن

جميع الحقوق محفوظة
لدار
الميراث النبوي للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى
١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

العلم ميراث النبي كذا أتى في النص والعلماء هم وراثه
ما خلَّف المختار غير حديثه فينا فذاك متاعه وأثاثه

رقم الإيداع القانوني: 2011-5512
ردمك: 978-9947-987-56-8

الميراث النبوي للنشر والتوزيع

الدار البيضاء - الجزائر العاصمة
الإدارة: 554250098 (00213) المبيعات: 661409999 (00213)
الفاكس: 21966847 (00213)
البريد الإلكتروني:Dar.mirath@gmail.com

التوزيع في مصر : دار المستقبل
50 - شارع منشية التحرير - جسر السويس/ عين شمس - الشرقية
ت: 00201118328377

الجزائر - دار المحسن
الجزائر - المحمدية / الصنوبر البحري
محمول:0773749117 - 00213558856170

نفحات الهدى والإيمان

من مجالس القرآن

مجالس شهر رمضان لسنة ١٤٣٠هـ

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

ربيع بن هادي عمير المدخلي

رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية

بالمدينة النبوية - سابقاً

الميراث النبوي للنشر والتوزيع

الإذن الخطي من المؤلف حفظه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم أما بعد:

فقد أذنت لدار الميراث النبوي للنشر والتوزيع لصاحبها أبي معاذ سيدعلي لخضر بن عمر سحالي إذنا حصريا بطباعة الكتب التالية وتوزيعها عالميا :

نفحات الهدىٰ والإيمان من مجالس القرآن

المجموع الرائق من الوصايا والزهديات والرقائق .

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

كتبه

ربيع بن هادي المدخلي

١٤٢٢/٢/٦هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الناشر

الحمد لله الذي أنزل الفرقان علىٰ عبده ليكون للعالمين نذيرًا، والصلاة والسلام علىٰ رسوله محمد المؤتم بكتاب ربه جملة وتفصيلًا، وعلىٰ آله وصحبه الذين نهجوا سبيله ولم يبدلوا تبديلًا، وعلىٰ التابعين المقتفين أثرهم ما استطاعوا إلىٰ ذلك سبيلًا.

أما بعد:

يقول الحق -جل وعلا- ممتنًا علىٰ خلقه بما أنزل إليهم من القرآن العظيم علىٰ رسوله الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:٥٧].

وأخبرهم بكثرة خيره وعظيم بركته، ثم أعلمهم بالسبيل الموصل إلىٰ فهمه والوقوف علىٰ معانيه والانتفاع بمواعظه وزواجره، والاستغناء به عمَّا سواه، فحثهم علىٰ تلاوته، وندبهم إلىٰ تدبره، فقال ﷻ آمرًا نبيه ﷺ وهو أسوة أمته: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [العنكبوت:٤٥]، وقال سبحانه: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص:٢٩].

فكان نبينا -عليه الصلاة والسلام- أوَّل العاملين بأمر الله تلاوة وتدبرًا وتعلُّمًا وتفقهًا وتبليغًا وتعليمًا، وحثًّا علىٰ تلاوته وتعلُمه وتعليمه، حتىٰ كان الواحد من أصحابه -رضوان الله عليهم أجمعين- إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزها حتىٰ يعلم ما فيها من العلم والعمل، ثم تلاهم من بعدهم من التابعين فأخذوا بطريقتهم واتبعوا آثارهم، فصاروا قراء فقهاء، وعلماء عاملين، وأئمة مهتدين، ولا يزال علىٰ هذه السبيل طائفة من هذه الأمة أهل عناية بالقرآن بقراءته وتعلمه وتدبره والتفقه فيه، ومعرفة حلاله وحرامه، والوقوف عند حدوده، والتأدب بآدابه، وإقراء وتعليمًا وشرحًا وتفسيرًا.

ولا يخفىٰ ما تركه سلفنا الصالح من مؤلفات حول القرآن؛ هذا يؤلف في حروف القرآن وقراءاته، وهذا في بيان ألفاظه ومعانيه، وهذا في ذكر فضائله، وغيرها من العلوم الشرعية، لم يخل قرن من القرون من العناية بهذا الكتاب العظيم، وهذا مصداقًا لوعد الله ﷻ بحفظه في قوله ﷻ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر:٩].

ولما كان شهر رمضان هو شهر القرآن؛ وذلك بإنزال الله ﷻ القرآن فيه، كان أولىٰ ما يهتم به المؤمن في هذا الشهر هو تلاوة القرآن ومدارسته؛ كما هو مأثور عن نبينا -عليه الصلاة والسلام- ومنقول عن السلف والأئمة الأعلام، وذلك دأب أهل العلم والأثر والصالحين من عباد الله علىٰ مر الزمان.

ولقد كان لشيخنا الشيخ ربيع بن هادي المدخلي -حفظه الله- نصيب من العمل بهذه السنة؛ ففي شهر رمضان من سنة ١٤٣٠، وفي بيته الذي يؤمه أهل العلم وطلبته من شتىٰ أنحاء الأرض، كان -حفظه الله- يأمر قارئًا يتلو

ما تيسر من القرآن جزءًا أو نحوه، ثم يعقب الشيخ -حفظه الله- بذكر مجمل ما اشتملت عليه السورة من مقاصد؛ عقائد، وأحكام، وآداب، ووعد ووعيد، وعبر وعظات، وقد يفرد الكلام حول آية أو أكثر شارحًا ألفاظها، ومبينًا معانيها، وذاكرًا شيئًا من الأحكام والفوائد، ويستطرد -بحسب المناسبة- إلىٰ ذكر بعض المخالفات في العقائد والمناهج والأعمال والأخلاق، محذرًا، ومرشدًا، وموجهًا، وناصحًا.

فجاءت هذه المجالس في ثمانية وعشرين مجلسًا، كادت أن تستوعب القرآن كله؛ إذ ابتدئت بسورة البقرة وانتهت بسورة القيامة، ومن فضل الله تعالىٰ وتوفيقه أن حفظت تلك المجالس في أشرطة مسجلة، فقامت دار الميراث النبوي للنشر والتوزيع بالجزائر بتفريغها وتعديل بعض العبارات مما يحتاج إلىٰ تعديل، وتخريج ما وقع فيها من أحاديث وآثار إلىٰ مصادرها ثم عرضها علىٰ الشيخ -حفظه الله- للنظر فيها، ثم صفها في كتاب واحد مرتبة علىٰ المجالس بعنوان:

«نفحات الهدى والإيمان من مجالس القرآن»

وننبه إلىٰ أن هذه المجالس المجموعة هي جزء من عمل ضخم يشمل جميع مجالس الشيخ -حفظه الله- ومحاضراته، سميناه: «**التقييد البديع لمجالس ومحاضرات الشيخ ربيع**».

نسأل الله الإعانة علىٰ إتمامه علىٰ أحسن وجه، كما نسأله سبحانه أن

ينفع بهذا المجموع المبارك، وأن يكتب الأجر والمثوبة للشيخ -حفظه الله- ولكل من شارك في جمعه وإخراجه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الناشر

المجلس الأول
سورة البقرة: من الآية (١٤٢) إلى الآية (٢٥٢)

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبه، ومن اتبع هداه.

أما بعد:

اشتمال سورة البقرة على أصول الإيمان والأحكام:

فهذه السُّورة، سورة عظيمة، اشتملت علىٰ أحكام وعلىٰ عقائد، وأوامر ونواهٍ، وتشريعات، وتحليل الحرام وتحريم الحلال، وشروط الطلاق وما يتعلَّق به، والحج قبل ذلك، والجهاد، فهذه أمور كالعقائد والإيمان: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾.

فذكر أعمال القلوب من الإيمان، وذكر العقائد، وذكر أعمال الجوارح،

وأن الإيمان قول وعمل واعتقاد، قال -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾.

هذا أساس أصول الإيمان كلِّها؛ الإيمان بالله وتوحيده وإخلاص العبادة له، والإيمان به وبأسمائه وبصفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وعبادته بما شرع سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، واجتناب الشِّرك الذي يضاد هذا الإيمان ويضاد هذا التَّوحيد بالله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، فلابد من الإيمان بالله -الإيمان في هذه المجالات التي تطرَّقت إليها- الإيمان بالله؛ بوجوده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وبأسمائه وبصفاته، وأنه سميع بصير، وعليم قدير، وأنَّه علىٰ العرش استوىٰ، وأنه ينزل إلىٰ السماء الدنيا... إلىٰ آخر ما ورد من صفاته في كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الإيمان باليوم الآخر وما اشتمل عليه اليوم الآخر من البعث والجزاء والصراط والجنة والنَّار ما أعدَّ الله في جنَّة النعيم من جنات وأنهار، كما ذكر الله ذلك في آيات كثيرة، والإيمان بالنار -والعياذ بالله-، وما فيها من العذاب الشديد، والنار أعدَّها الله للكافرين، ويشاركهم أهل البدع فيأخذون نصيبهم من النار بقدر ما انحرفوا عن دين الله الحق، وبقدر ما خالفوا دين الله الحق.

وقد ورد هذا في الوعيد الشديد الذي ذكر فيه رسول الله -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- أن: «**هَذِهِ الأُمَّةَ سَتَفتَرِقُ عَلَىٰ ثَلاثٍ وَسَبعِينَ مِلَّةً** -يعني: الأهواء-، **كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً**.

قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: **مَن كَانَ عَلَىٰ مَا أَنَا عَلَيهِ وَأَصحَابِي**»[1].

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الإيمان، باب افتراق الأمة، حديث برقم (٢٦٤١)، عن عبد الله ابن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال الترمذي: «حديث مفسر غريب».

الشَّاهد في الحديث: أنَّ هذه الفرق متوعَّدة بالنار لأنها خالفت منهج الله؛ خالفت في العقائد، خالفت في العبادات، خالفت في الأحكام، فتوعَّدهم الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- لأنَّهم ما تمسَّكوا بكتاب الله ولا بسنة رسول الله ﷺ، ولا امتثلوا أمر الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- في الأمر باتباع هذا الرسول، والأمر بطاعة هذا الرسول، والأمر بالاعتصام بكتاب الله وبسنة نبيه ﷺ، لم يلتزموا هذه الأمور، فخالفوا في كثير من العقائد والعبادات، وكانوا مستحقِّين العذاب الذي يتوعدهم به، ولابد أن يدخل أناس في النار، أما غير الكافر وغير المشرك فيدخل تحت مشيئة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

أصحاب الكبائر والذنوب وأهل البدع داخلون تحت مشيئة الله؛ من شاء عذَّبه لما يستحق من العذاب، وإن شاء مَنَّ عليه بعفوه وفضله فعفا عنه ولم يدخل النار، لكن الكفر والشرك فقد قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨، ١١٦].

فالشِّرك والكفر ذنبان لا يُغفران، أمَّا المعاصي والكبائر فخلافًا للخوارج ومَن جرىٰ مجراهم أن مرتكب الكبيرة كافر، وأنه في النار خالد مخلد فيها، هذا فكر الخوارج، ويقابلهم غلاة المرجئة يقولون: لا يضر مع الإيمان ذنب -قبَّحهم الله- فيسقطون الأوامر والنواهي.

فالمؤمن لابد أن يكون علىٰ الصِّراط المستقيم ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الأنعام:١٥٩].

وفُسِّرت هذه الآية ﴿ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ﴾ بأهل البدع(١)، وفُسِّرت باليهود والنصارىٰ(٢)، والآية تتناول الصِّنفين، تتناول الكفار من اليهود والنصارىٰ، وتتناول أهل البدع الذين فرَّقوا دين الله ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾ [الروم:٣١-٣٢].

وهذا واقع في هذه الأمة مع الأسف الشديد، كتاب الله واضح، آياته واضحة مضيئة منيرة «**تَرَكتُكُم عَلَىٰ البَيضَاءِ لَيلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنهَا إِلَّا هَالِكٌ**»(٣).

فعلينا أن نعتصم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ في العقائد وفي العبادات، وفي سائر الأعمال، وفي سائر الميادين التي شرعها الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- فنقوم بالأوامر ونجتنب النواهي.

---

(١) مروي عن أبي هريرة وعمر وأبي أمامة وابن عباس وأم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنهم، ويروىٰ عن مرَّة الهمداني وعطاء بن أبي رباح. تفسير سعيد بن منصور (٥/ ١٢١)، وتفسير ابن جرير (١٢/ ٢٧٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٤٢٩-١٤٣٠)، وذم الكلام للهروي (٤/ ٥١-الأنصاري)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٣٩/ ٣٢٥-٣٢٦)، والدر المنثور (٣/ ٤٠٣).

(٢) هو قول مجاهد وقتادة والسدي والضحاك والحسن، وهو مروي عن علي وابن عباس. تفسير ابن جرير (١٢/ ٢٦٩-٢٧٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٤٢٩-١٤٣٠)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣/ ١٥٨)، والدر المنثور للسيوطي (٣/ ٤٠١-٤٠٢).

(٣) أخرجه أحمد (١٧١٤٢-الرسالة)، وابن ماجه المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين (٤٣)، عن العرباض بن سارية رضي الله عنه.

﴿ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾، ذكر الإيمان بالله واليوم الآخر، هذان ركنان أساسيان من أركان الإيمان، من كفر بهما أو بأحدهما كفر بالله وخرج من ملة الإسلام، كفر بالجنة والنار كافر ملحد كالشيوعيين وكثير من المشركين، ثم قال: ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ والصلاة عمود الإسلام، وأهم أركان الإسلام بعد الشهادتين.

﴿وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ ﴾: وهي الركن الثالث من أركان الإسلام، وقد جاء جبريل إلىٰ النبي -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- «فَأَسنَدَ رُكبَتَيهِ إِلَىٰ رُكبَتَيهِ وَوَضَعَ كَفَّيهِ عَلَىٰ فَخِذَيهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَخبِرنِي عَنِ الإِسلَامِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **الإِسلَامُ أَن تَشهَدَ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ البَيتَ إِنِ استَطَعتَ إِلَيهِ سَبِيلًا.**

قَالَ: صَدَقتَ.

قَالَ: فَعَجِبنَا لَهُ يَسأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ.

قَالَ: فَأَخبِرنِي عَنِ الإِيمَانِ.

قَالَ: **أَن تُؤمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَومِ الآخِرِ، وَتُؤمِنَ بِالقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ.**

قَالَ: صَدَقتَ.

قَالَ: فَأَخبِرنِي عَنِ الإِحسَانِ.

قَالَ: **أَن تَعبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِن لَم تَكُن تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ.**

قَالَ: فَأَخبِرنِي عَنِ السَّاعَةِ.

قَالَ: **مَا المَسئولُ عَنهَا بِأَعلَمَ مِنَ السَّائِلِ.**

قَالَ: فَأَخبِرنِي عَن أَمَارَتِهَا.

قَالَ: **أَن تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَن تَرَىٰ الحُفَاةَ العُرَاةَ العَالَةَ، رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي البُنيَانِ.**

قَالَ: ثُمَّ انطَلَقَ فَلَبِثتُ مَلِيًّا.

ثُمَّ قَالَ لِي: **يَا عُمَرُ أَتَدرِي مَنِ السَّائِلُ؟** قُلتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعلَمُ.

قَالَ: **فَإِنَّهُ جِبرِيلُ أَتَاكُم يُعَلِّمُكُم دِينَكُم**»[1]. فذكر في هذا الحديث أركان الإسلام، ثم سأله عن أركان الإيمان، فقال: «**أَن تُؤمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَومِ الآخِرِ، وَتُؤمِنَ بِالقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ**».

ثم سأله عن الإحسان -وهو أعلىٰ مراتب الدين-، قال: «**أَن تَعبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ؛ فَإِن لَم تَكُن تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**». نهاية الإخلاص ونهاية مراقبة الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-؛ أنه رقيب علىٰ أعمالهم، يعلم خلجات صدورهم وإخلاصهم وصدقهم، فيخلص لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- ولا ينشغل في عبادته بأمور أخرىٰ، إنَّما يستشعر أنَّه يناجي الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- ربَّ السَّموات والأرضين، هذا مقام الإحسان مقام عظيم، وأعلىٰ مراتب الدين.

ثم سأل عن أشراط الساعة، وقال: «**مَا المَسئولُ عَنهَا بِأَعلَمَ مِنَ السَّائِلِ**».

---

(١) أخرجه مسلم كتاب: الإيمان، باب: معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة السَّاعة (١٠٢). عن عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

ثم سأل عن أماراتها فقال: «**أَن تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَن تَرَىٰ الحُفَاةَ العُرَاةَ العَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي البُنيَانِ**».

هذه من علامات السَّاعة، وعلامات الساعة كثيرة جدًّا منها ما ذُكر في هذا الحديث، ومنها خروج الدجال ونزول عيسىٰ، وخروج الدابة، وآيات كثيرة.

الشاهد: أنه علىٰ المؤمن أن يقوم بالإيمان بأركانه، وأن يقوم بأركان الإسلام.

وتطرقت هذه الآيات من سورة البقرة للإيمان بالله واليوم الآخر.

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾، الإيمان بالملائكة، والإيمان بالرسل هذه لابد منها، من كفر بشيء منها فقد كفر، خرج من دين الإسلام، خرج من ملة الأنبياء جميعا -عَلَيهِم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾. هذه من أعمال الجوارح، وتلك من أركان الإيمان: الإيمان بالله واليوم الآخر والكتاب والنبيين.

وما ذكره في حديث جبريل من أركان الإيمان التي هي توضيح لمثل هذه الآية، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وما شاكل ذلك، الذي قال فيه النبي ﷺ: «**فَإِنَّهُ جِبرِيلُ أَتَاكُم يُعَلِّمُكُم دِينَكُم**».

فهذا الحديث من جوامع الكلم، وقد أرسل الله جبريل إلىٰ محمَّد ﷺ ليبيِّن هذا الدِّين؛ حيث سمَّاه دينًا: «**جِبرِيلُ أَتَاكُم يُعَلِّمُكُم دِينَكُم**».

هذه أسس الدين وأركانه، إلىٰ جانب ذلك لابد من اجتناب المحرمات التي حرَّمها الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- من شرب الخمر، من الزنا، ومن السرقة، من سائر المعاصي؛ من كبائرها وصغائرها، «**إِذَا نَهَيتُكُم عَن شَيءٍ فَاجتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرتُكُم بِأَمرٍ فَأتُوا مِنهُ مَا استَطَعتُم**»(١).

وأناط الطَّاعة والامتثال بالطَّاقة والقدرة، لا يكلِّفك بما تعجز عنه «**صَلِّ قَائِمًا، فَإِن لَم تَستَطِع فَقَاعِدًا، فَإِن لَم تَستَطِع فَعَلَىٰ جَنبٍ**»(٢).

فإذا سافرت؛ الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- يتسامح معك، فيسقط عنك من الرباعية ركعتين، كان -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- إذا سافر يقصر الصلاة، يقصر الرباعية، أما الثلاثية -المغرب- والثنائية -الفجر- لا قصر فيهما، القصر في الرباعيات في الظهر والعصر والعشاء، كان -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- يقصر في صلاته؛ في ذهابه وإيابه، وهذه من الرخص التي شرعها الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، وعلىٰ المسلم أن يستفيد منها، كذلك؛ صلِّ قائما فإن لم تستطع فصلِّ قاعدًا، فإن لم تستطع فعلىٰ جنب داخل في قول الرسول -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «**إِذَا نَهَيتُكُم عَن شَيءٍ فَاجتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرتُكُم بِأَمرٍ فَأتُوا مِنهُ مَا استَطَعتُم**».

وقول الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري، كتاب: الاعتصام، باب: الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ (٦٨٥٨)، ومسلم، كتاب: الحج، باب: فرض الحجِّ (٣٣٢١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: تقصير الصلاة، باب: إذا لم يطق قاعدًا صلىٰ علىٰ جنب (١١١٧) عن عمران بن حصين رضي الله عنه.

وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٢٨٦].

الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- أخبر أنه لا يكلِّف نفسًا إلا وسعها، وعلَّمنا أن ندعوه بألا يُحمِّلنا ما لا طاقة لنا به، وهذا من سماحة الإسلام، أنه لا يكلِّف الإنسان إلا بما يطيقه، المؤمن عليه أن يتقي الله، وما أطاقه فعليه أن يقوم به، وما عجز عنه، فإن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- يخفف عنه ولا يكلِّفه إلا ما يطيقه.

أنت مسافر لك أن تصوم ولك أن تفطر؛ ولكن عليك القضاء، كان الرسول -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- يسافر وأصحابه في رمضان منهم الصائم ومنهم المفطر فلا ينكر الصائم علىٰ المفطر ولا المفطر علىٰ الصائم، وهذا فيه سماحة هذه الشريعة فيجب أن نشكر الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، ويجب أن نجتهد في الطاعات، وكل ما نستطيع أن نقوم به من الأقوال والأعمال، بما في ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر «**مَن رَأَىٰ مِنكُم مُنكَرًا فَليُغَيِّرهُ بِيَدِهِ؛ فَإِن لَم يَستَطِع فَبِلِسَانِهِ؛ فَإِن لَم يَستَطِع فَبِقَلبِهِ، وَذَلِكَ أَضعَفُ الإِيمَانِ**»(١).

فجعل إنكار المنكر مراتب:

المرتبة الأولىٰ: الإنكار باليد، وهذا للسلطان، وصاحب الأسرة في بيته، وصاحب المؤسسة في مؤسسته.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان كون النَّهي عن المنكر من الإيمان (١٨٦) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

المرتبة الثانية: الإنكار باللِّسان، وهذه يستطيعها كثير من الناس من رأىٰ منكرًا، سمع منكرًا، عليه أن يغير هذا المنكر بلسانه.

المرتبة الثالثة: فإذا خاف من بطش وسجون وما شاكل ذلك، فله ألا ينكر بلسانه ولا بيده؛ ولكن عليه لزومًا أن ينكر بقلبه، فمن النَّاس من يستطيع أن يغير بيده، هذا يغير بيده، من يستطيع أن يغير بلسانه، هذا عليه أن يغير بلسانه؛ لأن ذلك مما يطيقه، من لا يستطع لا هذا ولا ذاك، عليه أن يغير المنكر بقلبه، ويسقط عنه التغيير باللسان وباليد وليس وراء ذلك مثقال حبة خردل من إيمان.

الشَّاهد: أنه علينا أن نقوم بأركان الإسلام والأعمال، وأركان الإيمان والعقائد التي شرعها الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-؛ المتعلقة بالله والملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقضاء والقدر.

أسأل الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- أن يوفقنا وإياكم للنهوض بأعمال الإسلام وبعقائده وبأعماله التي شرعها، وأن يجعلنا من خير أتباع محمد ﷺ الذي أمرنا الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- بطاعته واتباعه.

ولمَّا تحدث عن الفرق الضالة وأنها في النار، قال: «**إِلَّا وَاحِدَةً**. قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: **مَن كَانَ عَلَىٰ مَا أَنَا عَلَيهِ وَأَصحَابِي**»[1]. فلنكن علىٰ ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه في عقائدنا وفي عبادتنا، وفي أعمالنا، وفي سائر شئون حياتنا.

---

(١) سبق تخريجه (ص٧).

أسأل الله أن يوفقنا للسير علىٰ صراطه المستقيم، إن ربنا سميع الدُّعاء وصلىٰ الله علىٰ نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم.

* * *

[أسئلة وأجوبة]

سؤال (١): ما معنىٰ قول الطَّحاوي: «الإيمان واحد وأهله في أصله سواء»؟

الجواب: والله أظن أن هذا له علاقة بشيء من الإرجاء، الإيمان له أصول وله فروع، والناس يتفاوتون فيه تفاوتًا شديدًا، هذا القول من الطحاوي يدور حول تعريف الإيمان بالتصديق؛ أي: الناس كلهم مشتركون فيه، هم فيه سواء، ليس هناك تفاوت في الأعمال، الإيمان عند أهل السنة قول وعمل اعتقاد يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والناس يتفاوتون فيه ويتفاضلون لكن عند مرجئة الفقهاء الإيمان قول باللسان وتصديق بالقلب.

القول هنا: «الإيمان أهله في أصله سواء». القول باللِّسان والتصديق بالقلب يشتركون فيه، لكن الإيمان أعمال كثيرة؛ أعمال الجوارح، وأعمال القلوب؛ منها الخوف، منها الرجاء، منها المحبة، منها الرغبة، منها الرهبة، ومنها التوكل، هذه كلها من الإيمان.

فأهل السنة والجماعة الإيمان عندهم قول وعمل واعتقاد يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وعند المرجئة الغلاة الكَرَّامية: الإيمان هو النطق باللسان، وعند الآخرين المعرفة فقط، إذا عرف الله يكفيه، علىٰ مذهبهم إبليس مؤمن، قال الله في فرعون وأمثاله: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل:١٤]؛ يعني: هم استيقنوا أن الله ربُّ العالمين، وأنه خالق الناس أجمعين،

وأنه ربُّ السَّموات والأرضين، يؤمنون بذلك لا يشكون في ذلك؛ لكن الكِبر حملهم علىٰ المعاندة والمكابرة والجحود.

فعلىٰ مذهب المرجئة يكون فرعون والنمرود وأمثالهم من الكفَّار -حتىٰ الذين كفروا بالربوبية- داخلين في هذا الإيمان وهم مؤمنون عندهم، وهذا ضلال مبين، واشتد عليهم أهل السنة وكفَّروهم بهذا المذهب الخبيث.

وهناك المرجئة الثانية؛ مرجئة الفقهاء، أصحاب أبي حنيفة وبعض شيوخه هؤلاء شاركوا أهل السُّنة في أنَّ الإيمان قول وعمل؛ قول باللسان واعتقاد بالقلب، والعمل عندهم ليس من الإيمان؛ لكنهم يشاركون أهل السنة في أنه لابد من العمل، وأن من لم يقم بالأعمال التي شرعها الله مُعرَّض للعقوبة.

الإيمان عند أهل السنة قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح، وقد ذكر الله ذلك في آيات كثيرة: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [الأنفال: ٢-٣].

فذكر أعمال القلوب وأعمال الجوارح، فأعمال الجوارح من الإيمان، هم ينكرونها، وبعضهم يبالغ فينكر أعمال القلوب، وبعض المرجئة من الفقهاء يعد أعمال القلوب من الإيمان؛ لكن أعمال الجوارح كالصلاة والصوم والزكاة والحج... عندهم ليست من الإيمان مع الأسف الشَّديد، لهذا أنكر عليهم السلف، بيَّنوا للناس أنَّ الإيمان قول وعمل واعتقاد، وردُّوا علىٰ الخوارج في تكفيرهم مرتكبي الكبائر.

الخوارج شاركوا أهل السنة في أن الإيمان قول وعمل واعتقاد؛ لكن

يخالفونهم فيمن يقصِّر في العمل، ومرتكب الكبيرة عندهم كافر، وعند أهل السنة ليس بكافر والنصوص ثابتة بذلك، أحاديث الشفاعة تدل علىٰ أن أهل الكبائر يخرجون من النار، ما يخرجون إلا بالتوحيد، والإيمان.

سؤال(٢): ما هي نصيحتكم للشباب السلفي؟

الجواب: نحن ننصح السَّلفيين بالتآلف والتمسك بكتاب الله وسنة الرسولﷺ، والتآخي علىٰ ما تضمَّنه كتاب الله وسنة رسول اللهﷺ من عقائد وعبادات وأعمال.

التآخي في الله ﷻ ، والإيمان بهذه الأصول وهذه المبادئ، والتحاب في الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، إذا أخطأ الشخص في صغيرة أو في كبيرة، يناصَح بالحكمة والموعظة الحسنة، أناس وهم أدعياء للسلفية يتشدَّدون بالباطل، وبالظلم والافتراء، ويتشددون في غير موضع الشدة، ولا حكمة عندهم أبدًا، ولا رحمة ولا شيء من هذا، ومع الأسف يرمي بعض الناس السلفيين الثابتين بهذا الغلو، وهذا ظلم شديد.

والله نحن نحارب هذه الشدة شدة الخوارج وشدة هؤلاء الذين شدتهم من شدة الخوارج، نحن ننكر علىٰ هؤلاء الذين يتنطعون ويتشددون، وننكر علىٰ المميعين الذين يؤصِّلون وينشئون الأصول والأقوال الباردة الكاذبة لحماية أهل البدع، ننكر علىٰ هذا المتطرف، وندعو إلىٰ الصراط المستقيم، وإلىٰ ما كان عليه السلف الصالح من عقائد وأعمال وأخلاق.

فهؤلاء الغلاة في التمييع والغلاة في التبديع والتكفير كلهم مفارقون

للصِّراط المستقيم، والله أمرنا بالاعتدال والعدل والثبات علىٰ الصِّراط المستقيم، هناك أناس مميعون، يقول لك: فلان في القمة، شهيد، ويأتي أناس يدافعون عنه، هذا كله تمييع، فنحن والله نحاربه، فهذا فيه تضييع لدين الله، وتضييع للعقائد وتضييع للمناهج، والشدة فيها تحريف وغلو وزيادات وإضافات علىٰ هذه الأصول وهذه القواعد.

ننصح السلفيين جميعًا بالتمسُّك بالكتاب والسنة، والثبات علىٰ ما فيهما من عبادات وأقوال وأعمال، والتآخي فيما بينهم وإدراك أنَّ العصمة لا تكون إلا للأنبياء -عَلَيهِم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- فيما يوحي إليهم، فإنهم يبلِّغون ولا ينقصون ولا ذرة -عَلَيهِم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، وأما البشر قد يخطئون، والمعالجة تكون بالحكمة فيما بين السلفيين، حتىٰ لغير السلفيين؛ معالجة بدعهم وضلالاتهم تكون بالحجة والبرهان وبالحكمة والبيان المؤدب وما شاكل ذلك.

هناك من يسيء فيجانب الأخلاق الإسلامية ويجانب المنهج الإسلامي، والأخلاق من أهم أعمال الإيمان، بل يقول ﷺ: «**إِنَّمَا بُعِثتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخلَاقِ**»(١).

وقال الله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

وقال ﷺ: «**إِنَّ الرِّفقَ لَا يَكُونُ فِي شَيءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنزَعُ مِن شَيءٍ إِلَّا شَانَهُ**»(٢).

---

(١) أخرجه أحمد (٨٩٥٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: البر والصلة والأدب، باب: فضل الرِّفق (٦٧٦٧) عن عائشة رضي الله عنها.

و«إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفقَ وَيُعطِي عَلَىٰ الرِّفقِ مَا لَا يُعطِي عَلَىٰ العُنفِ وَمَا لَا يُعطِي عَلَىٰ مَا سِوَاهُ»(١).

فعلينا أن نتحلىٰ بهذه الأخلاق العظيمة التي كان يطبّقها رسول الله ﷺ؛ ويطبّقها صحابته الكرام وأئمة الهدىٰ -رضوان الله عليهم-.

نسأل الله أن يثبتنا وإياكم علىٰ السنة، وأن يوفقنا لكل ما يرضيه ويجنبنا كل مساخطه.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

❊ ❊ ❊

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: البر والصلة والأدب، باب: فضل الرِّفق (٦٧٦٦) عن عائشة رضي الله عنها.

المجلس الثاني: من سورة البقرة الآية (٢٥٣) إلى سورة آل عمران الآية (٩٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبه، ومن اتبع هداه.

وبعد:

استمعتم إلىٰ هذه الآيات الكريمات من آخر **سورة البقرة وأوَّل سورة آل عمران**، وما فيها من العقائد والأحكام والتَّشريعات وبيان التَّوحيد، وبيان الإيمان، والحديث عن بعض ما حصل لبعض الأنبياء -عَليهم الصَّلَاةُ وَالسَّلَام- وبعض الأصفياء كقصَّة إبراهيم -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، ومناظرته للنمرود الكافر، ومجادلته في الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، وكيف أن إبراهيم أقام عليه الحجة وأبطل ما افتراه هذا الكافر من ادِّعاء الربوبية، وتحداه بأن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من الغرب فبُهت الذي كفر، فأقام عليه الحجة، وحاجه إبراهيم أبو الأنبياء -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

آتاه الله من المنطق ومن الحجج القوية ما يبهت به أهل الباطل، وما

جعل هذا الرجل إمامًا كما قال: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [البقرة:١٣٠].

وقال تعالىٰ له: ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ﴾ [البقرة:١٢٤].

وتحدَّث الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- عن الصدقات والبر وعن الربا وعن المداينة، وعن آيات الإيمان في آخر سورة البقرة، وسمعنا آيات من آل عمران وما فيها من التوحيد، وما فيها من قصص الأنبياء، وما فيها من قصة زكريا وعيسىٰ ومريم -عَلَيهِم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، إلىٰ غير ذلك مما جاء في هذه السورة.

وأرجو أن تكونوا قد استفدتم من ذلك؛ لأنَّ كتاب الله يحتاج في سماعه أن يكون العبد حاضر القلب، أن تكون متدبِّرًا متأملًا، وفي ذلك الخير الكثير، وفي ذلك النفع العظيم لمن يتدبَّر كتاب الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، ويعزم ويصمِّم علىٰ العمل بما فيه من تعاليم.

آية الكرسي وما تضمنته من بيان التوحيد:

أريد أن أتكلم بإيجاز عن معاني آية الكرسي؛ فإنَّها أعظم آية في كتاب الله، وورد في فضلها أحاديث كثيرة، وفي بيان عظم شأنها أحاديث.

ومن ذلك أن النبيﷺ قال لأحد القرَّاء من كبار الصحابة أبيِّ بن كعب رضي الله عنه قال : «**يَا أَبَا الـمُنذِرِ، أَتَدرِي أَيُّ آيَةٍ مِن كِتَابِ اللهِ أَعظَمُ**؟ قَالَ: قُلتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعلَمُ.

قَالَ: **يَا أَبَا الـمُنذِرِ، أَتَدرِي أَيُّ آيَةٍ مِن كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعظَمُ**؟ قَالَ: قُلتُ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ﴾ قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدرِي وَقَالَ: **وَاللهِ لِيَهنِك**

العِلمُ أبَا المُنذِرِ»(١).

أدرك هذا الصحابي ﷺ أن هذه الآية أعظم آية في كتاب الله، وهنأه رسول الله ﷺ بهذا الفقه، ما تلقىٰ هذا الأمر من رسول الله، إنَّما تفقه في كتاب الله، فأجابه بهذه الإجابة التي تدل علىٰ عمق فهمه وحسن تدبره لكتاب الله، فقال: «لِيَهنِكَ العِلمُ».

هذه الآية ذكر الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- فيها التَّوحيد: توحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات وعظمته وجلاله ﷻ، ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ إثبات توحيد الإلوهية الذي خلق الأولين والآخرين من أجله، وخلق من أجله الجنة والنار، وأرسل من أجله الرسل وأنزل من أجله الكتب ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ لا إله إلا الله معناها؛ لا معبود بحق إلا الله.

وهذا المعنىٰ علىٰ اختصاره ووجازته ووضوحه ضيعه أهل البدع والضلال، وسنَّ لهم هذا الضياعَ أهلُ الباطل الذي حذَّر منه أهل الإسلام وحذَّروا من أهله وحذَّروا من كتبه، ففسَّروا (لا إله إلا الله) بأنه: لا خالق ولا رازق، وتأثَّر بهم أهل الأهواء والضلال، وصاروا يفسِّرون توحيد الألوهية الواضح الذي بعث الله به جميع الأنبياء لمواجهة المشركين والأمم الضَّالة وطمسوا معالمه بهذا التفسير، لا خالق لا رازق.

نعم ربنا هو الخالق الرازق والآيات في ذلك كثيرة؛ ولكن ليس هذا

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين، باب: فضل سورة الكهف وآية الكرسي (١٩٢١) عن أبي بن كعب ﷺ.

معنىٰ (لا إله إلا الله)، معنىٰ (لا إله إلا الله): لا معبود بحق إلا الله، إبطال عبادة الأوثان والأشجار والأحجار والجن والإنس والملائكة، وتخصيص العبادة بالله وحده الواحد القهار.

فالعبادات من الصلاة والزَّكاة والصوم والحج والدعاء والتوكل والخوف والرغبة والرهبة، كلها وغيرها من العبادات لا يجوز أن يُصرف منها ذرة لغير الله ﷻ، لا لأنبياء ولا لغيرهم من مخلوقات الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، ولا من الأنداد التي اتُّخذت مع الله مع الأسف الشديد، فيجب أن نفقه هذا التَّوحيد الذي بُعث به جميع الأنبياء وأن ننشره في النَّاس؛ فإن أهل البدع ينشرون باطلهم، وهناك جماعات ومدارس تقوم علىٰ هذا التَّفسير الباطل، فيضلون في معنىٰ (لا إله إلا الله) هذه الكلمة العظيمة التي ذكرنا من شأنها وأنها بُعث من أجلها جميع الرسل، وأنزل من أجلها الكتب، وخلق من أجلها الجنة والنار، والناس يُسألون عنها في القبور: من ربك ؟ يقول: الله ربي. من نبيك؟ يقول: محمدﷺ نبيِّي.

هذه جملة تدور حولها هذه الرِّسالات كلها، تدور حولها آيات كثيرة وكثيرة في القرآن الكريم، وتتبَّعوا ذلك في القرآن.

ثم وصف الله نفسه بأنه الحي القيوم، الحي الحياة الدائمة التي لم يسبقها عدم ولا يعقبها شيء، هو الأول والآخر والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هو الأول قبل كل شيء، والظاهر علىٰ كل شيء، والباطن الذي لا يخفىٰ عليه شيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والحي يتضمَّن جميع الأسماء والصفات؛ لأنه حي حياة كاملة، وتستلزم صفات الكمال كلها صفة السمع والبصر

والقدرة والإرادة وسائر صفاته ﷻ.

والقيوم القائم بنفسه والقائم علىٰ كل شيء، وقيوم السَّموات والأرضين ﷻ يدبِّر هذا الكون، ويصرِّفه وهو قائم عليه، وهو قائم علىٰ كل نفس ﷻ بعلمه وسمعه وبصره وقدرته وإرادته ﷻ، فالقيوم يتضمن جميع صفات الأفعال، ويتضمن توحيد الربوبية أيضًا؛ يتضمن الخلق والرزق والإحياء والإماتة وما شاكل ذلك ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود:١٠٧].

ثم ذكر ما يبيِّن كماله ﷻ في هذه الحياة والقيومية، فقال: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾، وهذا من كمال حياته وقيوميته، هو يدبر هذا الكون، وينظِّمه، ويمسك السَّموات أن تقع علىٰ الأرض ﷻ، فلا تأخذه سنة ولا نوم، وتعالىٰ الله عن ذلك علوًّا كبيرًا؛ لأن هذه من صفات الضعفاء، وعباده الفقراء المساكين يجعلها راحة لهم من التعب، ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ [سبأ:٩]. تعالىٰ الله علوًّا كبيرًا عن ذلك.

﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بيَّن ملكه الواسع، وأن هذا الكون كله ملك له ﷻ خاص به لا يشركه أحد في مثقال ذرة ﷻ، السَّموات والأرضين والعرش والكرسي والجنة والنار والمخلوقات كلها؛ الله وحده المنفرد بخلقها والمنفرد بملكها ﷻ ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ملك عظيم، ﴿مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:٢٦].

هو الملك وهو مالك يوم الدين ﷻ، ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر:١٦]، فتذكروا من هذه الآيات عظمة الله ﷻ، وعظِّموه حق

تعظيمه، وهابوه كل الهيبة، وقوموا بالحقوق التي أوجبها عليكم لمصلحتكم أنتم، الله أكبر؛ هذه العبادات فيها مصالح للعباد، المرء يتوضأ؛ يغسل يديه فتسقط كل معصية اكتسبها بيديه، ويغسل وجهه فتسقط كل معصية نظر إليها بعينه، وإذا ختم الوضوء هذا بقوله: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنَّ محمَّدًا رسول الله، فتحت له أبواب الجنة، ألا ترىٰ هذه مصلحة الوضوء، فكيف بالصلاة، وكيف بالزكاة، كيف بسائر العبادات، فما يشرع الله لعباده من أمر إلا لحكمة وإلا لمصالح عباده ﷻ الرءوف الرحيم.

ولا يسخط العبادة إلا الكافرون والمنافقون، وأما المؤمن فيتلذذ بهذه العبادة ويطمع في عفو الله وجوده وكرمه ﷻ، الأنبياء يعبدون الله رغبًا ورهبًا، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠]. يقول ضُلَّال الصُّوفية: لا نعبد الله طمعًا في جنَّته ولا خوفًا من ناره.

جعلوا أنفسهم فوق الأنبياء، انظروا الضلال كيف يجر إليه الشيطان إلىٰ هذه الدرجة، الأنبياء يعبدون الله خوفًا ورغبًا، لا يكون العبد مؤمنًا إلا إذا خاف الله وراقبه في كل شئونه، خوف العبادة أصل أصيل في العبادات، وإذا فقده المرء خرج من دين الله ﷻ، إذا كان لا يخاف الله ولا يرغب فيما عنده يخرج من دينه، رسول الله كان أخشىٰ الناس لله، «**وَاللهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُم لِلَّهِ وَأَتقَاكُم لَهُ**»(١).

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري، واللفظ له، كتاب: النكاح، باب: الترغيب في النكاح ═

وكان إذا دخل إلىٰ الصَّلاة يُسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل خوفًا من الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، ولا يخاف من الله إلا من قَدَّره حق قدره وعظَّمه حق تعظيمه، فنعوذ بالله من إخوان الشياطين.

﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ عظيم جليل، ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر:٢٣-٢٤].

سُبحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، رب السَّموات والأرضين الجبار المتكبر فلا يرضىٰ لأحد أن يتقدم بين يديه، حتىٰ الشفاعة؛ لا يشفع عنده أحد إلا بعد أن يأذن، الأنبياء جميعًا يوم القيامة يعتذرون عن الشفاعة، تنزل الهموم والكروب والأهوال بالناس في عرصات القيامة، يقولون: «**عليكم بِآدَم، فَيأْتُونَ آدَمَ عليه السلام فَيَقُولُونَ لَهُ: أَنتَ أَبُو البَشَرِ خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِن رُوحِهِ، وَأَمَرَ المَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشفَع لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحنُ فِيهِ أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا قَد بَلَغَنَا؟! فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَد غَضِبَ اليَومَ غَضَبًا لَم يَغضَب قَبلَهُ مِثلَهُ وَلَن يَغضَبَ بَعدَهُ مِثلَهُ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيتُهُ، نَفسِي نَفسِي نَفسِي، اذهَبُوا إِلَىٰ غَيرِي، اذهَبُوا إِلَىٰ نُوحٍ.**

=

(٤٧٧٦)، ومسلم، كتاب: الصيام، باب: صحَّة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب (١٨٦٨) من حديث أنس و عائشة رضي الله عنها.

فَيَأتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، إِنَّكَ أَنتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَىٰ أَهلِ الأَرضِ، وَقَد سَمَّاكَ اللهُ عَبدًا شَكُورًا اشفَع لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحنُ فِيهِ؟! فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي ﷻ قَد غَضِبَ اليَومَ غَضَبًا لَم يَغضَب قَبلَهُ مِثلَهُ، وَلَن يَغضَبَ بَعدَهُ مِثلَهُ، وَإِنَّهُ قَد كَانَت لِي دَعوَةٌ دَعوتُهَا عَلَىٰ قَومِي، نَفسِي نَفسِي نَفسِي، اذهَبُوا إِلَىٰ غَيرِي، اذهَبُوا إِلَىٰ إِبرَاهِيمَ.

فَيَأتُونَ إِبرَاهِيمَ، فَيَقُولُونَ: يَا إِبرَاهِيمُ، أَنتَ نَبِيُّ اللهِ وَخَلِيلُهُ مِن أَهلِ الأَرضِ اشفَع لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحنُ فِيهِ؟! فَيَقُولُ لَهُم: إِنَّ رَبِّي قَد غَضِبَ اليَومَ غَضَبًا لَم يَغضَب قَبلَهُ مِثلَهُ وَلَن يَغضَبَ بَعدَهُ مِثلَهُ، وَإِنِّي قَد كُنتُ كَذَبتُ ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ...»[١].

ويعتذر آدم، يعتذر ويذكر ذنبه، يذكر معصيته؛ «وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيتُهُ» أكله من الشجرة رغم أنه تاب منها توبة عظيمة، ومع ذلك لا يزال الحياء من الله يلاحقه، تاب إلىٰ الله وأناب وعَبَدَه -الله أعلم- مئات السنين؛ لأن حياته كانت طويلة، ومع ذلك لا يزال خجلًا حييًّا من الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- يستحي أن يشفع لأنه نهاه عن تلك الشجرة فأكل منها، ما نسيها، هكذا المؤمن، نوح دعا قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا إلىٰ التوحيد ليلًا ونهارًا، سرًّا وجهارًا، وما يزدادون إلا كفرًا وضلالًا وعنادًا، فدعا عليهم فأهلكهم الله، فيقول: «وَإِنَّهُ قَد كَانَت لِي دَعوَةٌ دَعوتُهَا»، فيعتذر وهي دعوة

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب: التفسير باب: سورة الإسراء (٤٤٣٥)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: أدنىٰ أهل الجنَّة منزلة فيها (٥٠١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

حق، والله أيَّده في ذلك وانتقم له من أعدائه، ومع ذلك جعلها عذرًا، الحياء من الله أمر عظيم، في النبوات الأولىٰ: «**إِنَّ مِمَّا أَدرَكَ النَّاسُ مِن كَلَامِ النُّبُوَّةِ: إِذَا لَم تَستَحِ فَاصنَع مَا شِئتَ**»(١). فالحياء خلق عظيم جدًّا جدًّا، يجب أن يتحلىٰ به المؤمن.

وإبراهيم -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- اعتذر، «**وَإِنِّي قَد كُنتُ كَذَبتُ ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ**». وهي تورية في الله ﷻ ليست كذبًا حقيقيًّا: لما عزم علىٰ تحطيم الأصنام التي اتخذوها أندادًا مع الله ﷻ، وهذا عمل عظيم لا يلحق أحد فيه إبراهيم إلا محمدًا -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- الذي حطَّم الأصنام، قال: إني سقيم، فلما ذهبوا، أخذ معوله وذهب يحطم الأصنام ﴿ فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ﴾ [الصافات:٩٣]. ذكر الله قصته في عدد من السور، الشاهد أنه اعتبر هذه كذبة يستحي من الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- يوم القيامة أن يشفع.

الثانية: أنه لما هاجر في الله ﷻ من بلاده العراق إلىٰ الأرض المباركة مر علىٰ طاغية؛ سلطان جبار قال له زبانيته الأخِساء: إن هنا رجلًا مَرَّ بامرأة لا ينبغي أن تكون إلا لك، أجمل النساء، عرف إبراهيم ذلك، فقال لها: إذا جئت عنده قولي: إن هذا أخي -لأن إبراهيم اعتقد لو عرف أنه زوجها لقتله- لأنك أنت أختي في الله، ما هنا مسلم إلا أنا وأنت -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم (٣٢٩٦) عن أبي مسعود رضي الله عنه.

هذه اعتبرها كذبة يخجل منها يوم القيامة، كم يكذب الإنسان في أيام حياته وينسىٰ كل هذا الكذب، ونعوذ بالله من الكذب الذي هو من أخبث الصفات؛ بل هو ركن من أركان الكفر بالله ﷻ، وإبراهيم لم يكذب، بل هي تورية وكلها في الله ﷻ واعتذر عن الشفاعة.

«اذهَبُوا إِلَي غَيرِي، اذهَبُوا إِلَىٰ مُوسَىٰ، فَيَأتُونَ مُوسَىٰ، فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَىٰ أَنتَ رَسُولُ اللهِ، فَضَّلَكَ اللهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ عَلَىٰ النَّاسِ، اشفَع لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحنُ فِيهِ؟!

فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي قَد غَضِبَ اليَومَ غَضَبًا لَم يَغضَب قَبلَهُ مِثلَهُ، وَلَن يَغضَبَ بَعدَهُ مِثلَهُ، وَإِنِّي قَد قَتَلتُ نَفسًا لَم أُومَر بِقَتلِهَا، نَفسِي نَفسِي نَفسِي، اذهَبُوا إِلَىٰ غَيرِي، اذهَبُوا إِلَىٰ عِيسَىٰ.

فَيَأتُونَ عِيسَىٰ فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَىٰ أَنتَ رَسُولُ اللهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلقَاهَا إِلَىٰ مَريَمَ وَرُوحٌ مِنهُ، وَكَلَّمتَ النَّاسَ فِي المَهدِ صَبِيًّا، اشفَع لَنَا، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحنُ فِيهِ؟!

فَيَقُولُ عِيسَىٰ: إِنَّ رَبِّي قَد غَضِبَ اليَومَ غَضَبًا لَم يَغضَب قَبلَهُ مِثلَهُ، وَلَن يَغضَبَ بَعدَهُ مِثلَهُ -وَلَم يَذكُر ذَنبًا- نَفسِي نَفسِي نَفسِي، اذهَبُوا إِلَىٰ غَيرِي، اذهَبُوا إِلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ.

فَيَأتُونَ مُحَمَّدًا ﷺ فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ أَنتَ رَسُولُ اللهِ وَخَاتَمُ الأَنبِيَاءِ، وَقَد غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشفَع لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحنُ فِيهِ؟! فَأَنطَلِقُ فَآتِي تَحتَ العَرشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي ﷻ ثُمَّ يَفتَح

اللهُ عَلَي مِن مَحَامِدِهِ وَحُسنِ الثَّنَاءِ عَلَيهِ شَيئًا لَم يَفتَحهُ عَلَىٰ أَحَدٍ قَبلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارفَع رَأسَكَ، سَل تُعطَه، وَاشفَع تُشَفَّع، فَأَرفَعُ رَأسِي، فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ. فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، أَدخِل مِن أُمَّتِكَ مَن لَا حِسَابَ عَلَيهِم مِنَ البَابِ الأَيمَنِ مِن أَبوَابِ الجَنَّةِ، وَهُم شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَىٰ ذَلِكَ مِنَ الأَبوَابِ».

موسىٰ يعتذر؛ لأنه قتل القبطي الكافر المعتدي، قتله بغير إذن من الله فاعتبر هذا ذنبًا خجل منه أن يتقدم إلىٰ الشفاعة، ويحيل إلىٰ عيسىٰ وعيسىٰ يحيل إلىٰ محمد -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- فيقول: «**أنا لها**»[1]. فيذهب فيخرُّ ساجدًا تحت العرش فيدعو ويدعو ويدعو دعاء طويلًا، ثم يستأذن في الشفاعة فيؤذن له، ولهذا قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ﴾ من الذي يستطيع أن يشفع عند الله عَزَّ وَجَلَّ العظيم الجليل؟ لا يستطيع أحد إلا بإذنه، والشفاعة ملك لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-.

﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر:٤٤]. ولهذا لا يجوز أن تطلب من الأموات ولا الغائبين، وتطلب من الحي أن يشفع لك، أمَّا الميِّت فإذا طلبت منه الشفاعة فقد طلبت منه حقًّا خالصًا لله، لا يحصل إلَّا لمن أذن الله له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ الروافض والقبوريون يطلبون الشفاعة من

---

(١) هذه اللفظة في حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخرجها البخاري، كتاب: التوحيد، باب: كلام الرب عَزَّ وَجَلَّ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم (٧٠٧٢)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: أدنىٰ أهل الجنَّة منزلة فيها (٥٠٠).

الأموات؛ بل يذبحون لهم؛ بل يستغيثون بهم، بل يعتقدون فيهم أنهم يعلمون الغيب ويتصرفون في الكون، ما وقفوا عند الشرك في الألوهية؛ تجاوزوا ذلك إلىٰ الشرك في الربوبية، ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل:٦٥]. ﷻ.

والله يقول لنبيه أفضل البشر وأقربهم إليه: ﴿قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ [الأنعام:٥٠].

﴿قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٨٨].

فيعتقدون في الأولياء، وبعضهم في غير الأولياء، وبعضهم معبودات من الحيوانات، من مكائد أهل الضلال والإلحاد قد يقبرون حيوانًا حمارًا أو غيره، ويقولون: هذا ولي، فيُقبل الجهلة والسفهاء وضلال الصوفية علىٰ هذا القبر يقدِّسونه ويطوفون به ويطلبون منه ما لا يُطلب إلا من الله ﷻ، وهذا ينافي توحيد الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-.

الشَّاهد: أنَّ الشَّفاعة ملك الله ﷻ فلا يجوز أن تُطلَب من حي ولا ميت، والرسول ﷺ يوم القيامة، والأنبياء لا يشفعون عند الله إلا بإذنه ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ﴾ [النجم:٢٦]. منهم جبريل، ميكائيل، فيهم ملَك الجبال، فيهم ملَك أذن لنبيه أن يتكلم عنه بين شحمة أذنيه وعاتقه كما بين السماء والأرض، وملك

يستطيع أن يأخذ الجبال يضرب بعضها ببعض، ورسول الله -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- جاءه ملك الجبال وقال: «**وَأَنَا مَلَكُ الجِبَال، وَقَد بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيك لِتَأمُرَنِي بِأَمرِكَ، فَمَا شِئتَ، إِن شِئتَ أَن أُطبِقَ عَلَيهِمُ الأَخشَبَينِ**»(١) علىٰ كفار قريش، هؤلاء الملائكة العظام، وجبريل له ستمائة جناح تغطي بين السَّماء والأرض، ومع ذلك يتضاءلون أمام عظمة الله خوفًا وإجلالًا وتعظيمًا.

هؤلاء الملائكة لا يشفعون عند الله إلَّا من بعد إذنه.

صارت الشَّفاعة لعبة عند الجهلة والسُّفهاء والضُّلال، نسأل الله العافية.

تضييع التوحيد سبب ضياع الأمة:

فيجب أن نهتمَّ بالتَّوحيد، ووالله ما ضاعت هذه الأُمَّة وسُلِّط عليها الأعداء من اليهود والنصارىٰ والمجوس والشيوعيين وغيرهم إلَّا بعد أن ضيَّعوا التوحيد، فسلَّط الله عليهم هذا الذُّل ولا يرضىٰ عنهم حتىٰ يعودوا إلىٰ الإسلام الذي كان عليه محمد ﷺ وأصحابه الكرام؛ «**إِذَا تَبَايَعتُم بِالعِينَةِ وَأَخَذتُم أَذنَابَ البَقَرِ وَرَضِيتُم بِالزَّرعِ وَتَرَكتُم الجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ سَلَّطَ اللهُ عَلَيكُم ذُلًّا لَا يَنزِعُهُ عَنكُم حَتَّىٰ تَرجِعُوا إِلَىٰ دِينِكُم**»(٢).

هناك دعوات الآن في العالم كثيرة؛ ولكن لا تدعوا إلىٰ التَّوحيد، كل

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب: بدء الخلق، باب: «**إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرىٰ غفر له ما تقدم من ذنبه**» (٣٠٥٩)، ومسلم، كتاب: الجهاد والسير، باب: ما لقي النَّبيُّ ﷺ من أذىٰ المشركين والمنافقين (٤٧٥٤) عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب: البيوع، باب: في النَّهي عن العينة (٣٠٠٣) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

حزب له مبدأ، له منهج غير منهج الله وغير منهج الأنبياء، يدعو إليه مخالفًا في ذلك كتاب الله وسنة الرسول ﷺ، مخالفًا بذلك منهج الأنبياء -عَلَيهِم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

نوح ألف سنة إلا خمسين عامًا يدعو إلىٰ التوحيد فقط، يقولون للسلفيين: أنتم تحاربون أهل القبور ونحن نحارب أهل القصور!! حاربوا الأوثان، أفأنت دعوتك أعظم من دعوة الأنبياء؟!

لهذا ما يُنصرون، الله يقول تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ [الفتح:٢٢-٢٣]. هذه سنة الله لأوليائه أهل التَّوحيد، أتباع الأنبياء، أمَّا الآن المسلمون يقاتلون في كل مكان ولا ترىٰ إلا الهزائم والخزي والعار، لا ينصرون، قاتلوا في أفغانستان، وقاتلوا في الشيشان، وقاتلوا هنا وهناك، وقاتلوا في فلسطين ستين عامًا، لا ترىٰ إلَّا الهزائم والخزي والعار لأنهم لا يستحقون هذا الوعد الذي أكده الله في آيات كثيرة ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمد:٧]. الذي يدعو إلىٰ الوطنية يقاتل علىٰ الوطن والوطنية وينسىٰ التوحيد ينصره الله؟!

يقول: النصارىٰ إخواننا، ولا يستحي من قول: اليهود قسمان: يهود أصليون ويهود صهاينة، أعداؤنا الصهاينة، أخذوا أرضنا، يقاتلون علىٰ هذا الأساس، ويقاتلون الشيوعيين في أفغانستان ويأتي أهل التوحيد للجهاد ونشر التوحيد فيحاربون أهل التوحيد، أين ذهب الجهاد الأفغاني، كم ضاع فيه من الشباب، فأين ثماره؟!

خرج الروس وخلفهم دول الغرب فلا ينصر الله هذه الأمة إلَّا إذا رفعت راية الكتاب والسنة بحق وصدق وجدارة، ورفعت راية التوحيد، أمَّا وهي تحمل مبادئ وشعارات بعيدة عن كتاب الله وعن سنة الرسول ﷺ؛ بل هي جاهلية، فهؤلاء لا يزدادون إلَّا خزيًا عند الله، ولا يزيدهم الله إلَّا خزيًا وتسليطًا للأعداء وإذلالهم كما في الحديث، «**حَتَّىٰ تَرجِعُوا إِلَىٰ دِينِكُم**».

الدين عند الله الإسلام الذي جاء به الأنبياء وخاتم الأنبياء محمد ﷺ لا المرغنية ولا النقشبندية ولا غيرها من الطرق الضالة، دين الله الحق هو الذي يجب أن يتمسك به المسلمون، يجب أن نفهم هذه الحقيقة، ويجب أن يفهم هؤلاء هذه الحقيقة، ويتمسكوا بها، والله لو رجعوا إلىٰ دين الله لنصرهم الله علىٰ أوربا وأمريكا، وعلىٰ الدول كلها ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣٣].

فهؤلاء استحقوا هذا النَّصر؛ أصحاب محمد ﷺ، وأظهر الله دينهم علىٰ الأديان كلها ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِى ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنًاۚ يَعۡبُدُونَنِى لَا يُشۡرِكُونَ بِى شَيۡـًٔاۚ ﴾ [النور:٥٥].

كانت هذه الصفات موجودة في أصحاب محمد ﷺ استخلفهم الله فكانوا سادة الدنيا بهذا الإسلام وبهذا التوحيد، الآن الروافض واقعون في الشرك ويسمُّونها الدولة الإسلامية، كم عندهم من الشرك وكم عندهم من الكفر، والضلالات، ويشهدون لهم أنها الدولة الإسلامية، ويطبل لها الإخوان المسلمون لرفع راية الجهاد، بما فيها حماس، يطبلون لهذه الدولة الضالة

التي هي أضل من اليهود والنصارىٰ وهي عميلة من تاريخ قديم إلىٰ يومنا هذا، والمناوشات كلها؛ كذب في كذب، كله لتضليل المسلمين، يتظاهرون بخصومة اليهود ليوجدوا حزب الشيطان هذا الذي يسمىٰ حزب الله في البلاد العربية ويوجدوا حزب حماس في فلسطين، وما شاكل ذلك، فُرقة وتمزيق وبلاء.

فيجب علىٰ حماس أن ترفع راية التوحيد لا ترتبط بالروافض، ليست من التوحيد في شيء وليست من السنة في شيء ولو ادعت ما ادعت، كانوا يدَّعون أنهم سلفيون من أول نشأتهم وعرفنا أنهم منحرفون، ثم فضحهم الله، وقالوا: الطائفة المنصورة، يجب علىٰ حماس، ويجب علىٰ الأمة الإسلامية جميعًا أن يرجعوا إلىٰ دين الله الحق الذي كان عليه رسول الله ﷺ.

نوح بقي ألف سنة يدعو إلىٰ التوحيد، وإبراهيم يدعو إلىٰ التوحيد إلىٰ أن مات، موسىٰ وغيرهم وغيرهم، وموسىٰ كان في مصر وكان بنو إسرائيل تحت إذلال الفراعنة، ما قالوا: نقاتل للوطنية، ﴿قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ﴾ [الأعراف:١٢٩].

أوصاهم بالصبر كان كلَّما اشتكوا قال: اصبروا، وهم يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم، موسىٰ دعا فرعون إلىٰ التوحيد ما استجاب، ولما أراد الله له الخروج خرج ليلًا كان يمكن أن يقاوم ويجاهد وتسفك دماء، كان من الممكن أن يزلزل فرعون، لكن الله لا يريد هذا، يريد توحيدًا، وبعد ذلك أنظرهم موسىٰ ﷺ خرجوا إلىٰ سيناء ودعا بني إسرائيل إلىٰ الجهاد فالتووا عليه، بقي فيهم شيء من آثار تربية الفراعنة، وفتحوا علىٰ يد يوشع بن نون

الذي اصطفاه الله نبيًّا بعد موسىٰ وهارون.

الرسول ﷺ بقي وأصحابه في مكة ثلاث عشرة سنة يؤذونهم، ويضربونهم، ما قال ثوروا، بل قال: اصبروا آل ياسر[١]، ياسر مأسور وزوجته قُتلت، فلما أمره الله بالهجرة وقامت الدولة أمروا بالقتال.

فالآن القتال ليس من أجل التوحيد، ليس لدين الأنبياء -عَلَيهِم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، للوطن، الصحابة هاجروا من أجل التوحيد، تركوا أموالهم وديارهم من أجل التوحيد، قاتلوا من أجل التوحيد، «**أُمِرتُ أَن أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَشهَدُوا أَن لَا إِلَهَ إِلَا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ**»[٢].

الفلسطينيون الموحِّدون يواجهون من الأذىٰ والإهانات والملاحقات، والرفض يمشي والنصرانية تمشي، هل هكذا كانت دولة محمدﷺ؟!

استطردنا في هذه الأمور لأنها من أمور الساعة تنبيهًا إلىٰ أهمية التوحيد الذي خلق الله من أجله الكون، السَّموات والأرض والجنة والنار وبعث من أجله الرسل، وأنزل به الكتب، فافهموا أهمية توحيد الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- وتعلَّموه من كتاب الله، وتعلموه من سنة رسول الله ومن كتب أئمة التوحيد: ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب، تعلَّموا التوحيد، وكذلك سائر أمور الدين كلها؛ الصلاة والزكاة والصوم وغيرها من العبادات كلها

---

(١) أخرجه الحاكم (٥٦٦٦) عن جابر رضي الله عنه.

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري، كتاب: الإيمان، باب: فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم (٢٥)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: الأمر بقتال النَّاس حتّىٰ يقولوا لا إله إلّا الله محمَّد رسول الله (١٣٨) عن ابن عمر رضي الله عنه.

نتعلمها من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ لأنها كلها تعود للتَّوحيد.

أسأل الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- أن يأخذ بنواصي الأمة إلىٰ الحق والخير والهدىٰ، وأن يهيئ لهم الدعاة الصالحين الصَّادقين الموحدين المخلصين ليخرج الله بهم الأمة مما هم فيه من الذل والهوان، بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فتعلَّموا أيها الشباب من أهل العلم، واجعلوا تحصيل العلم شغلكم الشاغل، «**لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِداً خَيرٌ لَكَ مِن حُمْرِ النَّعَم**»[(١)].

وكل واحد يصلح عشيرته ومن حوله بقدر ما يستطيع، أسأل الله -جل وعلا- أن يثبتنا وإياكم علىٰ الحق، وأن يجعلنا وإياكم من الهداة، إن ربنا سميع الدعاء.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

❊ ❊ ❊

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضائل علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن رضي الله عنه (٣٤٩٨)، ومسلم، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل علي بن أبي طالب (٦٣٧٦).

المجلس الثالث: من سورة آل عمران الآية (٩٣) إلى سورة النساء الآية (٢٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصَّلاة والسَّلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبه ومن اتبع هداه.

وبعدُ:

اجتهاد النبيﷺ في العبادة:

مَرَّت علينا أربع ليالٍ قرأنا فيها أربعة أجزاء، وتذكرتُ أنَّ رسول اللهﷺ كما في حديث حذيفة رضي الله عنه أنَّه قال: «صَلَّيتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيلَةٍ فَافتَتَحَ البَقَرَةَ فَقُلتُ: يَركَعُ عِندَ المِائَةِ، ثُمَّ مَضَىٰ فَقُلتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكعَةٍ، فَمَضَىٰ، فَقُلتُ: يَركَعُ بِهَا، ثُمَّ افتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افتَتَحَ آلَ عِمرَانَ»[1].

في ركعة واحدة؛ لأنه يشعر بلذة العبادة وكان كلما مر بآية فيها دعاء

(١) أخرجه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين، باب: استحباب تطويل القراءة في صلاة اللَّيل (١٨٥٠).

دعا أو فيها استغفار استغفر هذا كله في ركعة واحدة، ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب:٢١].

هذا لا يُطيقه الأمة أو كثير منهم؛ ولكن علينا في حدود طاقاتنا، ولنحرص علىٰ تلاوة القرآن، وعلىٰ حفظه وتدبره وفهمه.

وتذكرتُ أنَّ ابن عباس رضي الله عنهما أخبر «أَنَّهُ رَقَدَ عِندَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَاستيقَظَ فَتَسَوَّكَ وَتَوَضَّأَ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ فَقَرَأَ هَؤُلَاءِ الآيَاتِ حَتَّىٰ خَتَمَ السُّورَةَ»[1].

فينبغي أن يتخذ الإنسانُ وردًا في ليلته إذا قام في جوف الليل يقرأ هذه الآيات، وإذا استطاع أن يصلي ما استطاع.

مر بنا من سورة آل عمران عظاتٌ وعبرٌ وجهاد الرَّسول وأصحابه ونزول الملائكة لنصرته، وبيان أنَّ الله ينصر المؤمنين علىٰ الكافرين، وتحدث الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- عن المنافقين وجبنهم عن الجهاد إلىٰ آخر ما سمعتموه من السورة.

تقوى الله حق التقوى:

وسأتكلَّم عن آيتين أو ثلاث من هذه السُّورة، وهي قول الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين، باب: الدُّعاء في صلاة اللَّيل وقيامه (١٨٣٥).

فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢-١٠٣].

ففي هذه الآيات حثٌّ من ربنا العظيم الجليل الكبير علىٰ تقواه، أن نتقيه حق تقواه ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ فسَّرها ابن مسعود ﷺ بقوله: تقوىٰ الله حق تقواه: أن يُذكر فلا يُنسىٰ، وأن يُشكر فلا يُكفر، وأن يُطاع فلا يُعصَىٰ[(١)].

تفسير عظيم لهذه الآية؛ أن يذكر الله فلا ينسىٰ، وأن يشكر فلا يكفر وأن يطاع فلا يعصىٰ.

وإسنادها صحيح إلىٰ عبد الله بن مسعود ﷺ.

فأطيعوا الله حق الطاعة، واتقوه حق التقوىٰ، واشكروه حق الشكر، ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ قد يقال: إنَّ الإنسان لا يملك هذا لنفسه، لكن يقال: عليه أن يأخذ بالأسباب، أن يستقيم في هذه الحياة، علىٰ دين الله الحق، وأن يطيعه حق الطاعة، وأن يشكره ﷻ، ويسأل الله الثَّبات علىٰ هذا الدِّين، كما كان الرسول -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- يدعو وهو رسول الله ﷺ: «**يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّت قَلبِي عَلَىٰ دِينِكَ**»[(٢)].

فنقوم بحقوق الله ﷻ بقدر ما نستطيع، ونقوم بهذه الأمور الثلاثة التي فسَّر بها ابن مسعود ﷺ هذه الآية من الشُّكر والطَّاعة وكثرة ذكر الله -تَبَارَكَ

---

(١) أخرجه الحاكم (٣١٥٩)، والطبري في التفسير (٧/ ٦٤).

(٢) أخرجه أحمد (١٢١٠٧ - الرسالة)، وأخرجه الترمذي، كتاب: القدر عن رسول الله، باب: ما جاء أن القلوب بين إصبعي الرحمن (٢١٤٠) ، وابن ماجه في كتاب الدعاء، باب دعاء رسول الله ﷺ (٣٨٣٤) عن أنس ﷺ.

وَتَعَالَىٰ-، فمن سنن الله ﷻ في خلقه أنَّه إذا عاش إنسان علىٰ شيء مات عليه، وإذا مات علىٰ شيء بُعث عليه، فأنت عشت علىٰ طاعة الله وشكره وذكره، إن شاء الله يُحسن الله لك الختام، فتموت علىٰ الإسلام، نأخذ بالأسباب التي تُعطينا هذه النَّتيجة وهذه الثَّمرة العظيمة، وهي أن نموت علىٰ الإسلام، والمعاصي والبدع -والعياذ بالله- قد تكون سببًا لسوء الخاتمة والموت علىٰ غير الإسلام؛ البدع وكبائر الذُّنوب قد تكون من أسباب سوء الخاتمة -والعياذ بالله-.

فاحذروا كلَّ الحذر من المعاصي ومن البدع، ومن وقع في شيء فليبادر إلىٰ التوبة إلىٰ الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، إن غره أهل الباطل ببدعة أو أوقعوه في معصية، فلينزع من ذلك فورًا وليبادر إلىٰ التوبة إلىٰ الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- والندم الشديد، ثم يستمر علىٰ طاعة الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- فإن الله من كرمه وجوده وعدله لا يضيع عمل العاملين ﷻ.

تفرق الأمة: سببه وعلاجه:

ثم قال: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾. هذا خطاب موجه إلىٰ الأمة كلها إلىٰ قيام الساعة، عليهم أن يعتصموا بحبل الله جميعًا عن بكرة أبيهم، لا يتخلف أحد، كل واحد منا مكلَّف بهذا الأمر العظيم وهو الاعتصام بحبل الله، و﴿جَمِيعًا﴾ يتناول الأمة ويتناول الإسلام كله ﴿ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة:٢٠٨]. لا تتركوا من الإسلام شيئًا، تمسَّكوا به واعتصموا به.

﴿وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾: أمر للأمة كلها بالاعتصام ونهيٌ للجميع عن الفرقة

وأسبابها، فلا تفرِّق الأمة؛ ترتكب أمرًا يفرِّق الأمة، فإن هذا جرم عظيم وأمر خطير -والعياذ بالله-، فعلينا جميعًا أن نسعىٰ إلي الاعتصام بحبل الله ﷻ ودعوة الناس إلىٰ ذلك والتحذير من التفرُّق؛ إذا ارتكب الرجل بدعة أو أمرًا منكرًا أدىٰ هذا إلىٰ الفرقة، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ﴾ [الأنعام:١٥٩].

برَّأ الله رَسُولَهُ من الذين يُفرِّقون الأمة ويفرقون الدين، هذا دليل علىٰ خطورة البدع فسَّر أبو هريرة ﷺ وغيره[١].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ﴾. فسرها بعضهم بالكفر، وفسرها بعضهم بالبدعة، والآية تتناول ذلك: تتناول الكفر وتتناول البدع.

فكم حذَّر الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- من التفرق كما في هذه الآية في ذم المفرِّقين في سورة الأنعام، وكما ذمَّ الله وحذَّر من التفرق في سورة الرُّوم: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾.

فجعل التَّفرُّق من صفات المشركين، وأمر بإقامة الصَّلاة وألا نكون من المشركين في التفرق والتمزق والتحزب، فهذه من صفات المشركين لا من صفات المؤمنين الصَّادقين المنقادين لأمر الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- ودينه وشرعه، والمطيعين لله ورسله، والتَّفرُّق والتحزُّب من صفات المشركين من اليهود

(١) الطبري في التفسير (١٢/ ٢٧٠-٢٧١).

والنصارىٰ والوثنيين، ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾، انظر الضَّلال إلىٰ أي حد يصل بأهله؛ أن يفرح بالباطل، يفرح بالبدع، يفرح بالشِّرك، يتحزَّب لذلك، ويُناضل عنه؛ بل ويقاتل عنه، قد يبذل نفسه للدفاع عن الباطل -والعياذ بالله-.

وهذا أمر حاصل من المشركين عمومًا ومن كثير من الفرق المنتمية للإسلام، يذم الحق ويشوِّهه ويحذِّر من أهله، وقد يكون مستعدًّا لقتالهم وقتلهم، ينصر الباطل لأن الشيطان زخرف له الباطل، يزين له الباطل والضلال -والعياذ بالله-، فيفرح بهذا الباطل ويستميت في الدَّعوة إليه ويبذل الأموال من أجله، والدِّفاع عنه هذا أمر حاصل مع الأسف الشَّديد.

فأين هؤلاء المنتمين للإسلام من هذا الذَّم الشديد لمن يفرق دين الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- ويفرق الأمة ويتحزَّب للباطل، ﴿وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ آيات كثيرة فيها النهي عن التفرق، ونهىٰ النبي عن التفرق وذم التفرق، وبَيَّن أن مصير الفرق المخالفة لمنهج الله وعقائد الإسلام أنهم في النار «**كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَا وَاحِدَةً**»[(١)].

فلنحذر كل الحذر من التفرق ومن الابتداع في الدين -والعياذ بالله-، ومناصرة البدع ومن المحاماة عن أهلها كما يقع في ذلك بعض من يدَّعي السلفية، يتولون أهل البدع الكبرىٰ ويستميتون في الدفاع عنهم، ويحاربون أهل السنة من أجلهم، ونعوذ بالله من سوء الحال ومن هذا الضلال.

---

(١) أخرجه أحمد (١٦٣٢٩)، وابن ماجه، كتاب: الفتن، باب: افتراق الأمم (٣٩٨٣) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ﴾ هذا التآلف والاجتماع علىٰ كتاب الله وعلىٰ سنة رسول الله -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- وعلىٰ الدَّعوة إلىٰ الحق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن نعم الله علىٰ عباده؛ تأليف القلوب والمحبة والمودة بين المؤمنين من أعظم نعم الله ﷻ علىٰ عباده، وهذه فيها حفز للهمم علىٰ التّآخي في الله، وعلىٰ الاعتصام بحبل الله، فإنَّ هذا التآخي له ثمار عظيمة في الدُّنيا والآخرة.

أما في الدنيا فيُكسب المؤمنين قوة وعزة وكرامة ونصرًا علىٰ الأعداء.

أما في الآخرة فإن المتآخين في الله لا لأجل الدنيا ولا لأغراض أخرىٰ فقد جاء في فضلهم ما قاله النبيﷺ في الحديث: «**سَبعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ فِي ظِلِّهِ يومَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ، وَرَجُلٌ قَلبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجتَمَعَا عَلَيهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيهِ، وَرَجُلٌ دَعَتهُ امرَأَةٌ ذَاتُ مَنصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخفَاهَا حَتَّىٰ لَا تَعلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَت عَينَاهُ**»(١).

سبعة يظلهم الله في ظله يوم القيامة، والمراد بظله هنا: ظل العرش «**سَبعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ فِي ظِلِّهِ يومَ لَا ظِلَّ إِلَا ظِلُّهُ إِمَامٌ عَدلٌ**»؛ أي: ملتزم بشريعة الله معتصم بها ناشر للحق والخير، قائم بالعدل والقسط في الأمة،

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري، كتاب: الزكاة، باب: الصدقة باليمين (١٣٥٧)، ومسلم كتاب: الزكاة، باب: فضل إخفاء الصدقة (٢٤٢٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قائم بالجهاد في سبيل الله، هذا إمام عادل لا يجور علىٰ حقوق الله ولا يجور علىٰ العباد، هذا من أوائل من يظلهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلَّا ظله.

«**وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ**». وفَّق الله هذا الشَّاب فنشأ علىٰ العبادة والطَّاعة والالتزام علىٰ شريعة الإسلام، فكونوا من هؤلاء الشَّباب الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، التزموا بشريعة الله واعتصموا بحبل الله، لا تتفرقوا، لا تُفرقوا الأمة، لا تقعوا في البدع والضلالات.

بالمناسبة؛ بعض النَّاس إذا دعا أهلُ السنة إلىٰ الاعتصام بالكتاب والسنة قالوا: هذا يفرِّق، انظر الهوىٰ والبدع والضَّلال إلىٰ أي حضيض تهوي بأصحابها، يتهمون دعاة الحق والاعتصام الكتاب والسنة والاعتصام بالعقائد الإسلامية والمناهج الإسلامية والاعتصام بالكتاب والسنة يقولون: هذا يفرق.

وإذا دعا أهل الضَّلال من كل أطرافه، يجتمعون في صعيد واحد باسم الإسلام، هذا عنده هو الذي يُجَمِّع الأمة، يجمعهم علىٰ الضلال والشرك والبدع والضلالات، هل هذا أمر مطلوب في الشريعة الإسلامية؟!، تجميع الناس علىٰ الضلال والبدع والشركيات هذا أمر مذموم وخطير، ولا يخرج عن قول الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍ**﴾ [الأنعام:١٥٩]. مهما ادَّعوا لأنفسهم.

«**وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجتَمَعَا عَلَيهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيهِ**». اجتمعا عليه وافترقا عليه، يقول النبي ﷺ: «**إِذَا كَانَ يَومُ القِيَامَةِ أُدنِيَت الشَّمسُ مِن العِبَادِ حَتَّىٰ**

تَكُونَ قِيدَ مِيلٍ -قَالَ سُلَيمٌ: لَا أَدرِي أَيَّ المِيلَينِ عَنَىٰ: أَمَسَافَةُ الأَرضِ، أَم المِيلُ الَّذِي تُكتَحَلُ بِهِ العَينُ- قَالَ: **فَتَصهَرُهُم الشَّمسُ فَيَكُونُونَ فِي العَرَقِ بِقَدرِ أَعمَالِهِم، فَمِنهُم مَن يَأخُذُهُ إِلَىٰ عَقِبَيهِ، وَمِنهُم مَن يَأخُذُهُ إِلَىٰ رُكبَتَيهِ، وَمِنهُم مَن يَأخُذُهُ إِلَىٰ حِقوَيهِ، وَمِنهُم مَن يُلجِمُهُ إِلجَامًا**»[(١)].

ويفزعون إلىٰ من يشفع لهم: إلىٰ آدم، إلىٰ نوح، إلىٰ إبراهيم، إلىٰ موسىٰ، إلىٰ عيسىٰ، إلىٰ محمَّد ﷺ، ليريحهم من هذا الهول ومن هذا الموقف الطويل، والمعتصم بحبل الله المؤاخي فيه في نعيم وفي أمن وطمأنينة وراحة ويكفيه أنَّ الله أكرمه بأن أظله بظل عرشه.

ومن السبعة المذكورين في الحديث: «**وَرَجُلٌ دَعَتهُ امرَأَةٌ ذَاتُ مَنصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ**». هذا عفيف ومتعفِّف، ابتعد عن الوقوع في الزنا خوفًا من الله، مراقبة له وإخلاصًا له في دينه، هذا يستحق هذا الجزاء من رب العالمين، أن يُظله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

«**وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخفَاهَا حَتَّىٰ لَا تَعلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنفِقُ يَمِينُهُ**».

لإخلاصه لله ﷻ ، وبُعده عن الرياء والسمعة، يتخفَّىٰ أشد التَّخفِّي بما يبذله في سبيل الله، وعطفًا علىٰ عباد الله المساكين، يخفيه حتىٰ لا تعلم شماله ما تُنفق يمينه فكيف بالنَّاس، فهذا من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، هذا جزاء المخلص لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-.

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب: صفة القيامة والرَّقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في شأن الحساب والقصاص (٢٣٤٥) عن المقداد رضي الله عنه.

«**وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَت عَينَاهُ**».في ظلمة الليل، في بُعده عن الناس يذكر الله، في هذه الخلوة، فتفيض عيناه من خشية الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-.

فكونوا أيها الشباب من هذه الأصناف، فليحرص الواحد منكم أن يكون له نصيب مما يحصل عليه كل صنف، من الأخوة في الله، والمحبة فيه، والعفة، والتصدق، والبكاء من خشية الله لا رياء ولا سمعة، والنبي ﷺ يقول: «**إِنَّ اللهَ يَقُولُ يَومَ القِيَامَةِ: أَينَ المُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي، اليَومَ أُظِلُّهُم فِي ظِلِّي يَومَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي**»(١).

أنا أحثُّ الشباب السلفي علىٰ التحاب في الله في كل مكان، وأن يبتعدوا عن التفرُّق والتفكك وأسبابه، وأن يكونوا عباد الله إخوانًا: «**لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَقَاطَعُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخوَانًا**»(٢).

هذه الأسباب احذروها أشد الحذر، واحذروا من كل أسباب الفرقة، وعَضُّوا علىٰ سنة نبيكم بالنواجذ كما أوصانا بذلك رسول الله -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- ، كما جاء في حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قال : «وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ موعِظَةً ذَرَفَت مِنهَا العُيُونُ وَوَجِلَت مِنهَا القُلُوبُ، قُلنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ هَذِهِ لَموعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تعهَدُ إِلَينَا؟

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: البر والصلة والأدب، باب: في فضل الحبِّ في الله (٦٧١٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري، كتاب: الأدب، باب: يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرًا من الظن إن بعض الظن إثم، ولا تجسسوا (٥٧١٩)، ومسلم، كتاب: البر والصلة والأدب، باب: النَّهي عن التَّحاسد والتَّباغض والتَّدابر (٦٦٩٥).

قَالَ: قَد تَرَكتُكُم عَلَىٰ البَيضَاءِ، لَيلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنهَا بَعدِي إِلَّا هَالِكٌ، وَمَن يَعِش مِنكُم فَسَيَرَىٰ اختِلَافًا كَثِيرًا؛ فَعَلَيكُم بِمَا عَرَفتُم مِن سُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهدِيِّينَ، وَعَلَيكُم بِالطَّاعَةِ وَإِن عَبدًا حَبَشِيًّا، عَضُّوا عَلَيهَا بِالنَّوَاجِذِ؛ فَإِنَّمَا المُؤمِنُ كَالجَمَلِ الأَنِفِ حَيثُمَا انقِيدَ انقَادَ»(١).

الرسول ﷺ أخبر بهذا، وهذا وقع بلا شك، وقدَّم لنا الحل في خِضَم هذه الاختلافات وهذه الاضطرابات؛ كل فرقة تدَّعي أنها علىٰ الحق، وتضلِّل، وقد تبذل الأموال لإدخال الناس في هذا الضلال، ما المخرج؟

المخرج: «فَعَلَيكُم بِمَا عَرَفتُم مِن سُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهدِيِّينَ».

فليفزع المؤمن -الحريص علىٰ رضا الله والاستقامة والثبات علىٰ دين الله علىٰ منهج رسول الله ﷺ- إلىٰ سنة رسول الله ﷺ، بمعنىٰ منهجه ﷺ، لا السنة بالمعنىٰ الاصطلاحي المقابل للواجب، السنة بمعنىٰ المنهج، افزع إلىٰ منهج الله ﷻ، واستقه من كتاب الله وسنة الرسول ﷺ مما كان عليه الصحابة الكرام ومن تبعهم بإحسان الذين رضي الله عنهم: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]. فلنكن من هؤلاء المتبعين بإحسان.

وأؤكد عليكم -أيها الشباب- في الاعتصام بحبل الله والبُعد عن

(١) أخرجه أحمد (١٧١٤٢)، وأبو داود، كتاب: السنة، باب: في لزوم السنة (٣٩٩١)، وابن ماجه في المقدمة، باب: اتِّباع سنَّة الخلفاء الرَّاشدين المهديِّين (٤٣).

التفرق، والتآخي، واستحضار هذه الأمور العظيمة التي تكسبها الأمة، ويكسبها الأفراد في الدنيا والآخرة؛ من الجزاء العظيم في الآخرة، ومنها ظل الله يوم لا ظل إلا ظله.

أسأل الله أن يجعلنا وإياكم من هذه الطائفة الطيبة المباركة، إن ربنا سميع الدعاء.

وصلىٰ الله علىٰ نبيِّنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

* * *

المجلس الرابع
سورة النساء من الآية (٢٤) إلى الآية (١٤٨)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة، والسلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبه ومن اتبع هداه.

وبعد: هذه السورة -سورة النساء- من السور الطوال، وقد اشتملت علىٰ عقائد وأحكام وتشريعات.

تضمُّن سورة النساء لكثيرٍ من الأحكام:

فمن الأحكام التي شرعها تعدد الزوجات، أباح الله ذلك، وأباح للرجال أن يتزوجوا إلىٰ أربع، وكان الناس في الجاهلية في فوضىٰ يتزوج الإنسان ما يشاء؛ ولكن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- قصر ذلك علىٰ أربع، وهذا شيء واسع لمن شعر من نفسه أنه سيعدل بينهن، أما إن كان يخاف ألا يعدل فليس له أن يعدد.

وشرع المواريث بين الأقارب؛ الآباء والأبناء والأزواج والزوجات والبنات وبنات البنين وغيرها، كله قام علىٰ ثلاث آيات من هذه السورة آيتين

في أولها والآية الأخيرة هي خاتمة سورة النساء.

وتوعد الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- من يتلاعب في المواريث ويغير أحكام الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-؛ بأنه سَيصلَىٰ نار جهنم -والعياذ بالله-، لأنه يصادم شريعة الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-.

أمر بتوحيده ﷻ: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ [النساء:٣٦].

وهذه الوصايا تتكرر في كثير من الآيات؛ بالتوحيد وطاعة الوالدين والقيام بحقوق الأقارب والمساكين وابن السبيل، وهذه تربية عظيمة علىٰ البر وعلىٰ الإحسان، وعلىٰ فعل الخير.

وهذا شيء تميز به الإسلام، **هذه التعاليم التي في القرآن العظيم، وفي هذه السورة شيء عجيب، وتربية عظيمة علىٰ الرَّحمة وعلىٰ الشفقة وعلىٰ الإحسان وعلىٰ البر وما شاكل ذلك**، ومع ذلك يطعن أعداء الإسلام في الإسلام، يظنون أنه دين الشدة والقسوة والعنف والقتل إلىٰ آخر ما افتروا به علىٰ الإسلام.

حقيقة الجهاد وغايته:

الإسلام شرع الجهاد، الله شرع الجهاد لأن الله خلق الناس لعبادته ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]. من تفسيرات هذه الآية: إلا لآمرهم وأنهاهم، وطاعة الأوامر والنواهي تدخل في هذه الغاية، وفي عبادة الله ﷻ.

فإذا تمرَّد هذا المجرم علىٰ الله وعلىٰ شريعته وعلىٰ رسله وعلىٰ كتبه فلا يستحق الحياة، وأعداء الله عندهم قوانين ظالمة وفاجرة، من يخالفها يقتلونه ويسجنونه ويفعلون فيه الأفاعيل؛ بل يعتدون علىٰ الشعوب، يذهبون من أقصىٰ الأرض لسفك الدماء ونهب الأموال وانتهاك الأعراض ظُلمًا وبَغيًا وعُدوانًا.

أما الإسلام فإنه في الجهاد ما يريد إلا الخير والصلاح والسعادة للناس في الدنيا والآخرة.

وفيه دعوة حكيمة، يدعو الناس إلىٰ الإسلام، أمرنا أن ندعو إلىٰ الإسلام، فمن استجاب فالحمد لله، ومن لم يستجب يُطلب منه الجزية إن كان كتابيًّا، فإذا أبىٰ أن يدخل في الإسلام وأبىٰ أن يؤدي الجزية حينئذٍ يُشرع القتال الشريف النظيف، ولما بعث رسول الله ﷺ معاذًا رضي الله عنه إلىٰ اليمن قال: **«إنَّكَ تَأتِي قَومًا مِن أَهلِ الكِتَابِ، فَادعُهُم إِلَىٰ شَهَادَةِ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ؛ فَإِن هُم أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعلِمهُم أَنَّ اللهَ افتَرَضَ عَلَيهِم خَمسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَومٍ وَلَيلَةٍ؛ فَإِن هُم أَطَاعُوا لِذَلِكَ؛ فَأَعلِمهُم أَنَّ اللهَ افتَرَضَ عَلَيهِم صَدَقَةً تُؤخَذُ مِن أَغنِيَائِهِم فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِم»**[1].

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب: الزكاة، باب: أخذ الصَّدقة من الأغنياء وتردّ في الفقراء حيث كانوا (١٤٩٦)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: الدُّعاء إلىٰ الشَّهادتين وشرائع الإسلام (١٣٠).

غربة التوحيد وواجب الموحدين:

هكذا علَّمنا رسول الله كيف ندعو النَّاس إلىٰ التوحيد، حتىٰ ولو كانوا أهل كتاب ويدَّعون أنهم يشهدون أن لا إله إلا الله، وأنهم يؤمنون بالنبوات، وأنهم يؤمنون بالجنة والنار، ومع ذلك انحرفوا في تفسير لا إله إلا الله، وفي معناها وصرفوا العبادة لغير الله ﷻ، كما حكىٰ الله عن النصارىٰ أنهم قالوا: إن عيسىٰ ثالث ثلاثة، و أن عيسىٰ هو الله، وأنهم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله.

وقال اليهود: عزير ابن الله، إلىٰ آخر الآيات التي تبيِّن كفرَهم وشركهم، ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [البينة:١]. فدخلوا في الكفر لأنهم وإن ادعوا أنهم يؤمنون بالله ويؤمنون باليوم الآخر ويؤمنون بالنبوات؛ لكنهم كفروا ببعض الأنبياء وفرَّقوا بين الأنبياء فاستحقوا أن يُدعَوا إلىٰ التوحيد كما يدعىٰ المشركون.

الآن فسدت عقائد كثير المسلمين في كثير من بلدان المسلمين، فلم يعرفوا لا إله إلا الله، فوقعوا في الشرك، دعاء غير الله، والاستغاثة بغير الله ... إلىٰ آخره، فيجب أن نبين لهم معنىٰ لا إله إلا الله، أخذًا من كتاب الله ومن سُنة رسول الله ﷺ وسيرًا علىٰ طريقة الرسول الكريم وسيرة الأنبياء السابقين قبله، حتىٰ ولو ادَّعوا الإسلام.

الروافض الغلاة يؤلِّهون أهل البيت، ويُضفُون عليهم من الصفات ما

لا يليق إلا بالله ويرفعونهم فوق درجات الأنبياء، وغيَّروا معنىٰ لا إله إلا الله، فهؤلاء يُدعَونَ إلىٰ التوحيد وإلىٰ ترك هذا الغلو والكفر والعناد.

والصوفية غلَوا في الأولياء، واعتقدوا فيهم أنهم يعلمون الغيب ويتصرفون في الكون ويستجيبون الدعاء ولو كان بينهم وبين هذا الميت آلاف الكيلوات والأميال فإنه يسمعك، فهذا مصادمة لكتاب الله ﷻ الذي أمر ألَّا يُدعىٰ إلا الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، وحكم علىٰ من يدعو غير الله بالشرك والضلال في هذه السورة في آيتين قال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [النساء:٤٨ و١١٦].

فلا يبادرون بتلاوة الآيات، ولا يفهمونها حق الفهم، لا يفهمون الآيات الداعية للتوحيد والآيات الناهية عن الشرك ﴿ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [الأحقاف:٥]، أخطر خطر وقع فيه هؤلاء المنحرفون أنهم يدعون غير الله، ويزعمون أن هذا توسل، يسمُّون الأشياء بغير أسمائها، وهي استغاثة ودعاء لغير الله ودعاء بغير الله، فمن يرتكب هذا يقع في الكفر -والعياذ بالله- ﴿ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءٗ وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ ﴾. فسمىٰ الله هذا الدعاء عبادة، فدعاء غير الله شرك -والعياذ بالله-: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ ﴾ [فاطر:١٣-١٤].

لماذا لا يصدقون هذه الآيات لو كانوا حقًّا صادقين في إسلامهم، ﴿ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ ﴾ أنبياء أو ملائكة.

والله لو وقف عند قبره صباح مساء لا يسمعه هذا النبي أبدًا، لأن الله أخبر وأراد ألَّا يسمع هذا الباطل، فالله يصون مسامع الأنبياء والأولياء عن سماع الشرك فلا يسمعونه ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟﴾ فرضًا ﴿مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾. سمىٰ هذا الدعاء شركًا بالله، وسماه في سورة الأحقاف عبادة، ورسول الله ﷺ قال: «**الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ**»[1].

كقوله ﷺ: «**الحَجُّ عَرَفَةُ**»[2]؛ يعني: معظم العبادات يتضمنها الدعاء، إذا صليت فأنت تدعو، دعوت الله فأنت تدعو وهكذا، فالدعاء هو معظم العبادة، هذا من الحصر الإضافي كما يقول البلاغيون لأهميته، هناك فقهاء وأصحاب عمائم ومدارس وجامعات، يقودون الناس إلىٰ الشرك، وقد ألَّف أهل الضلال كتبًا في الدعوة إلىٰ الشرك والاستغاثة بغير الله، وأيَّدهم من يسمَّون بعلماء، وهم علماء سوء، وعلماء ضلال، وعلماء الشر.

النبهاني اللبناني، كان عميلًا لفرنسَا، وكان رئيس محكمة الحقوق في

---

(١) أخرجه أحمد (١٧٦٢٩)، وأبو داود، كتاب: الصلاة، باب: الدعاء (١٢٦٤)، والترمذي، كتاب: التفسير عن رسول الله ﷺ، باب: ومن سورة البقرة (٢٢٩٥)، وابن ماجه، كتاب: الدعاء، باب: فضل الدعاء (٣٨١٨) عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد (١٨٧٧٤)، والنسائي، كتاب مناسك الحج، باب: الدعاء (٢٩٦٦)، والترمذي كتاب: الحج عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء فيمن أدرك الإمام بجمع فقد أدرك الحج (٨١٤)، وابن ماجه، كتاب: المناسك، باب: من أتىٰ عرفة قبل الفجر ليلة جمع (٣٠٠٦) عن عبد الرحمن بن يعمر رضي الله عنه.

بيروت، تصدىٰ للدعوة السلفية يحاربها ويحارب أهلها، ويسب ابن تيمية وابن عبد الوهاب...، ويجيز الاستغاثة، ويحرِّف كتاب الله وسنة الرسول لتجويز هذا الشرك بالله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، فالشرك أخطر الأخطار، وذنب لا يُغفر، ومن الشرك: دعاء غير الله، والذبح لغير الله، والتوكل علىٰ غير الله، واعتقاد أن الأولياء يعلمون الغيب ويتصرفون في الكون، هذا شرك في الربوبية وذاك شرك في الإلهية.

فعلينا بتوحيد الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، وإنقاذ كثير من الناس بهذا القرآن وبهذه السنة مما هم فيه من الضلال.

فالسلفي يحمل رسالة، يحمل أمانة، عليه أن يتعلم العلم، ويدرس كتب السلف وعقائد السلف، وتفسيرات السلف للقرآن وشروحهم لحديث الرسول -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- ليتمكن في العلم، ويصدق عليه أنه يدعو إلىٰ الله بعلم وبصيرة، يقول: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف:١٠٨]؛ أي: أنا وأتباعي حقًّا ندعو إلىٰ الله علىٰ بصيرة؛ يعني: علىٰ علم، فالداعي بجهل كما يفعل دعاة الضلال والبدع، هم جهال، علىٰ جهل من معرفة طريق الدعوة إلىٰ الله، يدعون إلىٰ الباطل، كثير من أهل البدع والضلال يدعون إلىٰ الباطل، وإن اتسموا بالعلم، وإن حملوا الشهادات، فهم جهال، وكما قال بعض السَّلف: لم يبتدع عالم بدعة قط، وإنَّما ابتدع البدعَ هذه الجهالُ، وإن سموا أنفسهم علماء، فهم جهال.

فتعلَّموا كتاب الله وسنة الرسول ﷺ، وتعلَّموا توحيد الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

❊ ❊ ❊

[أسئلة وأجوبة]

سؤال (١): هل الكفارة في رمضان خاصَّة بالجماع أم لانتهاك حرمة الشهر؟

الجواب: هذه الكفارة خاصة بالجماع، وبعضهم يتوسع فيجعلها عامة بإفطار يوم ولو بدون جماع، ومنهم المالكية، والحق أن هذه الكفارة خاصة بالجماع.

سؤال (٢): دراستكم لكتاب النكت علىٰ مقدمة ابن الصلاح، هل طبعتها الشرعية هي طبعة دار الفرقان، وجزاكم الله خيرًا؟

الجواب: طُلب مني تلخيصها فحذفت كثيرًا من المقدمة -كانت المقدمة طويلة- ثم طُبعت بهذا الشكل، حصلت فيها أخطاء، وحصلت فيها أشياء، لست براضٍ عنها، فأعدنا طبعها من جديد علىٰ وضعها الأول والحمد لله، بمقدمتها والتعديلات التي أردنا أن تكون في طبعة الفرقان كثير منها فات، فاستدركناها في طبعة جديدة -إن شاء الله-.

سؤال (٣): هل يلزم من نصيحة أحد -إذا أخطأ أو وقع في مخالفة- أن يذهب له اثنان أو ثلاثة، بحجة إذا نسي أحدهم شيئًا يذكره الآخر؟

الجواب: لا يلزم، واحد يبيِّن له خطأه، بالحجة والبرهان، نجمع له جيش ينصحون!!

بعضهم يعاند، ماذا تصنع له، ينصحه ثلاثة، أربعة، خمسة، عشرة، عشرون، ما يسمع، ومنهم ناس يدَّعون السلفية.

سؤال (٤): ما حكم عقد القِران في المسجد هل هو من البدع؟

الجواب: لا نستطيع أن نقول من البدع، أما إن كان عندهم عقائد خاصة هذا شيء آخر.

سؤال: (٥): بالنسبة لهجر المبتدع هل يقع على الرءوس، أو الأتباع أو الاثنين، وما هي ضوابط هذا الهجر؛ لأنه عند تطبيقه وخصوصًا مع الأتباع، غالبا ما تحدث مشاكل وفتن؟

الجواب: الهجر للرءوس؛ رءوس الشر ورءوس الفتن ودعاة الباطل، وأما الأتباع، فالأتباع قسمان:

قسم يقبل الحق، يُبيَّن له ويستجيب -إن شاء الله-، نصبر عليه، ونجادله بالتي هي أحسن، ونبين له ونقيم له الحجج، لا نستعجل عليهم، وقسم لا يقبل الحق ويعاند فهذا القسم يلحق بالرءوس.

الرءوس والدعاة هؤلاء يجب التحذير منهم وهجرانهم، ومجالستهم تضر بالناس، وتوقعهم في الضلال، والرسول -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- يقول: «**مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالجَلِيسِ السُّوءِ كَمَثَلِ صَاحِبِ المِسكِ، وَكِيرِ الحَدَّادِ، لَا يَعدمُكَ مِن صَاحِبِ المِسكِ إِمَّا تَشتَرِيهِ، أَو تَجِدُ رِيحَهُ، وَكِيرُ الحَدَّادِ يُحرِقُ بَدَنَكَ أَو ثَوبَكَ أَو تَجِدُ مِنهُ رِيحًا خَبِيثَةً**»[١].

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري، كتاب: البيوع، باب: في العطار وبيع المسك (٢١٠١)، =

فالجليس الصالح «**لَا يَعدمُكَ مِن صَاحِبِ المِسكِ إِمَّا تَشتَرِيهِ، أَو تَجِدُ رِيحَهُ**». فأنت معه علىٰ خير في كل الأحوال ومستفيد منه، ولا يأتيك منه إلا الخير والنفع «**وَكِيرُ الحَدَّادِ**»؛ يعني: حامل الشرك، حامل الضلال، حامل البدع، حامل الفسق، فنافخ الكير كالمبتدع وكالضال «**يُحرِقُ بَدَنَكَ أَو ثَوبَكَ أَو تَجِدُ مِنهُ رِيحًا خَبِيثَةً**». تؤذيك، قد تمرضك، وفعلًا تمرض هذه الروائح.

فأهل البدع روائحهم تمرض، وشرهم يهلك، ينبغي ألا يجالسهم الجاهل، العالم يتصدَّىٰ لإقامة الحجة عليهم، في الأصل ألا يناظره، فإن كان هناك مصلحة في مناظرته يناظره ليقيم عليه الحُجة، وإلا فالأصل التحذير منه والابتعاد عنه وعدم مناظرته وعدم مجالسته، وهذا تجدونه كثيرًا في كتب السلف؛ مشروعية الهجر موجودة في كتاب الله وفي سنة الرسول -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [الأنعام:٦٨]؛ يعني: لا تجالسهم، يؤوِّل لك آيات الصفات، يؤوِّل لك آيات التحذير من البدع والشرك، فأعرض عنه، ابتعد عنه لا تجالسه، والسلف أخذوا من الآية هجران أهل البدع، ومنها أمر عمر بهجر صبيغ، الذي كان «يَسأَلُ عَن أَشيَاءَ مِنَ القُرآنِ فِي أَجنَادِ المُسلِمِينَ حَتَّىٰ قَدِمَ مِصرَ، فَبَعَثَ بِهِ عَمرُو بنُ العَاصِ إِلَىٰ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، فَلَمَّا أَتَاهُ الرَّسُولُ بِالكِتَابِ فَقَرَأَهُ فَقَالَ: أَينَ الرَّجُلُ؟

=

ومسلم، كتاب: البر والصلة والأدب، باب: استحباب مجالسةِ الصالحين ومجانبة قرناء السوء (٦٨٦٠).

قَالَ: فِي الرَّحل.

قَالَ عُمَرُ: أَبصِر أَيكُونُ ذَهَبَ فَتُصِيبَكَ مِنِّي بِهِ العُقُوبَةُ المُوجِعَةُ، فَأَتَاهُ بِهِ فَقَالَ عُمَرُ: تَسأَلُ مُحدَثَةً.

فَأَرسَلَ عُمَرُ إِلَىٰ رَطَائِبَ مِن جَرِيدٍ فَضَرَبَهُ بِهَا حَتَّىٰ تَرَكَ ظَهرَهُ دَبِرَةً، ثُمَّ تَرَكَهُ حَتَّىٰ بَرَأَ، ثُمَّ عَادَ لَهُ ثُمَّ تَرَكَهُ حَتَّىٰ بَرَأَ، فَدَعَا بِهِ لِيَعُودَ لَهُ، قَالَ: فَقَالَ صَبِيغٌ: إِن كُنتَ تُرِيدُ قَتلِي فَاقتُلنِي قَتلًا جَمِيلًا، وَإِن كُنتَ تُرِيدُ أَن تُدَاوِيَنِي فَقَد وَاللهِ بَرَأتُ؛ فَأَذِنَ لَهُ إِلَىٰ أَرضِهِ وَكَتَبَ إِلَىٰ أَبِي مُوسَىٰ الأَشعَرِي: أَلَّا يُجَالِسَهُ أَحَدٌ مِنَ المُسلِمِينَ؛ فَاشتَدَّ ذَلِكَ عَلَىٰ الرَّجُلِ، فَكَتَبَ أَبُو مُوسَىٰ إِلَىٰ عُمَرَ: أَن قَد حَسُنَت هَيئَتُهُ، فَكَتَبَ عُمَرُ أَنِ ائذَن لِلنَّاسِ بِمُجَالَسَتِهِ»(١).

عبد الله بن عمر رضي الله عنهما جاءه رجلان -يحيىٰ بن يعمر، وحميد بن عبد الرحمن الحميري-، وكلمه يحيىٰ بن يعمر، فقال: «**أَبَا عَبدِ الرَّحمَنِ إِنَّهُ قَد ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقرَءُونَ القُرآنَ وَيَتَقَفَّرُونَ العِلمَ -وَذَكَرَ مِن شَأنِهِم-، وَأَنَّهُم يَزعُمُونَ أَن لَا قَدَرَ وَأَنَّ الأَمرَ أُنُفٌ.**

قَالَ: فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخبِرهُم أَنِّي بَرِيءٌ مِنهُم، وَأَنَّهُم بُرَآءُ مِنِّي، وَالَّذِي يَحلِفُ بِهِ عَبدُ اللهِ بنُ عُمَرَ لَو أَنَّ لأَحَدِهِم مِثلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فَأَنفَقَهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنهُ حَتَّىٰ يُؤمِنَ بِالقَدَرِ»(٢).

---

(١) سنن الدارمي (١٥٠).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة السَّاعة (١٠٢).

ثم ساق حديث سؤال جبريل الذي رواه عمر السؤال عن الإسلام والإيمان والإحسان وفيه الإيمان بالقدر... وأيضًا هجر النبي ﷺ للثلاثة الذين تخلَّفوا عن غزوة تبوك[1] ... وهناك أدلة كثيرة علىٰ مشروعية الهجران للغلاة.

جاء السلف ففرقوا بين المبتدعة:

مبتدع داعية، هذا لا يأخذون منه شيئًا من العلم، لا قرآن ولا حديث، ولا فقه لا شيء أبدًا، لأنه لا يؤمَن أن يحرِّف الدين.

وأناس عندهم بدع عبارة عن شُبَه، عندهم دين وصوم وصلاة وصدق وأخلاق لكن عندهم شبه، يؤخذ منهم العلم ثم في نفس الوقت يبيَّن حالهم، فلان قدري، فلان مرجئ، فلان كذا.

هذا ما أقول حول هذا السؤال.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

* * *

(١) أخرجه البخاري، كتاب: المغازي، باب: حديث كعب بن مالك رضي الله عنه (٤١٥٦).

المجلس الخامس: سورة النساء من الآية (١٤٨) إلى سورة المائدة الآية (٨١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبه، ومن اتبع هداه.

أما بعد:

فأسأل الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- أن يجعلنا وإياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، ولاسيما كلام الله وكلام رسولهﷺ.

وقد أعطيتكم لمحة عمَّا تضمنته سورة النساء، وبقي منها ما مرَّ علينا في هذا اللقاء من قول الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ [النساء:١٤٨].

وبيان أحوال مواقف اليهود من الأنبياء ومن عيسىٰ ومن مريم، وبيان مخازيهم ومصيرهم وأنهم إلىٰ النار، وما فيها من نهي عباده عن الغلو، أو نهي أهل الكتاب عن الغلو ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [النساء:١٧١].

وختم هذه السورة بآية المواريث، وقد سبقها آيتان في بيان المواريث، والمواريث من أهم الأحكام الشرعية في الإسلام، وبعضهم يرىٰ أنها نصف العلم، وأظن أن كثيرًا منَّا أصبح لا يهتم بهذا العلم، فاهتموا به وادرسوه.

سماحة الشريعة:

ثم هذه الليلة سمعتم ما قُرئ علينا من هذه السورة الكريمة سورة المائدة، وأن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- أمر فيها بالوفاء بالعقود، وأمر فيها بالقسط والعدل والإنصاف، وأمر فيها بالتعاون علىٰ البر والتقوىٰ، ونهانا عن التعاون علىٰ الإثم والعدوان، وبيَّن أحكام المضطرين ومن تلحقهم المشقة فيُبين الله له سماحة شريعته بخلاف ديانة اليهود فقد كان فيها من الشدة والآصار والأغلال ما عفا الله هذه الأمة عنه، فرفع عنهم الآصار والأغلال، وأمرهم أن يقولوا: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ﴾ [البقرة:٢٨٦].

فالذي يمسُّه الجوع ولا يجد مأكله من الحلال ولا يجد إلا الميتة، أو لحم الخنزير أو الدم أو الموقوذة أو النطيحة فله رخصة ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ﴾ [المائدة:٣].

فهذه الأنواع كلها محرمة في الأصل، أحل الله بهائم الأنعام وحرم علينا هذه الأشياء، ولكن عند الضرورة يسمح الله لعباده أن يتلافوا هذه

الضرورة فيأكلوا من هذه الأنواع التي كانت محرمة عليهم، فأباحها لهم في حال الاضطرار، فهذا دليل علىٰ سماحة هذه الشريعة.

كذلك أمرنا بالوضوء؛ أن نغسل وجوهنا، وأيدينا إلىٰ المرافق، ونمسح برءوسنا، ونغسل أرجلنا إلىٰ الكعبين، فإذا كان أحدنا مريضًا لا يستطيع أن يستعمل الماء أو كان مسافرًا ولم يجد الماء، أو كان جنبًا فلم يجد الماء، فليتيمم، يضرب بيديه في الصعيد الطيب ضربة، فيمسح بها وجهه ويديه، وهذا من رحمته ﷻ: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة:٦].

أخلاق اليهود وسبب تسلطهم على المسلمين:

وتحدثت آيات عن أخلاق اليهود، وكيف كانوا يعاملون موسىٰ -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- لما فرض الله عليهم الجهاد ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ [المائدة:٢٢]، وراجعهم ونصحهم العلماء حتىٰ قالوا في النهاية: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ -والعياذ بالله-.

وكم آذوا موسىٰ، وكم خالفوه في حياته، وكم تمرَّدوا علىٰ الأنبياء، وكم قتلوا منهم، وقتلوا من يأمر بالقسط من الناس فأذلَّهم الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- فلا يعيشون علىٰ وجه الأرض -من ذلك الوقت إلىٰ الآن إلىٰ يوم القيامة، إن شاء الله- إلا بحبل من الله وحبل من الناس، ولولا هذا الحبل الذي يمده لهم النصارىٰ علىٰ اختلاف دولهم، لما قامت لهم دولة ولما استطاعوا أن يسودوا هذا الزمن الذي صمدوا فيه تجاه العرب، الذين

انحرفوا عن دينهم فَسَلَّط الله عليهم أذل خلق الله، ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾ [البقرة:٦١] إلىٰ يوم القيامة.

لكن لمَّا انحرف كثير من المسلمين عن دينهم وعن عقيدتهم، عن أحكام الله وتشريعه، عن عباداته سلط الله عليهم ذلًّا لا يرفعه عنهم حتىٰ يرجعوا إلىٰ دينهم «**إِذَا تَبَايَعتُم بِالعِينَةِ، وَأَخَذتُم أَذنَابَ البَقَرِ، وَرَضِيتُم بِالزَّرعِ، وَتَرَكتُم الجِهَادَ؛ سَلَّطَ اللهُ عَلَيكُم ذُلًّا لَا يَنزِعُهُ حَتَّىٰ تَرجِعُوا إِلَىٰ دِينِكُم**»(١).

والله؛ لا رافع لهذا الذل -عن هذه الأمة- الذي يعيشونه تحت وطأة اليهود والنصارىٰ والوثنيين علىٰ اختلاف أصنافهم، في كل بلدان العالم حتىٰ في عقر دارهم يعيشون عيشة الأذلاء -والعياذ بالله-، إلا العودة الجادة إلىٰ دين الله الحق، في العقائد والأخلاق والعبادات المعاملات والسياسة وسائر شئون الحياة.

تحكيم الشريعة وبيان المعنى الصحيح للحاكمية:

وذكر في هذه السورة أن ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾. وهذا أمر خطير أن يُعرض عن حكم الله ويُحكم بقواعد شريعة الإنس والجن ودساتيرهم وقوانينهم، وهذا مع الأسف حاصل في بلاد المسلمين، مما أدىٰ

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب: البيوع، باب: في النَّهي عن العينة (٣٠٠٣) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

إلىٰ ظهور فتن وسفك دماء.

فعلىٰ حكام مسلمين أن يعودوا إلىٰ الله، فيحكموا بما أنزل الله، وعلىٰ الشعوب الإسلامية أن تعود إلىٰ دين الله الحق؛ عقيدة وعبادة وأخلاقًا.

وبعض الناس يقصرون الحاكمية علىٰ الجانب السياسي في الإسلام؛ ولكن حاكمية الله أوسع من ذلك بكثير، قال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- حاكيًا عن يوسف لما دَعا من معه في السِّجن إلىٰ توحيد الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، ونهاهم عن الشِّرك: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [يوسف:٤٠].

ففي طليعة أحكام الله التزام العقيدة والتوحيد والبعد عن الشرك، لذلك قال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾ [الإسراء:٢٣].

فكل الأسس والأصول والمبادئ والتشريعات، كل هذا داخلة في حاكمية الله بمقتضىٰ هذه الآيات، وليست خاصة بالجانب السياسي الذي تتعلق به الأحزاب السياسية، وفي الوقت نفسه لا يحكِّمون الله في عقائدهم، ولا في عباداتهم، ولا في أخلاقهم، وإنَّما يحكِّمون أهواءهم ويتبعون أعداء الله فيها، ويقولون: ديمقراطية إسلامية، واشتراكية إسلامية، وتمثيل إسلامي، ويركضون وراء الغرب.

فكل ما يقذف به الغرب إلىٰ بلاد المسلمين يكونون في طليعة المستقبلين لهذه الأدواء التي يقذف بها الأعداء، فلنحكِّم الله في عقائدنا وفي عبادتنا وفي سائر شئوننا، والحكم في الجانب السياسي يجب أن يكون لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا يجوز لأي حاكم أن يحكم بأي شيء إلا بأحكام الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، وإلا

إن كان مستحلًّا فهو من الكافرين ومن الظالمين ومن الفاسقين: الكفر الأكبر والفسق الأكبر والظلم الأكبر، وإن كان يؤمن بشريعة الله ويرىٰ أنها حق، وأنه ظالم، وأنه يستحق العقوبة من الله ﷻ، فهذا كفر دون كفر كما قال ذلك ابن عباس رضي الله عنهما حبر هذه الأمة[1]، وتابعه فحول العلماء، وخالفه الخوارج ومن سار علىٰ نهجهم.

فإن هذا من أكبر الكبائر، فالخوارج يكفِّرون بالذنوب في مجال الحاكمية وفي غيرها، يكفِّرون بها المذنبين من المسلمين ويخرجونهم من دائرة الإسلام، وخوارج العصر لا يكفِّرون إلا بالحاكمية؛ فالذي يدعو غير الله، والذي يقول بالحلول، ويقول بوحدة الوجود ... إلىٰ آخره.

هذا عندهم من أئمة الإسلام مع الأسف الشديد، والمسلم يلتزم بشريعة الله وحاكميته في كل كليات الشريعة وجزئياتها.

أما المعاصي منها ما لا يُخرج من الإسلام، كما دل عليه القرآن والسّنة وعليه الصحابة وأئمة الإسلام، ومنها ما يخرج من الملة؛ كالشرك بالله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- والكفر به، والكفر بركن من أركان الإسلام، أو الكفر بركن من أركان الإيمان، أو الكفر بالقدر أو ما شاكل ذلك، **إلَّا أن كثيرًا من هذه الأمة وقعوا في أنواع من الشِّرك بسبب تضليل أئمة السوء والملاحدة والزنادقة لهم، فلبَّسوا عليهم دينهم.**

فنقول: أنت واقع في الكفر، ولا نكفرك ما دمت تجهل، ونقيم له

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٠/ ٣٥٦).

الأدلة علىٰ أن هذا كفر، من كتاب الله ومن سنة رسول الله -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-؛ دعاء غير الله ضلال وكفر وشرك ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [الأحقاف:٥].

﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ [الكوثر:٢].

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

فهذا منهج أهل السنة والجماعة، الجاهل الذي لا يعرف شرع الإسلام معذور فلا يُكفَّر حتىٰ تقام عليه الحجة من كتاب الله وسنة رسولهﷺ.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم.

❊ ❊ ❊

المجلس السَّادس: سورة المائدة من الآية (٨٢) إلى سورة الأنعام الآية (١١٠)

بسم الله الرحمن الرحيم

الرد على دعاة وحدة الأديان:

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أمَّا بعدُ:

فأرجو الله أن نكون قد استفدنا من سماع هذه الآيات التي تُليت علينا من آخر سورة المائدة ومن أوائل سورة الأنعام.

نرجو أن نكون قد استفدنا منها؛ في عقائدنا، وفي عبادتنا، وفي أخلاقنا.

وكالعادة نمرُّ علىٰ بعض الآيات نُلقي في ضوئها بعض الكلمات.

فمن المشاكل القائمة الآن، التي تواجه أهل الحق: الدعوة إلىٰ حرية الأديان، وإلىٰ أخوَّة الأديان...

ويجب أن يعرف المسلمُ الحق اتجاه هذه الهجمات علىٰ الإسلام

بهذه الأساليب الماكرة، احتج من يقول -من الإخوان المسلمين وغيرهم-: النصارىٰ إخواننا، علىٰ أخوَّتهم مع النصارىٰ وغيرهم بقول الله -تَبَارَكَ وَتَعالَىٰ-: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانًا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡحَقِّ وَنَطۡمَعُ أَن يُدۡخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المائدة:٨٢-٨٤].

قالوا: إن الله ذكر في هذه الآية أن النصارىٰ أقرب من اليهود ومن المشركين مودة إلىٰ المسلمين، وما يدرون أو يغالطون أن هذه الآية: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ﴾ في صنف معين؛ هؤلاء الذين تفيض أعينهم مؤمنون كالنجاشي وغيره ممن آمن في عهد الرسولﷺ.

هؤلاء أثنىٰ الله عليهم ووعدهم بالجزاء العظيم في الجنة، ليسوا النصارىٰ المجرمين المعاندين الذين ترىٰ فيهم من هو أشد من اليهود خبثًا وكيدًا ومكرًا للإسلام.

يقولون: بيننا وبين النصارىٰ قرابة ويجب أن نتآخىٰ، ويجب أن نتحاور معهم، ويجب أن نؤاخي بين هذه الأديان.. إلىٰ آخره، ومن منطلقاتهم مثل هذه الآية، وفي بعض المؤتمرات يجعلون القرآن والإنجيل علىٰ منصة

واحدة، ويقرءون مثل هذه الآية، ويقرأ النصارىٰ من آيات الإنجيل التي لعلها ما سلمت من التحريف ليؤاخوا بين الإسلام والنصرانية.

فليفهم المسلمون أن هذا الثناء وهذا المدح؛ إنَّما هو لقوم آمنوا من النصارىٰ في عهد الرسول ﷺ وكان هذا حالهم، النجاشي لما قرأ عليه جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه: «**فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: هَل مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ عَنِ اللهِ مِن شَيءٍ؟ فَقَالَ لَهُ جعفرٌ: نَعَم. فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: فَاقرَأهُ عَلَيَّ، فَقَرَأَ عَلَيهِ صَدرًا مِن كهيعص.**

قَالَت أُم سَلَمَة رضي الله عنها: **فَبَكَىٰ -وَاللهِ- النَّجَاشِيُّ حَتَّىٰ أَخضَلَ لِحيَتَهُ وَبَكَت أَسَاقِفَتُهُ حَتَّىٰ أَخضَلُوا مَصَاحِفَهُم حِينَ سَمِعُوا مَا تَلَا عَلَيهِم، ثُمَّ قَالَ النَّجَاشِيُّ: إِنَّ هَذَا وَاللهِ وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ لَيَخرُجُ مِن مِشكَاةٍ وَاحِدَةٍ**»[1]؛ يعني: في وصف عيسىٰ أنه عبد الله وأنه رسوله.

فالآية تعني هؤلاء ولا تعني النصارىٰ الذين يكيدون للإسلام ويبعثون المبشرين، ولهم مئات، بل آلاف المؤسسات لنشر الكفر وإدخال المسلمين في ديانتهم الفاسدة، وهم يستغلون مثل هذه اللعب، و يضللون به كثيرًا من المسلمين، فيجب علىٰ المسلمين أن يقولوا كلمة الحق، وأن يتمسكوا بالآيات التي توجب علىٰ المؤمن أن يتبرَّأ من اليهود والنَّصارىٰ، وأن يعتقد أنَّهم كفار، وأنهم في النَّار ولا أخوة بين الإسلام والتوحيد، وبين الكفر

---

(١) أخرجه أحمد (١٧٤٠- الرسالة) عن أم سلمة رضي الله عنها.

والشرك، لا لقاء بينهما، لا لقاء بين الإسلام والتوحيد وبين الكفر والشرك بالله والإلحاد بالله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-.

وهذه الدَّعوة تسير، وتُنشر في الصحف، وتنشر في المواقع، وتقام لها المؤتمرات، وكل ذلك ضدّ الإسلام، وتجد من علماء السوء من يدعو إلىٰ هذا المنهج، وإلىٰ هذا الاتحاد والتآخي، علماء سوء كبار، وفي مراكز حساسة قوية في الإفتاء وأمثاله، مفتي مصر يدعو إلىٰ هذا التآخي بين المسلمين وبين النصارىٰ؛ إلىٰ أخوة الديانتين، ويستحيون فقط من اليهود؛ لأنهم محتلون فلسطين، ولولا ذلك لقالوا: اليهود أيضًا إخواننا؛ ولكن يخافون من عوام النَّاس أن يهيجوا عليهم، إن قالوا: هم إخواننا.

هذه نبذة حول ما يجري الآن من قوة النصارىٰ في نشر باطلهم وكفرهم وإلحادهم في العالم الإسلامي، ويقابلهم هؤلاء بالتميع وفتح الباب لهؤلاء لينشروا نصرانيتهم وإلحادهم، نعوذ بالله من علماء السوء ومن دعاة السوء ومن دعاة الشر.

نسأل الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- أن يهديهم أو يريح الناس من شرهم، علىٰ المسلمين ألا يقولوا علىٰ الله إلا الحق.

أشارت السورة إلىٰ الولاء والبراء، الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ فهمتم هذه الآية، ﴿لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡ﴾.

النصارىٰ يقولون: الله ثالث ثلاثة، ويقولون: عيسىٰ ابن الله، ويقولون هو الله ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة:١٧].

كفَّرهم الله في آيات كثيرة، وكفَّر اليهودَ، وبيَّن عداوتهم للإسلام، وفي هذه الآية قال: ﴿أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً﴾، ما قال: يوادون المسلمين، إذ كلهم بعيدون عن الإسلام ويعادون الإسلام؛ ولكن عداوة النصارىٰ في الجملة أخف من عداوة اليهود، وإلا فهم أعداء، وقد يكون فيهم زنادقة أشد من اليهود، وما غرس اليهودَ في بلاد المسلمين إلا النصارىٰ، وما أخذ الحكمَ من الإسلام في القارة الهندية وسلمها للهندوس إلا النصارىٰ، وما سلط الروافض علىٰ أهل السنة إلا النَّصارىٰ، لماذا؟

هذا كله ناشئ من العداوة الخطيرة التي ينطوون عليها للإسلام.

* * *

المجلس السَّابع: (من سورة الأنعام الآية (١١١) إلى سورة الأعراف (٨٧)

بسم الله الرحمن الرحيم

سمعتم هذه الآيات التي تُليت عليكم من آخر سورة الأنعام ومن أوائل سورة الأعراف، وهي آيات عظيمة فيها دعوة إلىٰ توحيد الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، وفيها تشريعات لتحليل الحلال وتحريم الحرام، وفيها إبطال ما كان عليه الجاهليون من شرك بالله وكفر به، ومن تحليل الحرام وتحريم الحلال، وسمعتم الآيات التي يحرمون فيها ما أحل الله ويحلون ما حرم الله.

الوصايا العشر:

الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- أمر رسوله أن يقول: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا

قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

هذه آيات عظيمة محكمة، وفيها هذه التَّشريعات من تحليل الحلال وتحريم الحرام، التَّشريع المعتبر الذي شرعه الله خالق الكون وخالق هؤلاء الذين يتطاولون فيحلِّلون ويحرمون، ومما استباحوه الشرك بالله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، الشرك بالله العليِّ العظيم، الذي خلقهم ورزقهم وسخَّر لهم ما في السَّموات وما في الأرض، جعلوا معه أندادًا من الجمادات وغيرها ممن لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا، ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا.

﴿أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ شيئًا من الأشياء التي تتخذونها أندادًا مع الله، فلا تجعلوا لله ندًّا من هذه الأشياء، ولا تشركوا بالله شيئًا أيضًا من العبادات، فتتقربوا بها إلىٰ غير الله عَزَّوَجَلَّ، ولا حتىٰ مثقال ذرة.

والآيات الآمرة بالتوحيد والناهية عن الشِّرك كثيرة؛ بل كما يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: القرآن كله مداره علىٰ التوحيد[1]، ولا غرو فهذه قضية كبرىٰ من أكبر القضايا؛ قضية التوحيد من أجلها أرسل الله الرسل وأنزل الكتب وحرَّم الشرك وأهلك الأمم التي اتخذت أندادًا وأشركت به؛ لأنهم يستحقون هذا الهلاك في الدنيا، ويستحقون العذاب الأبدي السرمدي في الآخرة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨ و١١٦]. هذه القضية

---

(١) انظر: مدارج السالكين (٣/ ٤٥٠- الفقي).

الأولىٰ من عشر مسائل عظيمة التي بينها الله في هذه الآيات.

﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾، أحسنوا بالوالدين إحسانًا، فيجب أن تبرهما بكل ما يطلق عليه أنه إحسان، وإذا تعاملت معهما بما لا يسمىٰ إحسانًا فذلك من العقوق، والله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- قد أوجب شكرهما وبرهما، وأمر بخفض الجناح لهما.

ولذا قيل: من عِظَم حقهما علىٰ الأولاد أن الله يذكرهما كُلما ذكر التوحيد، أو في كثير من الآيات إذا ذكر فيها الدَّعوة إلىٰ توحيد الله يدعو الناس إلىٰ بر الوالدين، حتىٰ ولو كانا مشركَين، كما قال في سورة لقمان: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ [لقمان:١٤-١٥]؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. فحق الوالدين عظيم بعد حق الله وحق رسوله -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، إلا الطاعة في المعصية؛ فإنك لا تطيعهما وغيرهما إلا في طاعة الله، وعليك أن تعصي كل من أمرك بمعصية الله.

ولو كان أبواك هما الآمرين، ولو كان السلطان وأكبر خليفة وأكبر حاكم علىٰ وجه الأرض لا تطعه في معصية الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، الرسول قرر أنه **«لَا طَاعَةَ لِمَخلُوقٍ فِي مَعصِيَةِ الخَالِقِ»**(١).

---

(١) أخرجه أحمد (١٩٨٢٤ و١٩٨٣٢ و١٩٨٨٠ و١٩٩٠٤ و٢٠٦٥٣ و٢٠٦٥٦ و٢٠٦٥٨
=

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾، يقتل ولده خوف الفقر، أو يقتل ابنته خشية العار والعياذ بالله ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- هو الخالق الرازق، ولن تموت نفسٌ حتىٰ تستوفي ما كُتب لها، والشيطان يأمر بالبخل ويعدكم الفقر، فيأتيهم الشيطان ويخوفهم بالفقر، فيحملهم علىٰ قتل فلذات أكبادهم، تبلغ بهم القسوة علىٰ يدي الشيطان الرجيم إلىٰ أن يقتل ولده خشية الفقر، والعياذ بالله ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾؛ لأن الله هو الرزاق ذو القوة المتين، هو الذي تكفل بأرزاق العباد ﷻ، منهم الغني ومنهم الفقير، هو يغني الغني ويغني الفقير ﷻ.

وكانوا في الجاهلية يقتلون أولادهم، هذا من أعمال الجاهلية التي شرعها لهم شياطين الإنس والجن، انظر رحمة الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- بعباده، كيف يرحم العباد ﷻ، أكثر من الأبوين والأقارب وغيرهم.

رأىٰ رسول ﷺ امرأة في السّبي تبحث عن ابنها فلمَّا رأت ابنها أخذته وألقمته ثديها، فقال رسول الله ﷺ: «**أَتَرَونَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟!**

قُلْنَا: **لَا وَهِي تَقدِرُ عَلَىٰ أَلَّا تَطرَحَهُ!**

=

و٢٠٦٥٩-الرسالة)، والطبراني في الكبير (٣/ ٢١١برقم٣١٥٩ و٣١٦٠) و(١٨/ ١٧٠ و١٧٧ و١٨٤ و٢٢٩برقم٣٨١ و٤٠٧ و٤٣٢ و٤٣٣ و٤٣٤ و٤٣٥ و٥٧٠ و٥٧١) واللفظ له في روايته الثالثة، والحاكم (٣/ ٥٠١برقم٥٨٧٠) عن عمران بن الحصين ﷺ، قال الحاكم: «صحيح الإسناد»، ووافقه الذهبي. وانظر: مجمع الزوائد للهيثمي (٥/ ٤٠٦-٤٠٧/ بغية الرائد)، والصحيحة للألباني برقم (١٧٩).

فَقَالَ: «اللهُ أَرحَمُ بِعِبَادِهِ مِن هَذِهِ بِوَلَدِهَا»[١].

فالله هو الغفور الرَّحيم، وسمىٰ نفسه الرحمن الرحيم، ووصف نفسه بالرحمة في آيات كثيرة، وهو أرحم الراحمين ﷻ، فهو أرحم بالأبناء من آبائهم كما في هذه الآية، وكما في غيرها وكما في الحديث الذي سقته لكم.

﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ﴾، الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- شرع كل الشرائع حمايةً للدِّين، وحمايةً للأعراض، وحمايةً للدماء، وحمايةً للأموال، وحمايةً للأنساب، هذه من الضرورات في كل شريعة، يجب الحفاظ عليها، الدين والنفس والعقل والعرض والمال.

﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ﴾. انتهاك الأعراض -والعياذ بالله- ويؤدي إلىٰ فساد الأنساب وإلىٰ سقوط الأخلاق، وإلىٰ مفاسد لا نهاية لها، وعلىٰ رأسها الزنا وشرب الخمر.

﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ﴾ كل الفواحش ظاهرها وباطنها لا يجوز لمسلم أن يقربها، والنَّهي عن قربانها أقوىٰ من النهي عنها مباشرة؛ لأن النهي عن قربانها يتضمَّن النهي عنها وعن وسائلها وأسبابها، مثل القُبَل والمشي إليها وما شاكل ذلك.

﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ﴾؛ يتضمن هذه كلها: النظر والمشي والمغازلة والقبلة، وما شاكل ذلك، هذه كلها من أسباب الزنا ومن وسائله، وهذا النص

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري، كتاب: الأدب، باب: رحمة الولد وتقبيله ومعانقته (٥٦٥٣)، ومسلم، كتاب: التوبة، باب: في سعة رحمة الله تعالىٰ وأنَّها سبقت غضبه (٧١٥٤).

يتناولها، وفي سورة الإسراء: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾؛ وأمر الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- بجلد الزَّاني إذا كان بكرًا، ذكرًا كان أو أنثىٰ، وبرجم الثيب ذكرًا كان أو أنثىٰ.

وفي الحديث الحكم علىٰ البكر بالجلد والنفي، الجلد مائة جلدة والنفي من الأرض، طرده من هذه البلاد التي أفسد فيها، بعد ذلك يكون سببًا في توبته وتربيته وتأديبًا له، وشرع في الحديث أن الثيب يجلد أولًا مائة جلدة، ثم يرجم «**وَالثَّيِّبُ بِالثَّيِّبِ؛ جَلْدُ مِائَةٍ وَالرَّجْمُ**»(١).

والله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- غفور رحيم أمر بإقامة هذا الحد وعدم الرحمة والشفقة بهؤلاء المجرمين: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾. وأمر بفضحهم ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، هذا من الحفاظ علىٰ الأعراض، جَلد وقَتل ونَفي، كذا وكذا عقوبات لمن ينتهك الأعراض.

ومن يقتل ففيه القصاص، إن أصرَّ ولي القتيل علىٰ القصاص أو الدية، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾. أمر خطير ﴿إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ إلا بما يُصلح ماله وينميه، إذا كان عملك في هذا المال يؤدي إلىٰ الخسارة لا تعمل، لا يجوز لك، وإذا كان لا خسارة ولا ربح اترك، اختر الطريق الناجحة التي هي أحسن لحفظ هذا المال وتنميته بالتجارة وغيرها.

وذكر الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- الوعيد الشَّديد ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ

(١) أخرجه مسلم، كتاب: الحدود، باب: حد الزنا (٤٥٠٩) عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ﴾ [النساء: ١٠].

هل تجد مثل هذه التعاليم في الدنيا كلها؟! حماية الدماء والأعراض، وحماية الأطفال، وحماية أموالهم، يحميه ألَّا يقتل، ويحمي ماله، أين هذا التشريع؟!

هل هناك تشريع أكمل من تشريع الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- أو يقاربه؟

فلماذا يختار المجرمون تشريعات غير تشريعات الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-؟!

نسأل الله أن يفقهنا وإياكم في دينه، ويجعلنا وإياكم ممن يستمع القول فيتبع أحسنه.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

❊ ❊ ❊

المجلس الثامن: من سورة الأعراف الآية (٨٨) إلى سورة الأنفال الآية (٤٠)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصَّلاة والسلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبه ومن اتَّبع هداه.

أمَّا بعد:

وجوب اتباع ما جاء به محمد ﷺ:

فأرجو أن نكون قد استفدنا من تلاوة هذه الآيات الكريمات من سورة الأعراف ومن أوائل سورة الأنفال، وأذكِّركم بشيء مما مرَّ بالأمس وفي هذه اللَّيلة، ذكر الله في سورة الأعراف، أو أمر الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- هذه الأمة باتباع ما أُنزل إليهم: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ﴾ [الأعراف: ٣].

فالأمة مأمورة باتباع ما أُنزِل إليها في عقائدها وعباداتها وأعمالها وسياساتها وأخلاقها، وليس لهم أي حق أن يتبعوا أي شخص كائنًا مَن كان

في مخالفة ما نُزِّل إليهم، «لَا طَاعَةَ لِمَخلُوقٍ فِي مَعصِيَةِ الخَالِقِ»[(١)].

ومن علامات الضَّلال مخالفة ما جاء به محمد ﷺ في قليل أو كثير، ومتابعة أولياء من دون الله، وهذا من علامات الضلال.

كيد الشيطان لبني آدم:

ومما ذكر الله في هذه الآيات لنتعظ ونعتبر، قصة آدم وإبليس، وفيها عبر، أمر الله إبليس أن يسجد لآدم فأبىٰ واستكبر وكان من الكافرين، وآلىٰ علىٰ نفسه ليغوين ذرية آدم، طلب من الله أن يُنظره إلىٰ يوم يبعثون، فأنظره الله، فحلف بالله ليقعدن لهم عن أيمانهم وعن شمائلهم ومن خلفهم ولا يجد أكثرهم شاكرين، وسعىٰ الخبيث في تنفيذ هذا الوعد الخبيث في تضليل بني آدم فأوقعهم في الشرك والضَّلالات والفواحش إلىٰ آخر سبله الشَّيطانية، وحذَّر الله بني آدم من هذا الخبيث ومن كيده ومكره، فقد كاد لأبيهم، وحذرهم أن يكيد لهم.

ووفق الله أولياءه فخالفوا الشيطان واتبعوا أمر الله واتبعوا شرعه، وأطاع الشيطانَ من أضله الله وأخزاه من الكافرين من أهل الكتاب ومن غيرهم، وقصَّ الله في ذلك قصص الأنبياء؛ نوح -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- الذي دعا قومه إلىٰ توحيد الله، وحذَّرهم من الشرك وأمرهم بعبادة الله وحده سبحانه وتعالى، فكذَّبوه وكابروه وعاندوه فأهلكهم الله، وأتبعه بهود -عَلَيهِ الصَّلَاةُ

---

(١) سبق تخريجه: (ص: ٧٩)

وَالسَّلَامُ- في قومه عاد، دعاهم إلىٰ توحيد الله وإخلاص الدين له فكذَّبوه وعاندوه فأهلكهم الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- وجعلهم عبرة للمعتبرين.

وكذلك قوم صالح وهم ثمود فكذَّبوه وعاندوه فأهلكهم الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- وهم يستحقون الهلاك في الدنيا والعذاب الأبدي والسرمدي في الآخرة.

وكذلك قوم شعيب، وكذلك فعل فرعون مع موسىٰ -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- وقومه كفروا وكذَّبوا وعاندوا، واستعانوا بالسَّحرة ليغلبوه، فردَّ الله كيدهم في نحورهم، وهدىٰ الله السَّحرة إلىٰ الإسلام، لما رأوا صدق موسىٰ وما أظهر الله علىٰ يديه من المعجزات الباهرة التي أبطل بها كيدهم وسحرهم، فأراد الله بهم خيرًا فآمنوا واتبعوا موسىٰ -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

وقص قصص بني إسرائيل في حال صبرهم وفي حال انحرافهم ومخالفاتهم لموسىٰ -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-... إلىٰ آخر ما قص الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-.

مكانة محمد رسول الله ﷺ:

وذكر في خلال قصة بني إسرائيل مكانة محمد ﷺ، ونقف عندها الآن نُلقي عليها شيئًا من الكلام، قال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ

ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ إلىٰ آخر الآيات.

بيَّن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- مكانة محمد ﷺ، وأن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- أشاد به في الكتب السابقة، ووصفه بالصفات التي ذكرها في هذه الآيات من أنه يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر، ويحل الطيبات ويحرِّم الخبائث.

والطيبات هي ما تستحسنها العقول وتحترمها، وتستفيد منها الأبدان وتستفيد منها العقول، وهي التي أباحها الله لهذه الأمة.

وحرَّم عليها الخبائث، والخبائث هي ما تستقبحها العقول والفطر وتستنكرها من المحرمات الخبيثة؛ كالخمر والزنا وأكل لحم الخنزير وأكل الميتة والوقيعة في المحرمات التي سلف ذكرها في سورة المائدة.

فبُعث بهذه الشريعة السمحاء التي لا آصار فيها ولا أغلال، إذ كان في شريعة بني إسرائيل أغلال وآصار شرعها الله لهم مكافأة لهم علىٰ تمردهم ومخالفاتهم، وكلما تمردوا علىٰ شريعة موسىٰ -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- زادهم الله أثقالًا وآصارًا وأغلالًا، وبعث الله محمدًا ﷺ بهذه الشريعة السمحة التي لا آصار فيها ولا أغلال.

الشاهد من هذه الآيات: مكانة محمد ﷺ، وبيان مكانة شريعته التي

تميزت علىٰ كل الشرائع، وبيان منزلته التي فضله الله فيها علىٰ سائر الرسل -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، ومن هنا ختم بمحمد ﷺ النبيين وختم برسالته الرسالات.

فيا أيها الشَّباب، لقد أكرم الله هذه الأمة بأكرم رسول الله وبأفضل رسول، وأكرمها بهذه الرسالة التي تميزت بميزات كثيرة، ومنها احترام الأنبياء والأمر باتباعهم في توحيد الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، ومنها تحريم الخبائث وتحليل الطيبات، وفيها السماحة والتخليص من الآصار والأغلال التي كانت علىٰ من قبلنا، فلنحمد الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- ولنشكر الذي أرسل إلينا هذا الرسول، والذي بعثه بهذه الرِّسالة الكاملة، علينا أن نتبعه وأن نطيعه ولا نخالفه فيما جاء في كتابه وسنة نبيه من عقائد، ولا فيما جاء به من عبادات، ولا فيما جاء به من أخلاق.

أسأل الله أن يوفق الأمَّة جميعًا للرُّجوع إلىٰ هذه الشَّريعة السمحاء والتمسك بها والعض عليها بالنواجذ، وأن يبعث لهذه الأمة من يقودها إلىٰ اتِّباع هذه الشَّريعة وإلىٰ سبيل النجاة في الدنيا والآخرة، وإلىٰ سبيل العزة والكرامة، إن ربنا لسميع الدعاء.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم، ووفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه.

والسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المجلس التاسع: (من سورة الأنفال الآية (٤١) إلى سورة التَّوبة الآية (٩٢)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبه ومن اتَّبع هداه.

أمَّا بعدُ:

فأسأل الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- أن يجعلنا وإيَّاكم من الذين يستمعون القول فيتَّبعون أحسنه.

وقد سمعتم هذه الآيات التي تُليت علينا من سورة الأنفال ومن سورة براءة، وكيف تحدثت عن الجهاد في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبيان صفات المنافقين وطعنهم في الرسول ﷺ، وغمزهم ولمزهم والسخرية بالمسلمين ونكولهم عن الجهاد، فذمَّهم الله ذمًّا شديدًا وفضحهم في سورة براءة، وبعض العلماء يسمِّيها الفاضحة لأنها فضحت المنافقين وكشفت عن أحوالهم وخياناتهم وكذبهم وغدرهم وتثبيطهم عن الجهاد.

بعض أحكام الجهاد الإيمانية والعملية:

وحيث إنَّه كثُر الكلام عن الجهاد في هاتين السُّورتين فسأختار بعض الآيات في هذا الموضوع، وأتكلَّم عليها بما يسر الله.

كذلك إن اتَّسع الوقت سأتحدَّث عن الإيمان الذي لا يكون الجهاد إلا به؛ الإيمان الكامل؛ لأنَّ صحابة محمَّد ﷺ كانوا أكمل الناس إيمانًا، فقاموا بهذا الجهاد ففتح الله علىٰ أيديهم الدنيا، وأذل الله لهم الأمم الكافرة وأسلم معظم الشُّعوب في ذلك العهد، من التُّرك ومن الصقالبة والقبط والأحباش والبربر وغيرهم، من مشارق الأرض ومغاربها.

هذه الأمم بجيوشها وقواها انهزمت أمام الإيمان الصادق والمؤمنين الصَّادقين، والآيات التي حثَّ الله فيها علىٰ الجهاد، قوله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- في سورة الأنفال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾.

وفي آية أخرىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾.

فأمر الله أصحاب محمَّد ﷺ ومن سار علىٰ نهجهم بالجهاد لإعلاء كلمة الله، والثبات في مواجهة الزَّحف من الأعداء إذا تكالبوا، ونهاهم أن يسببوا هزيمة الجيش الإسلامي قال: ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴾.

فلا يجوز للمسلم إذا كان في جيش الإسلام المجاهد، لا يجوز له أن يولي الدبر؛ أي: يفر وينهزم إلا في حالتين:

إذا كان متحيزًا إلىٰ فئة؛ يعني هو في الميسرة ففر إلىٰ الميمنة ليتعاون معها، أو يتحيز إلىٰ أميره أو إمام المسلمين هذا لا ينصبُّ عليه هذا الوعيد، وكذلك إذا كان في الميمنة ورأىٰ أن ينحاز إلىٰ الميسرة ليساعدهم ويقويهم علىٰ عدوهم فإن هذا لا يتناوله هذا الذم وهذا الوعيد.

والحالة أن يتظاهر بالفرار مكيدة لعدوه فيريه أنه قد خاف منه فيتبعه العدو فيكر عليه فيقتله فلا بأس في ذلك.

ومن ولىٰ الأدبار جبنًا وهلعًا وخوفًا، فقد توعده بأنه قد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير، فهذا وعيد شديد لمن يفرُّ عند مواجهة الأعداء؛ لأنَّ ذلك يسبب نكبة للمسلمين ويسبب هزيمة المسلمين إلا في الحالتين اللتين مرَّ ذكرهما، وقد جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ عن الكبائر: «**اجتَنِبُوا السَّبعَ المُوبِقَاتِ!**

قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: **الشِّركُ بِاللهِ، وَالسِّحرُ، وَقَتلُ النَّفسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَأَكلُ الرِّبَا، وَالتَّوَلِّي يَومَ الزَّحفِ، وَقَذفُ المُحصَنَاتِ الغَافِلَاتِ المُؤمِنَاتِ**»[(١)]؛ يعني: الانهزام أمام الأعداء والفرار حرصًا علىٰ الحياة وخوفًا من الموت، والله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- اشترىٰ من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، فأنت بعت نفسك لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- وثمن نفسك هذه الجنة؛ جنة عرضها السَّموات والأرض، وقد ينال

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري، كتاب: الوصايا، باب: قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء:١٠]. (٢٦١٥)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان الكبائر وأكبرها (٢٧٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

المجاهد عند الله مئات الدَّرجات في الجنة، فلماذا يفرِّط في الجنة ويجبن ويفر حفاظًا علىٰ نفسه وفي نفس الوقت يضر بالإسلام والمسلمين؟!

الرَّسول -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- يوم بدر قال: «**قُومُوا إِلَىٰ جَنَّةٍ عَرضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرضُ!**

قَالَ: يَقُولُ عُمَيرُ بنُ الحُمَامِ الأنصَارِيُّ: يَا رَسُولَ اللهِ، جَنَّةٌ عَرضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرضُ!!

قَالَ: **نَعَم.**

قَالَ: بَخٍ بَخٍ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **مَا يَحمِلُكَ عَلَىٰ قَولِكَ: بَخٍ بَخٍ!**

قَالَ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، إِلَّا رَجَاءَةَ أَن أَكُونَ مِن أَهلِهَا.

قَالَ: **فَإِنَّكَ مِن أَهلِهَا**، فَأَخرَجَ تَمَرَاتٍ مِن قَرنِهِ فَجَعَلَ يَأكُلُ مِنهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَئِن أَنَا حَيِيتُ حَتَّىٰ آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، -قَالَ-: فَرَمَىٰ بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمرِ. ثُمَّ قَاتَلَهُم حَتَّىٰ قُتِلَ»(١).

يقول:

ركــضا إلــىٰ الله بغيــر زاد إلَّا التقــي وعمــل المعــاد(٢)

(١) أخرجه مسلم، كتاب: الإمارة، باب: ثبوت الجنَّة للشَّهيد (٥٠٢٤).

(٢) انظر: تاريخ الطبري (٢/ ٣٣)، والاستيعاب لابن عبد البر (ص٤٨٤-٤٨٥ ت١٧٠٩- الأعلام)، والسيرة النبوية لابن كثير (٢/ ٤٢٢)، والإصابة لابن حجر (٥/ ٣١-٣٢ ت ٦٠٢٥).

ونصرهم الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- في معركة بدر وهم قلة بسبب إيمانهم الصَّادق، وإخلاصهم لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- وثباتهم، ووجود الرسول ﷺ بين أظهرهم يدعو الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- أن ينصرهم، ولم لا يصبر المؤمنون علىٰ الجهاد، ليس حياة الرسول فحسب، بل في الجهاد دائمًا، فمن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت، ومن كان يعبد محمدًا فإنَّ محمدًا ﷺ قد مات، ولم ينكر صحابته الكرام الجهاد؛ بل استمروا في الجهاد، بدءوا بأهل الردة فقضوا علىٰ الردة واندثرت، ثم علىٰ قلتهم وضعفهم فتحوا جبهتين:

جبهة اتجاه الفرس أكبر قوة في ذلك الوقت.

وجبهة الروم كذلك.

وهم قلة؛ ولكنهم متوكلون علىٰ الله ومعتصمون به، وموقنون بأن الله سينصرهم، وسيُظهر دينهم ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣٣].

وقال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال:٤٥-٤٦]. فأمرهم بالثبات في الجهاد وأمرهم بالصبر ونهاهم عن النزاع والاختلاف، فإن وحدة الكلمة؛ وحدة الصَّف والتآخي فيه مع الإيمان الصادق والإخلاص لله، أهم أسباب النصر علىٰ أعداء الله، وعدم الصبر وعدم الثبات والتخاذل والاختلاف والتفرُّق من أسباب الفشل والذل والهوان كما قاله في هذه الآية ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾.

المسلمون في الأخير ضعفوا في إيمانهم، وكثير منهم انحرفوا في عقائدهم، في إيمانهم، فلم يستحقوا النصر من الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، ولم يستحقوا العناية من الرَّب والرعاية لهم، لأنهم أخلُّوا بدينه وخالفوا منهج الإسلام، وخالفوا ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، فأصبحوا لا يستحقون من الله النصر، وإنما أصبحوا يستحقون منه الذل والهوان «**إِذَا تَبَايَعتُم بِالعِينَةِ وَأَخَذتُم أَذنَابَ البَقَرِ، وَرَضِيتُم بِالزَّرعِ، وَتَرَكتُم الجِهَادَ؛ سَلَّطَ اللهُ عَلَيكُم ذُلًّا لَا يَنزِعُهُ حَتَّىٰ تَرجِعُوا إِلَىٰ دِينِكُم**»(١).

فضيع المسلمون الجهاد الآن ورسول الله قال: «**نُصِرتُ بِالرُّعبِ مَسِيرَةَ شَهرٍ، وَجُعِلَت لِي الأَرضُ مَسجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِن أُمَّتِي أَدرَكَتهُ الصَّلَاةُ فَليُصَلِّ، وَأُحِلَّت لِي المَغَانِمُ وَلَم تَحِلَّ لأَحَدٍ قَبلِي، وَأُعطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبعَثُ إِلَىٰ قَومِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثتُ إِلَىٰ النَّاسِ عَامَّةً**»(٢). -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

الشاهد: أن الله وعد رسوله ﷺ بالنصر وأحل له الغنائم وكانت الغنائم محرمة علىٰ بني إسرائيل، كانوا إذا انتصروا علىٰ عدو وهذا نادر منهم لكثرة تمردهم علىٰ أنبيائهم، تنزل نار من السماء لتحرق هذه الغنائم، والرسول يقول: «**وَأُحِلَّت لِي المَغَانِمُ**». لنتقوىٰ بها علىٰ الجهاد في سبيل الله.

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب: البيوع، باب: في النَّهي عن العينة (٣٠٠٣) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: التيمم، (٤٢٧) ومسلم كتاب المساجد باب (١١٩١) عن جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما.

وفَّق الله الجميع، ووفق المسلمين، وهيأ لهم الدعاة الصادقين المخلصين ليعودوا بهم إلىٰ دين الله ﷻ وإلىٰ الإيمان الصادق وإلىٰ التوحيد الخالص، هذه الأمور التي لا يتحقَّق لهم نصر ولا عِزٌّ إلا بها، فإن قاموا بها نصرهم الله، فإن الله لا يُخلف الميعاد ولا يغير سنته ولن تجد لسنة الله تبديلًا، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد:١١].

أسأل الله أن يوفق لهذه الأمة رجالًا صادقين ناصحين يبصرونها بدين الله وبتوحيد الله وبالإيمان بالله.

وفي هذه السورة سورة الأنفال: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال:٦٠].

فالمسلمون فقدوا العُدَّتَين:

* عدة الإيمان وهي الأساس.
* وعدة السلاح.

فأسلحتهم أصبحت أمام الأعداء كَلُعَبِ الأطفال مع الأسف الشديد، وهم أصبحوا لُعَبًا بأيدي الأعداء، فمتىٰ يفيقون؟ ومتىٰ يعودون؟ ومتىٰ يرشدون؟

نسأل الله أن يتم ذلك قريبًا إن ربنا سميع الدعاء، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

المجلس العاشر: من سورة التوبة الآية (٩٣) إلى آخر سورة يونس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصَّلاة والسَّلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبه، ومن اتَّبع هداه.

أمَّا بعدُ: فنسأل الله أن يجعلنا وإياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأحسن القول قول الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، وأرجو أن نكون قد استمتعنا بهذه التلاوة لكتاب الله واستفدنا وازددنا بذلك إيمانًا كما قال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- في المؤمنين حقًّا: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال:٢-٤].

فنرجو أن نكون بسماع آيات الله قد ازددنا إيمانًا، وكُنَّا من المؤمنين حقًّا، نسأل الله أن نكون كذلك.

وما سمعناه الليلة من سورة براءة ومن سورة يونس، فيها عظات وفيها عبر، وفيها تقرير للتوحيد، وتقرير لرسالة محمد ﷺ، وفيها إفحام المشركين

الكافرين بالحجج القاهرة في معظم سورة يونس، وهي من السور المكية التي كانت تدور حول التوحيد، وحول تقرير الجزاء والمعاد، وسوف ألقي كلمات حول بعض الآيات من آخر التوبة، ومن أول سورة يونس فلعلنا نستفيد -إن شاء الله- من ذلك.

في سورة التوبة ندد الله بالمنافقين وفضح نياتهم، وفضح سرائرهم، وبيَّن أساليبهم ومكرهم وكذبهم وخياناتهم وتوعدهم الوعيد الشديد سواء كانوا من أهل الأرياف والمدن أو كانوا من الأعراب.

ثناء الله على الصحابة الأطهار ومتبعيهم:

وأثنىٰ الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- علىٰ المؤمنين الصادقين من أصحاب محمد ﷺ - أثنىٰ عليهم ثناءً عطرًا، وبيَّن الله أنه قد رضي عنهم ورضوا عنه، وجعلهم أسوة للأمة، ولا يكون متأسِّيًا بهم إلَّا من سلك مناهجهم واتبع سبيلهم، وذلك هو المتبع بإحسان، قال الله في الثناء عليهم: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ -رضوان الله عليهم-، المهاجرون الذين هجروا بلدانهم إلىٰ دار الإيمان والتوحيد إلىٰ المدينة، سواء من مكة أو من غيرها، والأنصار هم الذين تبوءوا الدار والإيمان وقد أثنىٰ الله عليهم ثناء عطرًا ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ

هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر:٩] -رضوان الله عليهم-، ما تضايقوا بالمهاجرين، بل يحبونهم ويكرمونهم ويؤثرونهم علىٰ أنفسهم ولو كانت بهم خصاصة، فاستحقوا من الله الثناء العظيم، والجزاء العظيم -رضوان الله عليهم-.

ومن يتبعهم بإحسان فيتمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ في عقيدته ومنهجه وأخلاقه، وفي تحليل الحلال وتحريم الحرام، والسياسة والاقتصاد وما شاكل ذلك، يتابعونهم حذو القذة بالقذة، هؤلاء ينالهم هذا الرضوان من الله تعالىٰ -رَضِيَ اللهُ عَنهُم ورضوا عنه-.

فكونوا -أيها الإخوة- من المتبعين بإحسان، حتىٰ تَحظوا برضا الله عنكم، والجزاء العظيم الذي وعد به هؤلاء الذين رضي عنهم من الصحابة من المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسان.

وقال في آيات أخر: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ﴾ إلىٰ أن قال: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة:١١-١٢].

انظر هذه الصفات؛ صفات المؤمنين الصادقين وعلىٰ رأسهم أصحاب محمد ﷺ، وقد -والله- باعوا أنفسهم وأموالهم بجنة عرضها السَّموات والأرض، وبشرهم الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- بالوفاء بهذه البيعة والوفاء بهذا العهد،

ومن سلك سبيلهم يناله هذا الوعد العظيم.

وقد وصفهم الله تعالىٰ بهذه الصفات العظيمة:

﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ﴾؛ إذا وقع الإنسان في ذنب سارع بالتوبة إلىٰ الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، والتوبة يقول بعض العلماء: أنها لا تستوجب سبق ذنب قال: لقد تاب علىٰ المهاجرين والأنصار -رضوان الله عليهم-.

﴿ٱلْعَـٰبِدُونَ﴾؛ يعبدون الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- يصلون ويصومون ويتصدقون ويجاهدون، ويذكرون الله كثيرًا ويسبحونه بكرة وأصيلًا.

﴿ٱلسَّـٰٓئِحُونَ﴾؛ هم الصائمون، كما قال ذلك المفسرون.

﴿ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ﴾؛ يكثرون من الصلوات ويقومون بالفرائض علىٰ أكمل الوجوه، ويقومون بالتطوُّعات من قيام الليل والتهجد ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات:١٧-١٩].

﴿وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾؛ للحلال والحرام وغيره -رضوان الله عليهم-، يستحقُّون من الله الرضوان والرحمة.

فترسَّموا خُطا هؤلاء الأتقياء السباقين الأبرار -رضوان الله عليهم-، وامشوا علىٰ منوالهم في عقائدكم وعباداتكم وسائر شئون حياتكم «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِن أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَىٰ الحَقِّ لَا يَضُرُّهُم مَن خَذَلَهُم حَتَّىٰ يَأْتِي أَمرُ اللهِ وَهُم كَذَلِكَ**»(١).

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري، كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: قول النبي ﷺ: =

هذه الطائفة هي التي تثبت علىٰ ما عليه رسول الله وأصحابه، وتتمسك بكتاب الله وتعتصم به في كل المجالات، واحرصوا أن تكونوا منهم إن شاء الله.

من أخلاق المصطفى ﷺ:

وأثنىٰ الله علىٰ رسوله ﷺ، وبيَّن من صفاته، وصفاته عظيمة وكثيرة ﷺ، وقد ألَّف العلماء مجلدات في صفاته ودلائل نبوته -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨].

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ إما من البشر، أو من أنفسكم من العرب، اختاره الله منهم وبعثه بلسانهم بلغتهم حتىٰ يفقهوا هذا القرآن ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف:٣].

فالناس تَبع لهم في ذلك؛ لأن رسالة الرسول -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- عامة ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ:٢٨].

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧]. ثم وصفه بأنه رءوف رحيم؛ أي: حريص علىٰ إيمان الناس ودخولهم في الدين لينجوا من عذاب الله

=

«**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين علىٰ الحق**» (٦٨٨١)، ومسلم، كتاب: الإمارة، باب: قوله ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمَّتي ظاهرين علىٰ الحقِّ لا يضرُّهم من خالفهم**» (٥٠٥٩) عن المغيرة وثوبان رضي الله عنهما.

ومن سخطه ومن أليم عقابه، لشدة رحمته -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، والرأفة: شدة الرحمة، فعلينا أن نتحلىٰ بهذه الأخلاق وهو نبي الرحمة -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح:٢٩].

«**الرَّاحِمُونَ يَرحَمُهُم الرَّحمَنُ، ارحَمُوا مَن فِي الأرضِ يَرحَمكُم مَن فِي السَّمَاءِ**»(١)، كل من في الأرض؛ من البشر ومن الحيوانات ومن الدواب وغيرها.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة:١٢٩].

فإن تولىٰ المشركون عنك وعن دعوتك؛ فإنما وبال ذلك عليهم ولا يضرك ذلك؛ فإن الله معك وهو حسبك؛ أي: كافيك كيدهم ومكرهم ويحميك من كل سوء، فتوكل عليه في كل شئونك فإنه هو إلهك وإله الخلق أجمعين لا معبود بحق سواه وهو رب العرش العظيم، والعرش في اللغة: سرير الملك، فعرشه عظيم ومجيد لأنه عرش رب السموات والأرضين ومالك المخلوقات أجمعين.

تقرير سورة يونس لتوحيد الربوبية:

ننتقل إلىٰ بعض الآيات في سورة يونس، وهي حول بعض العقائد وكلها تدور حول العقائد؛ أكثرها حول توحيد الربوبية وتقرير هذا التوحيد،

---

(١) أخرجه أحمد (٦٤٩٦- الرسالة)، وأبو داود، كتاب: الأدب، باب: في الرَّحمة (٤٢٩٠)، والترمذي، كتاب: البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في رحمة النَّاس (١٨٤٧) عن عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما. وقال الترمذي: حسن صحيح.

والحجج القاطعة التي تدحض أباطيلهم، من آيات التوحيد؛ توحيد الأسماء والصفات قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [يونس:٣].

خلق السَّموات والأرض في ستة أيام، قالوا: هذه الأيام مثل أيامنا هذه، وقالوا: إن اليوم بألف سنة، والله أعلم، وقد تكون أقصر من هذه الأيام، قال الله -تبارك وتعالى- في آية أخرى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ [فصلت:١١].

﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس:٨٢] سبحانه وتعالى، قالوا: ذكر الله أنه خلق السَّموات والأرض في ستة أيام ليُعلِّم عباده الأناة في الأمور والتؤدة والتأني وعدم العجلة وعدم التسرع في الأشياء، وإلا فهو يقول للشيء: كن فيكون ولا يتخلف، قالوا: هذا تعليم للبشر، فلنستفد من تعليم الله -تبارك وتعالى- ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾.

﴿ ثُمَّ ﴾ هنالك ترتيب زمني، فهذا الاستواء حصل بعد أن خلق سبحانه وتعالى السَّموات والأرض، يفعل ما يشاء ويختار، شاء أن يكون فوق جميع مخلوقاته، وهذا من كماله، العرش هو سقف المخلوقات كلها، سقف للسموات والأرض والجنان؛ الجنات التي عرضها السَّموات والأرض، عرش الله العظيم، الله وصفه بالعظمة سبحانه وتعالى، هو رب العرش العظيم سبحانه وتعالى.

ولا يليق بجلاله إلا ذلك، وتنزه أن يكون في الكون ولا يكون كما

يقول المعتزلة والجهمية وأذنابهم: إنه لا فوق ولا تحت ولا يمين ولا يسار، وإنَّما هو فوق.

﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ [النحل:٥٠].

﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ [المعارج:٤].

﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ [فاطر:١٠].

وأدلة علو الله واستوائه علىٰ عرشه تبلغ ألف دليل[1] وكلها حجج دامغة لمن يحرِّف نصوص القرآن والسنة ويخالف العقل والفطرة.

* * *

(١) انظر: اجتماع الجيوش الإسلامية (ص٢١٣- الكتب العلمية)، والصواعق المرسلة (١/ ٢٩٤- العاصمة)، كلاهما لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وشرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (ص١٦٤-السلام).

المجلس الحادي عشر:
من أول سورة هود إلى سورة يوسف الآية (٥٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصَّلاة والسلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أمَّا بعد:

فأرجو أن نكون قد استفدنا من تلاوة هذه الآيات الكريمات من سورة هود، وسورة يوسف -عَلَيهِما الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

وقد قصَّ الله علينا في سورة هود عددًا من قصص الأنبياء، لنتَّخذ من هذه القصص عبرًا وعظات، ونتأسَّىٰ بهم في الدَّعوة إلىٰ الله، والصبر علىٰ الأذي في مقابلة المجرمين بالأخلاق العَالية كما يتمتَّع بذلك هؤلاء الرُّسل الكرام -عَلَيهِم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

هذه القصص يقصها الله ليستفيد منها المسلمون في حياتهم، في علمهم، في عملهم، في جهادهم، في صبرهم، في دعوتهم.

الأمر بالاستقامة:

وأقف بكم مع آيتين عظيمتين من سورة هود وهما قول الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ [هود:١١٢-١١٣].

أمر الله رسوله بالاستقامة ومن تاب معه؛ إذ كانوا في جهل وضلال وشرك وجاهلية، فمنَّ الله عليهم فتابوا إلىٰ الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، فكانوا خير أمة أخرجت للناس لا كان ولا يكون مثلهم، في الصبر والثبات والاستقامة والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأمة محمد بعدهم تبع لهم.

وليس هذا الأمر بالاستقامة خاصًّا برسول الله وأصحابه؛ بل هذا عام للأمة كلها، أمر الله بالاستقامة شامل لهذه الأمة إلىٰ يوم القيامة: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾.

أمره في آيات كثيرة بالثبات والصبر والجهاد في سائر الميادين التي يدعو فيها رسول الله ﷺ، يكون فيها مستقيمًا وتكون الأمة كذلك، وفسرت الاستقامة بالتوحيد، وفسرت بسائر الأعمال الصالحة، وهي كذلك، المطلوب من المؤمنين الاستقامة في كل ما شرعه الله في كتابه وعلىٰ لسان رسوله ﷺ أن يثبتوا وأن يستقيموا، وقد أثنىٰ الله علىٰ المستقيمين الثابتين علىٰ دينه في آيات كثيرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾

أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾ [فصلت:٣٠-٣١].

هذا يقال لمن استقام وثبت علىٰ دين الله الحق في حياته، فينزل الله عليه الملائكة يبشرونه بمستقبل زاهر، وهو جنة عرضها السَّموات والأرض، وأن الله وليهم ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ ﴾ [البقرة:٢٥٧].

والمؤمنون أولياؤهم والملائكة وأوليائهم كما قالوا: ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾ [فصلت:٣١].

وأمر الله رسوله -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- وهذه الأمة بالاستقامة في آيات أخر، تلك الآية خبر عن مصير المستقيمين، ومن الأوامر ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ﴾ [فصلت: ٦]. هذا أمر بالاستقامة ودعوة لهم إلىٰ الثبات علىٰ الحق، والابتعاد عن الشرك والابتعاد عن الضلال، وكذلك في آيات أخر.

ومن الحديث عن النبي ﷺ عن سُفيَانَ بنِ عَبدِ اللهِ الثَّقَفِي رضي الله عنه قَالَ: «قُلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، قُل لِي فِي الإِسلَامِ قَولًا لَا أَسأَلُ عَنهُ أَحَدًا بَعدَكَ. -وَفِي حَدِيثِ أَبِي أُسَامَةَ: غَيرَكَ- قَالَ: **قُل آمَنتُ بِاللهِ فَاستَقِم**»(١).

هذا كلام جامع، طلب هذا الصحابي الجليل رضي الله عنه من رسول الله ﷺ أن يقول له قولًا يكفيه ويغنيه عن سؤال غير النبي ﷺ قال: «**قُل آمَنتُ بِاللهِ فَاستَقِم**».

(١) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: جامع أوصاف الإسلام (١٨٦).

هذا من جوامع كلمه -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، وعلىٰ وجازته تناول أمور الإسلام كلها؛ عقائدها وعباداتها، استقم علىٰ كل شريعة الله وأوامره التي جاءت في الكتاب والسنة، بعد ذلك يذهب في التفاصيل يأخذها من كتاب الله وسنة رسول الله -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، منها كذلك أننا مأمورون بالاستقامة؛ أن نؤمن بالله وأن نستقيم علىٰ الإيمان بالتوحيد وعلىٰ سائر أمور الإسلام؛ من صلاة وصيام وصدقة وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، وسائر الأمور الإسلامية والتشريعات الربانية، نلتزمها ونقوم بها علىٰ أكمل الوجوه.

وهذه الاستقامة مشروعة في الرِّسالات كلها، قال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ [الشورىٰ:١٣].

أمروا أن يقيموا الدين وهو الدين الحق، ومن إقامته: الاستقامة عليه، هذا أمر صعب عند المشركين الضالين وأمر كبير عليهم، وذلك يسير علىٰ من يسره الله عليه، فعلينا أن نستقيم علىٰ الدين وأن نقيم شرائعه، وألَّا نخالفه في شيء، وأن نعتصم به كما أمر الله.

فاستقيموا -أيها الشباب- علىٰ دين الله الحق.

تحريم الركون إلى الظلمة:

والكلام قد يكثر ويطول، ولكن أنتقل إلىٰ الآية الثانية وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ

أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ [هود:١١٣].

﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾، الذي يخالف أمر الله ظالم، الذي يخالف العقائد الإسلامية ظالم، الذي لا يحكم بشريعة الله ظالم، أهل الضلال والبدع من أشد الناس ظلمًا، فالذي يركن إلىٰ صنف من أصناف الظلمة سوف يقع في هذا الوعيد ﴿ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾، لا تنتموا إليهم، لا تتعاونوا معهم علىٰ الإثم والعدوان، ومن يركن إليهم لابد أن يركن إلىٰ الإثم والعدوان، وهذا شيء معروف، وقد توعد الظالمين بالنار ومن يركن إليهم متوعد أيضًا بالنار.

آيات كثيرة وأحاديث كثيرة تتوعد الظالمين بالنار، وهذه الآية نص في أن من يميل إليهم ستمسه النار، نعوذ بالله من ذلك.

نسأل الله أن يثبتنا وإياكم علىٰ الحق، وأن يجعلنا ممن ثبتوا عليه واستقاموا عليه، ودعوا إلىٰ ذلك وصبروا في سبيل ذلك، إن ربنا لسميع الدعاء.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

* * *

المجلس الثَّاني عشر: من سورة يوسف الآية (٥٣) إلى آخر سورة إبراهيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أمَّا بعد:

من أخلاق الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-:

فأرجو أن تكونوا أصغيتم بقلوبكم ومسامعكم إلىٰ ما تُلي عليكم من آيات الله البيِّنات التي فيها بيان توحيد الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، وفيها بيان أخلاق الأنبياء، وبيان صبرهم وحكمتهم، كما ذكر ذلك عن يعقوب وابنه يوسف -عَلَيهِما الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، فكم صبر يعقوب علىٰ أبنائه إذ باعوا يوسف بثمن بخس وزعموا أن الذئب أكله، وصبر عليهم، وعلىٰ فقدان ولده وأحب أفلاذ كبده، صبر صبر الأنبياء، بل فوق صبر الكرام، ثم عفا عنهم، بعد أن بلغه حياة يوسف -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- وسلامة أخيه: ﴿يَـٰٓأَبَانَا

ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يوسف:٩٧-٩٨].

ما قال كذا وكذا، وغاب عني، وفعلتم بأخيه وفعلتم، لن أعفو عنكم، ما قال هذا، قال: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ﴾، وكذلك يوسف تسببوا في إبعاده وباعوه بثمن بخس -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، ومن صبره وحبس نفسه عن الشهوات أن راودته امرأة العزيز ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ﴾ فكان مثلًا راقيًا للعفاف والنزاهة، وإمامًا للعفاف، امرأة ذات حسن وجمال ... إلىٰ آخره.

وهو في بيتها دعته وهو من أجمل الناس وفي قوة الشباب وعنفوان الشباب، ومع ذلك ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ وتسببت في سجنه، وكان في سجنه يدعو إلىٰ توحيد الله ﷻ: ﴿يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾.

وقال: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ﴾ المؤمن يدعو إلىٰ الله ﷻ أينما كان، إلىٰ هذا التوحيد، وإلىٰ عبادة الله وحده، وتحقيق الغاية التي خلق الناس من أجلها، وخلق الجن والإنس من أجلها.

الخوف من الشرك بالله ﷻ:

وقصَّ الله علينا قصة إبراهيم -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- ودعاءه لربه وخوفه أن يقع في عبادة الأصنام ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم:٣٥].

أناس الآن يقعون في الشرك ولا يخافون، ولا يدرون ما هو الشرك،

هذا نبي الله وخليله -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- الذي حطم الأصنام يقول: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [لقمان: ٣٥-٣٦].

وكذلك القبور أضلت كثيرًا من الناس، وكان الرسول -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- يبعث الجنود لهدم الأصنام وهدم القبور -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- ، وبعث جريرًا إلىٰ ذي الخلصة ليهدمه وكان معبودًا، ذو الخلصة أصله رجل والله أعلم لعله صالح وعبدوه، وكذلك اللات أنها مكان رجل صالح، أو أنه رجل صالح كان يلت السويق.

وقد فتنت الأمة في عبادة القبور، واتخذوا أهلها مع الله أندادًا وذبحوا لهم وشدوا إليهم الرحال، واعتقدوا فيهم أنهم يعلمون الغيب، ويتصرفون في الكون، ووقعوا في الشرك في الألوهية والشرك في الربوبية مع الأسف الشديد، هؤلاء يحتاجون إلىٰ رجال ينهضون بهذا القرآن وينهضون بهذه السنة التي هي بيان هذا القرآن، فيدرسونهما ويفهمونهما، ويفهمون التوحيد والأحكام؛ الحلال والحرام ويتفقهون فيهما «**مَن يرد الله به خيرًا يُفَقِّهُهُ فِي الدِّينِ**»(١).

فتفقهوا في دين الله وتفقهوا في توحيده، وسيروا علىٰ نهج الأنبياء -عَلَيهِم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- في محاربة الشرك والدعوة إلىٰ توحيد الله ﷻ .

---

(١) **متفق عليه**: وهو جزء من حديث معاوية رضي الله عنه، رواه البخاري، كتاب: العلم، باب: من يرد الله به خيرًا يفقّهه في الدِّين (٧١)، مسلم كتاب: الصدقة، باب النهي عن المسألة (١٧١٩).

وهذه لمحة عن التوحيد الذي سمعتم منه آيات فيما تلي عليكم من بداية لقاءاتنا علىٰ هذا الكتاب؛ القرآن العظيم من أول رمضان إلىٰ ليلتنا هذه، وكم سمعتم من الآيات الداعية إلىٰ التوحيد، والداعية إلىٰ إخلاص الدين له.

من أخلاق المؤمنين:

ونحتاج إلىٰ شيء من معرفة صفات المؤمنين وأخلاقهم العالية في تعاملهم مع ربهم وتعاملهم مع الناس، كما في سورة الرعد: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ
أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا
يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ
ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا
وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن
صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم
بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾.

عقبىٰ الدار لمن تحلىٰ بهذه الصفات النبيلة العظيمة: الوفاء بالعهود والمواثيق، فهم يوفون بها ولا ينقضونها، وأعظم العهد عهد الله إلىٰ عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وأن يجتمعوا علىٰ توحيد الله ﷻ وعلىٰ إخلاص الدين لله، ويثبتون علىٰ المواثيق والعهود التي تؤكد وتوثق بينهم وبين عباد الله، وسواء هذه العهود مع أمراء المؤمنين والخلفاء الراشدين ومن فيه إسلام، إذا بايعت إمامًا فلا تغدر، كن من هؤلاء أهل الوفاء، ولهذا

لما أراد قوم أن ينكثوا بيعة يزيد، ويزيد كان فاسقًا وكان جبارًا وكان ظالمًا وفعل وفعل.

قتل الحسين وفعل الأفاعيل بأهل المدينة، ومع ذلك أنكر هذا ابن عمر رضي الله عنهما وغيره من كبار الصحابة الموجودين، أنكروا هذا إنكار شديدًا، كيف ينكثون هذا العهد وكيف ينقضون هذه البيعة؟!

«جَمَعَ ابنُ عُمَرَ بَنِيهِ وَأَهلَهُ، ثُمَّ تَشَهَّدَ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعدُ؛ فَإِنَّا قَد بَايَعنَا هَذَا الرَّجُلَ عَلَىٰ بَيعِ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَإِنِّي سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **إِنَّ الغَادِرَ يُنصَبُ لَهُ لِوَاءٌ يَومَ القِيَامَةِ يُقَالُ: هَذِهِ غَدرَةُ فُلَانٍ.**

وَإِنَّ مِن أَعظَمِ الغَدرِ -أَلَّا يَكُونَ الإِشرَاكُ بِاللهِ تَعَالَىٰ- أَن يُبَايِعَ رَجُلٌ رَجُلًا عَلَىٰ بَيعِ اللهِ وَرَسُولِهِ، ثُمَّ يَنكُثَ بَيعَتَهُ، فَلَا يَخلَعَنَّ أَحَدٌ مِنكُم يَزِيدَ وَلَا يُشرِفَنَّ أَحَدٌ مِنكُم فِي هَذَا الأَمرِ فَيَكُونَ صَيلَمٌ بَينِي وَبَينَهُ»[١].

وذهب إلىٰ أحد رءوس الدعاة إلىٰ الخروج والقتال وهو من قريش، فقد أخرج مسلم: «جَاءَ عَبدُ اللهِ بنُ عُمَرَ إِلَىٰ عَبدِ اللهِ بنِ مُطِيعٍ حِينَ كَانَ مِن أَمرِ الحَرَّةِ مَا كَانَ زَمَنَ يَزِيدَ بنِ مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ: اطرَحُوا لأَبِي عَبدِ الرَّحمَنِ وِسَادَةً، فَقَالَ: إِنِّي لَم آتِكَ لأَجلِسَ، أَتَيتُكَ لأُحَدِّثَكَ حَدِيثًا سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُهُ، سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَن خَلَعَ يَدًا مِن طَاعَةٍ لَقِيَ اللهَ يَومَ**

---

(١) أخرجه أحمد بلفظه (٥٠٨٨). ونحوه (٥٧٠٩)، وأخرجه البخاري برقم(٦٦٩٤) بلفظ قريب منه.

القِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ وَمَن مَاتَ وَلَيسَ فِي عُنُقِهِ بَيعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»(١).

ولو كان العهد بينك وبين الكفار لا يجوز لك نكث هذا العهد أبدًا، فلو عاهد إمام من أئمة المسلمين أو عالم أو شخص من المسلمين عقد مع الكفار عهدًا، ثم نكث به أحد فهو من الصادِّين عن سبيل الله ومن الصادين عن الإسلام؛ لأن الكفار ينظرون إلىٰ هذا الذي ينقض العهد أن دينه فاسد، ولو كان دينه صحيحًا لما نكث هذا العهد، فيصد عن سبيل الله بنكث العهد ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾.

أمر الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- بصلة الأرحام، وتوعد قاطع الرحم بأنه من أشد الناس عذابًا، بل لا يرح رائحة الجنة ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ﴾ [محمد:٢٢-٢٣].

قطيعة الرحم شديدة جدًّا، وكما أنه يجب عليك أن تبرَّ والدَيك يجب كذلك أن تصل رحمك، هذه من آداب الإسلام، ومن تربياته العالية، يعرف الإنسان حق الله عليه، ويعرف حق العباد عليه فيؤديه، ويعرف حق الأقربين من الأبوين ومن ذوي الأرحام فيفي به ولا يقطع الصلة.

والبر أن تصل من قطعك، ليس البار أن يصل من وصله ويقطع من قطعه؛ بل البار أن يصل من قطعه، فإذا قطعك ذو رحمك، فالواجب عليك

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: الإمارة، باب: الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدُّعاة إلىٰ الكفر (٤٨٩٩).

ألَّا تقطع هذا الرحم ، بل تصله فتحتل مرتبة الأبرار الأوفياء القائمين بصلة الأرحام، وكذلك كل ما وصىٰ الله به من المساكين والإحسان إليهم، كل ما أمر الله بوصله، المؤمنون الصادقون يصلونه كما أمرهم الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-.

﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾؛ هذا مقام الخوف مقام عظيم؛ لأنه يردعه عن الشرك والمعاصي والكبائر، وما شاكل ذلك، والله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- وعد بأعظم الجزاء لمن يخافه ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن:٤٦].

فهذا الخوف يحمل صاحبه -الخوف من الله لا من الناس- علىٰ طاعة الله، هذا يدلك علىٰ منزلة الخوف من الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- وكيف يكافئ الله من خاف مقام ربه جنتان، ثم شرع في تفسير الجنتين هذه في سورة الرحمن.

﴿وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾ هذا خوف آخر ويخافون سوء الحساب -والعياذ بالله-، من نوقش الحساب عُذِّبَ، والكافرون يواجهون سوء الحساب، والظالمون الذين زادت سيئاتهم علىٰ حسناتهم؛ رجحت سيئاتهم علىٰ حسناتهم فهؤلاء يواجهون سوء الحساب.

ونعوذ بالله أن نقع في سوء الحساب، فاحرصوا كل الحرص وراقبوا الله واخشوه واحذروا أن تواجهوا هذا الموقف الرهيب أن تحاسب وترجح سيئاتك علىٰ حسناتك، ويؤمر بك أن تدخل النار، إن كنت موحدًا وما أراد الله أن يعفو عنك وقد يعفو الله عن صاحب الكبائر، ولكن هذا الأمر ليس بمضمون، ليس بيدك وثيقة من الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-.

﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ صبروا لوجه الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، صبروا في دعوتهم إلىٰ الله، وعلىٰ رءوس هؤلاء الأنبياء -عَلَيهِم

الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- كم أوذوا، وكم شُردوا، وكم هاجر منهم لدينهم بعد اليأس من هداية قومهم، فصبروا علىٰ ما كُذِّبوا وأوذوا ﴿فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَاۚ﴾ -عَلَيهِم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، والصبر عن المعاصي، يحبس نفسه عن معصية الله، وعن المنكرات وعن الفواحش وعن الظلم.

فالصبر هو: حبس النفس عما تشتهيه، فيحبسها علىٰ أمر الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، ويحبسها عن مخالفة أوامر الله والوقوع في نواهيه، وهذا كله ابتغاء وجه الله، والصبر علىٰ الأقدار من المصائب والكوارث وموت الأقارب، وفقد المال، وما شاكل ذلك كما قال -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧].

فكونوا -أيُّها الإخوة- من الصابرين في كل الميادين، وما أُعطي العبد خيرًا وأوسع من الصبر، والله ﷻ وعد الصابرين أحسن الجزاء: الصبر علىٰ طاعة الله والصبر عن معاصيه والصبر في ميدان الدعوة إلىٰ الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- والصبر علىٰ أقداره.

﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ علىٰ أكمل الوجوه، كما شرعها الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- علىٰ ألسنة رسله، وكما شرعها علىٰ لسان خاتم النبيين وعلينا أن نحافظ علىٰ هذه الصلوات في مواقيتها وفي مساجدها وفي جماعاتها، ونقوم بالطهارة علىٰ الوجه المشروع، ونصليها خاشعين ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون:١-٢].

ونقوم بركوعها وسجودها وحقوقها جميعًا، ونكون خاشعين فيها، قال النبي ﷺ: «**مَن تَوَضَّأَ نَحوَ وُضُوئِي هَذَا، ثُمَّ صَلَّىٰ رَكعتَينِ، لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفسَهُ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِهِ**»(١).

فلا تذهب في أمر الدنيا وأنت في الصلاة؛ بل راقب الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، فاعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، فتبادر للإخلاص لله وتبادر للخشوع واحرص في أدائها علىٰ أحسن وجوهها كما قال ﷺ: «**صَلُّوا كَمَا رَأَيتُمُونِي أُصَلِّي**»(٢).

وكان الرسول ﷺ «يُصَلِّي وَلِصَدرِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ المِرجَلِ»(٣). من خوفه ومراقبته لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-.

﴿وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ أولًا آتوا الزكاة المشروعة في سبيل الله لأهلها المستحقين، ويتصدقون بالليل والنهار، ينفقون سرًّا ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾.

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري، كتاب: الوضوء، باب: الوضوء ثلاثًا ثلاثًا (١٥٨) ومسلم، كتاب: الطهارة، باب: صفة الوضوء وكماله (٥٦٠) عن عثمان رضي الله عنه.

(٢) قطعة من حديث رواه البخاري عن مالك بن الحويرث، كتاب: التمني، باب: ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق في الأذان والصلاة والصوم والفرائض والأحكام (٦٨١٩) عن مالك بن الحويرث رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد (١٦٣١٢و ١٦٣١٧ و١٦٣٢٦- الرسالة)، وأبو داود كتاب الصلاة، باب البكاء في الصلاة (٩٠٤)، والنسائي، كتاب: السهو، باب: البكاء في الصَّلاة (١٢١٤) عن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه.واللفظ لأحمد في الرواية الثانية والثالثة.

هذا من الأخلاق العالية المطلوبة للمؤمن أن يقابل المساوئ والقبائح من خصومه أن يقابلها بالصبر والحلم والصفح فيدرأ بالحسنة السيئة، وبالصبر والحلم والصفح، ولا يكون مثل الجاهلين، ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان:٦٣]. فإذا سبه إنسان قابله بالحلم والصبر.

﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت:٣٥].

فتعلموا هذه الأخلاق والأعمال الصالحة: الوفاء بالعهد، والقيام بالصلاة وهذه الأمور كلها، قوموا بها على أحسن الوجوه.

﴿لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ فسر عقبى الدار بـ ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ يستحقونها بفضل الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- ثم بهذه الأعمال والأوصاف التي قاموا بها على أكمل الوجوه، ثم يكرمهم الله، إذا كان هناك من أزواجهم وآبائهم من المؤمنين من دنت منزلته وقصرت عن مرتبته يرفعهم الله إلى منزلته، ليفرح بهم ويسر بوجودهم معه في المنزلة التي هو فيها، فيكرمه الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- في الدنيا والآخرة، ويكرمه ولو كان من الأنبياء والصديقين والشهداء برفع آبائه وأقربائه وإخوانه المؤمنين إلى مرتبته وإلى درجته في الجنة.

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾ هذا من كمال إكرام الله لهم في الجنة، أن يأتيهم الملائكة من كل باب؛ يسلمون عليهم ويهنئونهم بدخول الجنة، فيكرمهم الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- بهذه الجنة، ويكرمهم بأن تأتيهم

ملائكة الله يسلمون عليهم احترامًا لهم وتبشيرًا لهم بالجنة.

أسأل الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- أن يجعلنا وإياكم ممن يقوم بهذه الأمور علىٰ أحسن الوجوه، إنَّ ربنا سميع الدعاء.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

❋ ❋ ❋

المجلس الثالث عشر
(من أول سورة الحجر إلى آخر سورة النحل)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله، والصَّلاة والسَّلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبه ومن اتَّبع هداه.

أمَّا بعد:

فقد سمعتم ما تُلي عليكم من الذكر الحكيم، آيات فيها عبر وعظات ودروس لمن يريد الله به خيرًا.

تأذي الرسل من أقوامهم وصبرهم على ذلك:

في سورة الحجر ذكر الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- إيذاء الكفرة للرسل الكرام -عَلَيهِم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- ولاسيما محمدًا ﷺ قال: ﴿ وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ [الحجر:٦].

الذكر: القرآن، وصبر -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- علىٰ آذاهم الكثير، ومنه قولهم إنك مجنون يعني صيغة مؤكدة قبحهم الله، وذكر أنهم يستهزئون بالرسل ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ وصبر الأنبياء -عَلَيهِم الصَّلَاةُ

وَالسَّلَامُ- ليبلغوا رسالات ربهم، ولكلِّ داعية مخلص لله أسوة بهؤلاء الرسل -عَلَيهِم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- فلا تأنف ولا تضجر ولا تتحسر؛ بل امض في سبيل الدعوة إلىٰ الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-.

هؤلاء الرسل لا نسبة بينك وبينهم، واجهوا من السب والشتم الإيذاء ما لا تحتمله الجبال، ومع ذلك صبروا والله يقول: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف:٣٥].

فتعلموا هذا القرآن والسنة، وادعوا إلىٰ الله تعالىٰ، واعلموا أنَّ من سنة الله أن يؤذىٰ الدعاة إلىٰ الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- فعليك بالصبر، كثير من الناس يستحسرون وينزوون إذا أوذوا في سبيل الله ﷻ، هذا خطأ، نسأل الله العافية، والهزيمة لا تليق بمؤمن يدعو إلىٰ الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- ويقدر الله حق قدره، ويقدر الدعوة حق قدرها.

في سورة النحل آيات وعبر وعظات خلق الله الأنعام بأصنافها وبين ما فيها من المنافع، والجبال، والبحار، حتىٰ النحل بين منافعها، وحتىٰ الزوجات امتن بهن علىٰ الرجال وأن جعل منهم بنين وحفدة، نعم لا تحصىٰ ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[النحل:١٨].

الحكمة في الدعوة:

وختم هذه السورة ببيان الدعوة إلىٰ الله: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:١٢٥].

هذا أدب الدعاة إلىٰ الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، الدعوة تكون بالحكمة

والموعظة الحسنة، وإذا اضطر إلىٰ الجدال يجادل بالتي هي أحسن، بعيدًا عن السب والشتم والتحقير والسخرية حتىٰ يُقبل منه الحق، إذا استخدم الأسلوب الحكيم والأسلوب الحسن، واستخدم الرفق واستخدم الحكمة فهذا طريق النجاح للدعوات إلىٰ الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-.

ويجب علىٰ الداعية البعد عن كل المنفرات والمشوهات للدعوة؛ بل يقدم الدعوة في أجمل الصور، فتعلموا وتأدبوا من هذا القرآن الكريم، ومن واقع الرسل -عَلَيهِم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- يقول تعالىٰ عن نوح: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:٦٧].

أجابهم بهذا الأسلوب الحكيم اللين بالأدب: رسول من رب العالمين، يقولون عنه: مجنون، ما يرد عليهم، ولا يجاريهم: أنتم مجانين وأنتم كذا وأنتم كذا، فإذا سمع أذىً وسبًّا وشتمًا يصبر، فاصفح الصفح الجميل.

أجمع آية في القرآن:

وأحب أن أعلق علىٰ آية مرت بكم وهي آية جامعة؛ أجمع آية في القرآن، الأوامر والنواهي كلها ترجع إليها كما قال ذلك العلماء: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ هذه آية عظيمة جدًّا، وكانت سببًا في إسلام رءوس من رءوس الكفر، لما سمع أكثم بن صيفي هذه الآية قال:

«إني قد أراه يأمر بمكارم الأخلاق، وينهىٰ عن ملائمها، فكونوا في هذا الأمر رءوسًا، ولا تكونوا فيه أذنابًا»(١).

ملائمها؛ يعني: سفسافها ونصح قومه أن يكونوا أول الداخلين فيها وألَّا يكونوا أذنابًا، وعثمان بن مظعون ﵁ كذلك أسلم بسبب هذه الآية؛ فعن ابن عباس ﵄ قال: قال رسول الله ﷺ لعثمان بن مظعون ﵁: «أَتَانِي رَسُولُ اللهِ آنِفًا وَأَنتَ جَالِسٌ، قَالَ: رَسُولُ اللهِ! قَالَ: **نَعَم**.

قَالَ: فَمَا قَالَ لَكَ؟ قَالَ: **إِنَّ اللهَ يَأمُرُ بِالعَدلِ وَالإِحسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي القُربَىٰ، وَيَنهَىٰ عَنِ الفَحشَاءِ وَالمُنكَرِ وَالبَغيِ يَعِظُكُم لَعَلَّكُم تَذَكَّرُونَ**.

قَالَ عُثمَانُ: فَذَلِكَ حِينَ استَقَرَّ الإِيمَانُ فِي قَلبِي وَأَحبَبتُ مُحَمَّدًا»(٢).

فأسلم بسببها، لما سمعها أسلم لشدة وقعها ولما تضمنته من المعاني، وما تضمنته من أخلاق عالية والنهي عن سفاسف الأخلاق.

والعرب كانوا يعظِّمون الأخلاق، يعظِّمون الصدق والشجاعة والكرم وصلة الأرحام وحسن الجوار وما شاكل ذلك، كان عندهم بقايا من ملة إبراهيم -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، كانوا يعتزون بها، وكانوا يكرهون كثيرًا من سفاسف الأخلاق؛ من الكذب والخيانة والغش وما شاكل ذلك.

فالقرآن جاء بمكارم الأخلاق ومحاسنها، وزجر عن سفاسف الأخلاق ورذائلها ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت:٤٢].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥٩٦).

(٢) أخرجه أحمد (٢٩١٩- الرسالة).

والله قال عن رسوله ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[القلم:٤].

والأنبياء كذلك كانوا علىٰ أخلاق عالية، وسئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق الرسول ﷺ قالت: «فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ كَانَ القُرآنَ»[1].

فهذه الآية جمعت كل مكارم الأخلاق ونهت عن كل سفاسف الأخلاق ورذائلها.

العدل يشمل التعامل مع الله والتعامل مع العباد، فليكن المؤمن عادلًا يؤدي حقوق الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- من الصلاة والزكاة والصوم وكل ما افترضه الله عليه وكل ما شرعه الله، يؤديه لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- وذلك من العدل، والشرك بالله ذنب عظيم: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣].

والمعاصي ظلم، فالذي يعصي يظلم، والظالم إنَّما يجني علىٰ نفسه لأنه هو الذي سيلاقي وبال هذا الظلم والتمرد علىٰ الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-.

ومن العدل: عدل الحاكم الذي يتولىٰ أمور المسلمين، عليه أن يعدل ويطبق شريعة الله، والإمام العادل من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وإذا غش المسلمين لم يدخل معهم الجنة، فعليه أن ينصح الأمة وأن يقيم فيها العدل، والإمام يشمل الإمام الأكبر، ويشمل القضاة، ويشمل الأمراء ويشمل المفتين، عليه كذلك أن يعدل في شهادته ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء:١٣٥].

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين، باب: جامع صلاة اللّيل ومن نام عنه أو مرض (١٧٧٣).

والعدل هو القسط، والذي يشهد؛ عليه أن يقيم شهادته علىٰ الصدق والعدل والإنصاف والأمانة والدقة ويشهد ولو علىٰ نفسه، ألزم الله العباد أن يشهدوا حتىٰ علىٰ أنفسهم، وعلىٰ آبائهم وعلىٰ أقرباهم، وأظن هذا النموذج نادر جدًّا مع الأسف الشديد، الذي يشهد علىٰ نفسه أو الأقربين نادر جدًّا مع الأسف، حتىٰ في من يدعي السلفية، إذا جاءت الفتن ينسىٰ الشهادة لله مع الأسف الشديد، أقول: الذي يدعي السلفية، أما السلفي الصادق؛ فيؤدي الشهادة لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، ويقول الحق وينصر الحق ويشهد بالحق.

والسلفي المزيف تظهره الفتن وتكشف حقيقته وتكشف زيفه، فكونوا شهداء لله ولو علىٰ أنفسكم أو الوالدين أو الأقربين.

وعلىٰ الأب أن يعدل في أولاده يسوي بينهم، لمَّا جاء بشير أبو النعمان رضي الله عنهما يُشهِد رسول الله -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- علىٰ عطية أعطاها للنعمان، فقال: «**يَا بَشِيرُ أَلَكَ وَلَدٌ سِوَىٰ هَذَا؟**

قَالَ: نَعَم.

فَقَالَ ﷺ: **أَكُلَّهُم وَهَبتَ لَهُ مِثلَ هَذَا؟**

قَالَ: لَا.

قَالَ: **فَلَا تُشهِدنِي إِذن؛ فَإِنِّي لَا أَشهَدُ عَلَىٰ جَورٍ**»[(١)].

وعلىٰ الرجل أن يعدل بين زوجاته، إذا تعدد عدد الزوجات، فإنه يأتي

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري، كتاب: الشهادات، باب: لا يشهد علىٰ شهادة جور إذا أشهد (٢٥٠٧)، ومسلم، كتاب: الهبات، باب: كراهة تفضيلِ بعض الأولاد في الهبة (٤٢٦٩).

يوم القيامة وأحد شقيه مائل إن لم يعدل -والعياذ بالله- جزاء عمله.

وعلىٰ الحاكم أن يعدل في الأمة في القصاص، قال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ﴾ [البقرة: ١٨٧]؛ يعني: كان في الجاهلية بعض القبائل تدعي الزعامة والسيادة، وكذلك اليهود فإذا قُتل شخص من قبيلة عزيزة في نظرهم لا قصاص في ذلك؛ بل يعطون الدية، والدية التي تعطىٰ من أردأ أنواع الديات، يدفعون فيه أوسق من تمر، وإذا قُتل من القبيلة المنحطة في نظرهم -وكلهم بجاهليتهم منحطون- لابد من القصاص، فجاء الإسلام وقال: ﴿ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾.

الآية في سورة النحل تناولت العدل والفضل، فالقصاص عدل؛ القصاص إذا قتل قريب لك وأنت مولاه؛ أبوك أو ابنك أو أخوك، فالقصاص حق من حقوقك، لك أن تطالب به، وعلىٰ الحاكم الشرعي أن يقص القاتل في القتيل، فإذا عفَا ولي القتيل إما عفوًا مطلقًا، وإما من القصاص إلىٰ الدية، فليس للحاكم أن يأمر بالقصاص؛ لأن هذا تنازل عن حقه؛ لأن القتيل فيه ثلاثة حقوق:

حق لوليه، وهو القصاص.

وحق آخر وهو التنازل إلىٰ الدية.

وللقتيل حق لابد أن يستوفيه يوم القيامة أو يمنَّ الله بالعفو علىٰ القاتل فيعطي القتيل ما يرضيه، «**يَجِيءُ المَقتُولُ بِقَاتِلِهِ يومَ القِيَامَةِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ**

سَل هَذَا فِيمَ قَتَلَنِي؟»[1].

وإن شاء عاقبه وإن شاء أعطىٰ القتيل ما يرضيه.

كذلك قال -تبَارَكَ وَتعَالَىٰ-: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ [المائدة:٤٥].

هذا من العدل، وعلىٰ الحاكم أن يقيم هذا العدل، ولا يستوفي المعتدىٰ عليه حقه بيده، وإنما ذلك إلىٰ الحاكم، ولذلك قال بعد هذه الآية ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [المائدة:٤٥].

هذا شيء أنزله الله وشرعه لإقامة العدل وليسود الأمن؛ لأنه لما تكون الأمور دون قصاص تسود الفوضىٰ، فالإسلام ينظم الحياة؛ حياة المجتمعات الإسلامية، ليكون ذلك من أعظم أسباب الأمن من الاعتداء علىٰ الأموال والأرواح، فهذه الأمور تناولتها هذه الآية.

﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ هذه السَّلبيات وهذه الأخلاق الرَّذيلة، وهذه السفاسف من الأمور يحاربها الإسلام، فينهىٰ عن الفواحش، وقال الله -تبَارَكَ وَتعَالَىٰ- في آية أخرىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٣٣].

---

(١) أخرجه أحمد (١٦٦٠٠ و٢٣١١٠ و٢٣١٦٥-الرسالة)، والنسائي: كتاب تحريم الدم، باب تعظيم الدم (٣٩٩٨)، عن جندب ﷺ.

هذه التشريعات العظيمة التي ميز الله بها هذه الأمة، فلنشكر الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- عليها.

المجتمع إذا سادت فيه الفواحش، يكون أحط من الحيوانات، والله إن أخلاق القرود وبعض الحيوانات أفضل من أخلاق الكفار المعاصرين؛ انحطاط رهيب جدًّا، والله أحط من الحيوانات وأحط من القرود، وفي صحيح البخاري عن عَمرِو بنِ مَيمُونٍ ﷺ قَالَ: «**رَأَيتُ فِي الجَاهِلِيَّةِ قِرْدَةً اجتَمَعَ عَلَيهَا قِرَدَةٌ قَد زَنَت، فَرَجَمُوهَا فَرَجَمتُهَا مَعَهُم**»[1]. يرجمون قردة لأنها زنت، حتىٰ عند القردة الغيرة.

هؤلاء أحط من الحيوانات وأشبه ما يكون بالخنازير؛ لأن الخنزير ديوث لا نظير له في الدياثة في الحيوانات كلها، فهم يأكلون لحم الخنزير، والله حرم لحم الخنزير لما يسببه من الرذالة والنذالة والأخلاق الدنيئة، فيأكلون لحم الخنزير، وقوانينهم تتماشىٰ مع الخنازير، فلا حد ولا رجم ولا قصاص ولا غيرة ولا ولا.

فليعتز المسلمون بإسلامهم وليتمسكوا بدينهم، فإنهم الآن يتخلقون بكثير من أخلاق الغربيين الذين هم أحط من الحيوانات في الأخلاق، يتأسون بهم، يلبسون مثل ملابسهم، يحلق لحيته لأنه رأىٰ اليهود والنصارىٰ يحلقون لحاهم، ويلبس ربطة العنق والبنطلون؛ لأن هذه تقدمية عندهم، فهي أفضل من اللباس الإسلامي، ويلبس لباس سادته الغربيين مع الأسف

(١) أخرجه البخاري، كتاب: فضائل الصحابة، باب: القسامة في الجاهلية (٣٦٣٦).

الشديد ويتخلقون بكثير من أخلاقهم.

فتخلقوا -أيها الشباب- بأخلاق الإسلام واعتزوا بها، فهذه التشريعات أخلاقية، وإن كانت في العقائد وغيرها، لتستقيم حياة المسلمين علىٰ الأخلاق العالية من العدل والإنصاف والبعد عن الفواحش والبعد عن البغي والعدوان.

﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ المنكر ما خالف الشريعة الإسلامية من المنهيات؛ من الزنا والقتل والخيانة والغش وما شاكل ذلك، هذه كلها منكرات، والشِّرك يأتي عل رأس المنكرات، والبدع كذلك، فلنكن أمَّارين بالمعروف نَهَّائين عن المنكر، وهذا من ميزات هذه الأمة ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران:١١٠].

احتلت الأمة هذه المنزلة بهذه الأمور، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

فإذا تخلوا عن هذه الشرائع العظيمة وسادت الفواحش، سادت المنكرات؛ فإن الأمة تفقد هذه المنزلة وتفقد هذه الخيرية إلا من بقي مستمسكًا بها متَّصلا بها، وهي الطائفة التي استثناها رسول الله ﷺ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِن أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَىٰ الحَقِّ لَا يَضُرُّهُم مَن خَذَلَهُم، حَتَّىٰ يَأْتِي أَمرُ اللهِ وَهُم كَذَلِكَ**»(١).

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: قول النبي ﷺ: =

﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ﴾ البغي: التعدِّي علىٰ أموال المسلمين وعلىٰ أعراضهم وسفك دمائهم وما شاكل ذلك من أنواع البغي، فهذه ينهىٰ عنها ويحرمها الله ويكلف المسلمين بمحاربتها، فلنقم بالعدل كما أمرنا الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- ولنجتنب الفواحش والمنكرات، ولنأمر بالمعروف ولننه عن المنكر حتىٰ نكون خير أمة أخرجت للناس.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

* * *

=

«لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين علىٰ الحق» (٦٨٨١) ومسلم، كتاب: الإمارة، باب: قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمَّتي ظاهرين علىٰ الحقِّ لا يضرُّهم من خالفهم». (٥٠٥٩) عن المغيرة وثوبان رضي الله عنهما.

المجلس الرابع عشر: من أول سورة الإسراء إلى سورة الكهف الاية (٨٢)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبه، ومن اتبع هداه.

أمَّا بعد:

بعض ما تضمنته سورتا الإسراء والكهف:

فقد سمعتم ما تُلي عليكم في هذه الليلة من آيات الله البينات من سورة الإسراء وسورة الكهف، وما فيها من قصص عن أنبياء الله -عَلَيهِم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، ومنها قصة موسىٰ من سورة الإسراء مع فرعون، وأن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- أعطاه تسع آيات بينات فكفر بذلك فرعون، واتَّهم موسىٰ بأنه مسحور ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا﴾ تسع آيات بينات واضحات جليات دالة علىٰ أن هذا رسول من الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، ومنها العصا التي تتحول من عصا إلىٰ ثعبان مبين، وفعلت به الأفاعيل وبسحرته.

وأرسل الله عليهم الجراد والقمل والضّفادع آيات مفصلات فاستكبروا عنها، ونعوذ بالله من أخلاق المتكبرين المتجبرين، ونسأل الله أن نكون من المتواضعين المتبعين للحق المؤمنين بما جاء به الأنبياء -عَلَيهِم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

وفي سورة الكهف ذكر الله قصَّة أهل الكهف، وما فيها من عبر وأنهم فتية آمنوا بربهم وزادهم الله هدىٰ وهاجروا بدينهم، وآواهم الله إلىٰ كهف، فلبثوا فيه ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعًا، كما نص علىٰ ذلك القرآن، وقصة الرَّجُلين؛ أحدهما مؤمن والآخر كافر، وحوارهما، وأن ذلك الكافر اغتر بجنتيه وما آتاه الله من مال ورجال، افتخر بها علىٰ ذلك المؤمن، وكان مصيره أن أهلك الله الجنتين ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّيٓ أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٢].

وقال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا يستبعد من رحمة الله ولطفه أن صاحب هذه الجنة التي أحيط بها، تحسنت حاله، ورزقه الله الإنابة إليه، وراجع رشده، وذهب تمرده وطغيانه، بدليل أنه أظهر الندم علىٰ شركه بربه»(١).

وبعدها قصة موسىٰ مع الخضر وفيها عبر، وفيها أدب طلب العلم، موسىٰ نبي أفضل من الخضر -مع أن الخضر نبي كذلك علىٰ الراجح- واحتاج إلىٰ ما عنده من علم، قال: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ

(١) تيسير الكريم الرحمن (٤٧٧-الرسالة)، ط ١.

خُبْرًا﴾ وذكر القصة.

كيف تأدب موسىٰ -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، وكيف رحل في طلب العلم، لما بلغه من الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- أن هناك عبدًا من عباد الله عنده علم، فشَدَّ الرحال-عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- إليه وآلىٰ علىٰ نفسه أن يرحل ولو سار حقبًا حتىٰ يلقىٰ هذا الرجل، وسمعتم قصتهما وما حصل علىٰ يدي الخضر -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- وهو نبي علىٰ الرَّاجح؛ مع الاختلاف في نبوته، لأنه قال في آخر القصة: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ يعني بوحي الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- تصرف هذا التصرف من خرق السفينة علىٰ أهلها، ومن قتله الغلام، ومن إقامته الجدار لليتيمين في المدينة.

كل ذلك فعله بأمر الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، وما قاله الخضر لموسىٰ لما كانا في البحر في السفينة قال: «**مَا عِلمِي وَعِلمُكَ مِن عِلمِ اللهِ إِلَّا مِثلُ مَا نَقَصَ هَذَا العُصفُورُ مِن هَذَا البَحرِ**»(١)؛ فإن علم الله واسع، علم الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- واسع، ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾، فعلمه واسع ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾.

ولهذا نفىٰ الله علم الغيب عن كل المخلوقات ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب: التفسير، باب: سورة الكهف (٤٤٤٨)، ومسلم، كتاب: الفضائل، باب: من فضائل الخضر (٦٣١٣) عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴾ [النمل:٦٥]. ويقول لنبيه؛ أفضل الأنبياء -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ ﴾ [الأنعام:٥٠].

الشاهد قوله تعالىٰ: ﴿وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ ﴾ فأناس يعتقدون في رسول الله أنه يعلم الغيب، هذا تكذيب للقرآن واضح ومصادم للقرآن، ويَدَّعون في غير الرسول أنه يعلم الغيب، ويتصرف في الكون، وهذه مصادمة للنصوص القرآنية ﴿ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ ﴾ ومنقول عن أبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه من ادَّعىٰ الغيب أنه كفر واستشهد بهذه الآية، وهذه العقيدة الفاسدة سارية في صفوف كثير من الخرافيين، فيحتاج إلىٰ جهاد بالعلم والحجج والبراهين.

معجزة الإسراء:

وسأقف عند بعض الأمور في سورة الإسراء بعد هذه اللمحة التي سمعتموها قال تعالىٰ: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾.

هذه معجزات الرسول ﷺ ومن دلائل نبوته -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، أُسري به في ليلة واحدة إلىٰ المسجد الأقصىٰ ومنها إلىٰ السَّموات العلا، فوجد الأنبياء في هذه السَّموات السبع، وجد آدم أبو البشر في السماء الدنيا، ووجد يحيىٰ وعيسىٰ في السماء الثانية وهما ابنا الخالة، ووجد يوسف -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- في السماء الثالثة، ووجد إدريس -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-

في السماء الرابعة، ووجد هارون في الخامسة، ووجد موسىٰ في السادسة، ووجد إبرهيم في السابعة، وتجاوزهما إلىٰ ربه ﷻ.

وهذا من الأدلة علىٰ علو الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- وأنه مستوٍ علىٰ عرشه وأنه فوق جميع الكائنات، وذهب صعودًا حتىٰ أتىٰ جنة المأوىٰ، وعندها سدرة المنتهىٰ عندها جنة المأوىٰ؛ يعني: الذين يقولون: ليلة الإسراء غير ليلة المعراج والصواب أنهما ليلة واحدة، فلقي الأنبياء هناك إبراهيم وغيره من بنيه، وجدهم في موطنهم ومعدنهم المسجد الأقصىٰ وصلىٰ بهم إمامًا، مما يدلُّ علىٰ فضله علىٰ سائر الأنبياء وأنه إمام -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- معظَّم، فضّله الله علىٰ جميع الرسل -عَلَيهِم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، وهذا منصوص عليه في القرآن الكريم أن الله فضَّل الرسل بعضهم علىٰ بعض.

هذا من الأدلة علىٰ علو الله، وآيات كثيرة تدل علىٰ علو الله منها سبع آيات واضحات أن الله علىٰ العرش، وآيات أن الله تعالىٰ في السماء ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ﴾[الملك:١٦-١٧].

والله ﷻ يقول: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ [فاطر:١٠].

وآيات كثيرة: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾[المعارج:٤].

* * *

المجلس الخامس عشر:
من سورة الكهف الآية (٨٣) إلى آخر سورة طه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصَّلاة والسَّلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبه ومن اتبع هداه.

وبعد:

فقد استمعتم إلىٰ آيات الله التي تليت عليكم من آخر سورة الكهف، ومن سورة مريم ومن سورة طه.

بعض ما تضمنته سورة مريم:

وإن فيها لعبرًا ومواعظ وزواجر وحثًّا علىٰ التمسك بالحق واتباعه، وفيها قصص لأنبياء الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-؛ في سورة مريم قصَّة زكريا حيث دعَا ربه ليرزقه غلامًا يرثه ويرث من آل يعقوب، فاستجاب الله دعاءه فرزقه نبيًّا صالحًا أثنىٰ الله عليه وأنه: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾.

وذكر قصة مريم وعيسىٰ، وذكر قصة إبراهيم ودعوته لأبيه وقومه إلىٰ

توحيد الله ونبذ الأوثان، وأثنىٰ علىٰ أنبيائه فإنَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ذكر إدريس ووصفه بأنَّه كان صديقًا نبيًّا، وذكر إسماعيل ووصفه بأنه كان صادق الوعد وكان عند ربه مرضيًّا، ووصف عيسىٰ وهارون -عَلَيهِما الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ-.

وذكر جملة هؤلاء ومن معهم من الأنبياء والصالحين وغيرهم ومدحهم بأنهم ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾.

نعوذ بالله من هذا الوعيد الشديد، ذكر الأنبياء ودعوتهم إلىٰ الله واستقامتهم علىٰ دين الله عَزَّ وَجَلَّ، ثم قال: ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾.

فالتوبة تَجُبُّ كل ذنب، كفرًا كان أو معصية، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يدعو عباده إلىٰ التوبة إليه والرجوع إليه مهما أغرقوا في الضلال والانحراف، فإنه الرءوف الرحيم.

بعض ما تضمنته سورة طه:

وسمعتم سورة طه، تمجيد الله لنفسه وأنه رب السَّموات: ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾، استواء يليق بجلاله، وهذا دليل علىٰ عظمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأنه فوق كل شيء، بخلاف ما يقول المرتابون المنحرفون بأنه في كل مكان، تعالىٰ الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، وقد ألزمهم السلف إلزامات شديدة، لا أستطيع ذكرها لفساد مذهبهم واعتقادهم

وانحرافهم، ومكابرتهم لآيات الله ﷻ الكثيرة والأحاديث النبوية، ومنها الإسراء برسول الله ﷺ كما لفتنا أنظاركم البارحة إلىٰ إسراء الرسول -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- إلىٰ السَّموات العلا وأنه كلَّمه ربه إلىٰ آخره.

وذكر فيها قصة فرعون وموسىٰ وقصة السحرة، أما فرعون فقد طغىٰ واستكبر وعاند وتجبر، ولم تُجدِ فيه الآيات الكبرىٰ التي أقامها الله حججًا عليه علىٰ يدي موسىٰ -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

وفي قصة السحرة عبرة عظيمة، سحرة مغرقين في السحر، وجاءوا وتآمروا علىٰ موسىٰ -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- وقالوا فيه وفي أخيه: ﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ﴾.

وذكر قصتهم وقصة العصا إذ صارت بقدرة الله حية، وكيف سحروا الناس وكيف أرهبوا الناس إلىٰ آخره؛ إذ جاءوا بحبال وعصيّ، فتحولت إلىٰ حيات امتلأ بها الوادي: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ فتلقفت العصا هذه الحيات والأفاعي، فانبهر بذلك السحرة، واستيقنوا بأنَّ هذا العمل ليس سحرًا، إنَّما هو من الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-؛ إنَّما هذا من آياته العظيمة.

فأسلموا إلىٰ الله رب العالمين، وتابوا إلىٰ الله وأنابوا، وتوعدهم فرعون أنه ليقطعن أيديهم وأرجلهم من خلاف وليصلبنهم وغير ذلك من التهديد... فقالوا: ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ﴾.

وهكذا يفعل أهل الحق، هكذا يصمدون في وجه أهل الباطل، في وجه المتكبرين والمستكبرين، وقد كان فيما سلف من يؤتىٰ به فيشق إلىٰ نصفين، لا يصده ذلك عن دينه، فأمَّة محمَّد ﷺ أولىٰ بالصبر؛ لأنَّ عندهم أعظم رسول وأكمل رسالة، دين عظيم هيمن علىٰ الرسالات كلها، كيف لا نصبر ونتحمل الأذىٰ في سبيله، ونعرف أنَّ كثيرًا من المسلمين يؤذون في بلدانهم فنوصيهم بالصبر والأسوة بمن سلف، والأسوة برسل الله جميعًا في صبرهم علىٰ الأذىٰ.

وتحمُّلهم للمعضلات والمشكلات، فالله لا يقص هذه القصص إلا لنعتبر بها ونتأسىٰ بأصحابها في الصُّمود والصبر، وفي الإقرار بشريعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ والتزام منهجه.

وقصة بني إسرائيل مع موسىٰ وكيف عبدوا العجل، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وكم عانىٰ موسىٰ من تعنتهم وكم آذوه فصبر: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾.

وأذاهم له كان كثيرًا وهو يصبر ويتحمل -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، وبعض الجهلة وصفوه بعدم الصبر والعجلة، لم يرفعوا رأسًا بهذه الآيات ولا بقول الله عَزَّوَجَلَّ ، والنبي ﷺ كان يصبر علىٰ الأذىٰ فعن ابن مسعود قال: «قَسَمَ النَّبيُ ﷺ قَسمًا، فَقَالَ رَجُلٌ: إنَّ هَذِهِ لَقِسمَةٌ مَا أُرِيدَ بِهَا وَجهُ اللهِ، فَأَتَيتُ النَّبِي ﷺ فَأَخبَرتُهُ، فَغَضِبَ حَتَّىٰ رَأَيتُ الغَضَبَ فِي وَجهِهِ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: **يَرحَمُ اللهُ مُوسَىٰ قَد أُوذِيَ بِأَكثَرَ مِن هَذَا فَصَبَرَ**»(١).

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري، كتاب: الأنبياء، باب: حديث الخضر مع موسىٰ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ =

والله أمر رسوله ﷺ أن يتأسىٰ بأولي العزم في الصبر؛ وهم موسىٰ وعيسىٰ وإبراهيم ونوح ونبينا منهم -عَلَيهِم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- قال: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ﴾. ونحن كذلك مأمورون أن نتأسىٰ بهم في الصبر.

نعتذر لكم يا إخوة، إن أردنا أن نبكر فإنَّ التبكير يفوت خيرًا كثيرًا علىٰ من يأتون متأخرين، فنحن والله نتأخرمراعاة لهم، بعض الناس لا تسمح لهم ظروفهم أن يسمعوا القرآن ويحضروا من وقت مبكر، فنحن ننتظرهم حتىٰ يتكامل اجتماعهم، القصد سماع القرآن، فإن السلف كانوا إذا جاء رمضان يتركون كل أعمالهم، بما في ذلك تعليم العلم، ويقبلون علىٰ تلاوة القرآن، ويقرءونه في النهار وفي الليل ويصلون به.

والإنسان المسلم إذا سمع آيات من كتاب الله له بكل حرف حسنة والحسنة بعشر أمثالها، نسأل الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- أن يثيبكم علىٰ هذا الاستماع، وأن يفيدكم وأن يبارك فيكم وفي أعمالكم، وأن يجعلكم ممن إذا استمع القول اتبع أحسنه، إن ربنا سميع الدعاء.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

❊ ❊ ❊

=

(٣٢٢٤)، ومسلم، كتاب: الزكاة، باب: إعطاء المؤلَّفة قلوبهم علىٰ الإسلام وتصبُّر من قوي إيمانه (٢٤٩٥).

المجلس السَّادس عشر
من أول سورة الأنبياء إلى آخر سورة الحج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصَّلاة والسَّلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبه ومن اتبع هداه.

وبعد:

فلقد سمعتم ما تُلي عليكم من آيات الله الكريمة من سورتي الأنبياء والحج وفيهما عبر وفيهما عظات، وفيهما حديث عن التوحيد وإبطال للشرك ووعيد شديد للمشركين، وذم شديد أيضًا لأهل الشرك بالله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-.

بعض ما تضمنته سورة الأنبياء:

وذكر الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- في سورة الأنبياء قصة إبراهيم -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، وماذا صنع بالأصنام كيف حطَّمها وبكَّت أهلها ووبخهم علىٰ شركهم ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٧] -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، وقد أقام عليهم الحجج والبراهين كما في سورة الأنعام.

وبعد ذلك لما رأىٰ إصرارهم علىٰ الشرك، توعَّدهم بأنه سيحطم هذه الأصنام ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، إلىٰ آخر قصته، وأثنىٰ الله علىٰ أنبيائه ورسله الكرام -عَلَيهِم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- داود، وسليمان، وأيوب ويونس وغيرهم وزكريا ويحيىٰ، أثنىٰ عليهم ثناء عطرًا، ومن هنا سميت هذه السورة سورة الأنبياء.

وذكر شرف محمدﷺ وأن الله أرسله رحمة للعالمين ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾. -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، فهو أفضل الأنبياء وأكرمهم وسيدهم وأوسعهم رسالة، وخصه الله بخصائص لم ينلها غيره من الأنبياء، فلنعرف قدر نبينا -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، ولنعرف عظمة رسالته الخاتمة التي هيمنت علىٰ الرسالات كلها، ولنتمسك بها ونعض عليها بالنواجذ؛ فإنَّ الله ﷻ أنعم علىٰ هذه الأمَّة بهذا الدِّين وبهذه الرسالة وببعثة محمدﷺ، **وجعلها خير أمة أخرجت للناس؛ يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وما نالوا هذه الخيرية إلا بهذا، لأنه يأتي علىٰ رأس المعروف التوحيد، ويأتي علىٰ رأس المنكرات الشرك**، فلنقم بالتوحيد علىٰ أكمل وجوهه، ولندحض الشرك ولنحاربه، ونحارب فروعه وما اشتق منه من البدع والضلالات.

بعض ما تضمنته سورة الحج:

وفي سورة الحج ذكر الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- أهوال الساعة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾. وسأعود إليها إن اتسع

الوقت، وذكر فيها أيضًا ما أكرم الله به خليله إبراهيم -عَلَيهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- وأنه أمره ببناء الكعبة؛ بناء البيت ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾.

فيقال: إنَّ الله أسمع كل من علىٰ وجه الأرض ما بين السماء والأرض هذا النداء، وقد قال في سورة إبراهيم: ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ [الآية:٣٧].

فقلوب الناس تهوي إلىٰ هذا البلد، إلىٰ هذه الكعبة، كل مؤمن علىٰ وجه الأرض، وفي كل زمان تحوم نفسه إلىٰ أن يرىٰ الكعبة وأن يطوف بها، وهذه استجابة لهذا النداء، وهو ما أمر الله به إبراهيم.

سفاهة الشرك بالله ﷻ:

وختم هذه السورة بمثل عظيم يبيِّن سفاهة الشرك وشدة ضعف المعبودين من الأصنام والأوثان وغيرها، قال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

لو اجتمع المعبودون كلهم الراضون بالعبادة وغير الراضين ليخلقوا ذبابًا، لا يستطيعون؛ لأن الله هو الخالق وحده ﷻ، هو الذي خلق السَّموات

والأرض وما بينهما والعرش والكرسي والجنة والنار، وخلق كل شيء ﷻ، والقادر على كل شيء ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢].

وأمَّا هذه المعبودات ؛ فهي ضعيفة ومخلوقة ومربوبة لا تملك لنفسها ضرًّا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا، ولو سلبهم الذباب شيئًا ما استطاعوا أن يستنقذوه منه، وهذا مبالغة في إهانة الأصنام والأوثان.

أما من عُبد وهو غير راضٍ من الأنبياء والصالحين فلا يدخلون في هذا الذَّم، إنَّما يدخل فيه الأوثان ومن رضي بالعبادة من دون الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، فهذا يدل على تفاهة الشِّرك وتفاهة معبوداتهم من الأوثان والأشجار والأحجار، وما شاكل ذلك، وأنَّها وصلت إلى هذا الحد من العجز والضعف، وأن الله عزيز وقدير ﷻ: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾.

ولنعد إلى بداية السورتين هاتين:

غفلة الخلق عن يوم الحساب:

سورة الأنبياء افتتحها الله بقوله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ١ مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ٢ لَاهِيَةٗ قُلُوبُهُمۡۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡۖ أَفَتَأۡتُونَ ٱلسِّحۡرَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ﴾.

هذا موقف المشركين من دعوة محمد ﷺ وسلفهم كثير، سلفهم من

الأمم بدءًا من قوم نوح إلىٰ عهده -عَلَيهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ-، ممن كذَّبوا الرسل وسخروا بهم ورموهم بالسحر والكذب واستهزءوا بهم فصبر الرسل الكرام علىٰ كل ما لاقوا من الأذىٰ، قيامًا برسالتهم وتبليغًا لها، وطمعًا فيما يجزيهم الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- علىٰ دعوتهم، وعلىٰ صبرهم؛ فهم في أعلىٰ منازل الجنة، ويلحق بهم أتباعهم، الذين يطيعونهم ويسلكون سبيلهم، ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾ [النساء:٦٩-٧٠].

فكونوا من أتباع الأنبياء في توحيدهم وفي إيمانهم وفي دعوتهم إلىٰ الله، وفي أمرهم بالمعروف وفي نهيهم عن المنكر، وكونوا متابعين لهم بالصدق والإخلاص لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، فإذا تابعتموهم في الدنيا كنتم معهم -إن شاء الله- في الدرجات العلا؛ مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

الكفار في غفلة، الله يقول: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ وذلك قريب حقًّا، وقد قال تعالىٰ: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر:١-٢].

وقال تعالىٰ: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النحل:١]. عبر هكذا بصيغة الماضي، وكل آت قريب، والرسول ﷺ يقول: «**بُعِثتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَينِ**»(١).

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري، كتاب: التفسير، باب: النازعات (٤٦٥٢)، ومسلم، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: قربِ السّاعة (٧٥٩٣) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

وكل هذا ليتأهب الناس لهذا اليوم العظيم، هذا اليوم الرَّهيب الذي قال الله فيه في السورة التالية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾.

هذا يوم رهيب يجب أن نعدَّ له العدة، وعدتنا في ذلك الإيمان الصادق، والعمل الصالح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدَّعوة إلىٰ الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾؛ لما في ذلك اليوم من الأهوال، وقد ورد في ذلك أحاديث، وبين رسول الله ﷺ سبب هذا الذُّهول فقال: «يَقُولُ اللهُ ﷻ يومَ القِيامَةِ: يا آدمُ، يقُولُ: لَبَّيكَ رَبَّنا وَسَعدَيكَ، فَيُنادَىٰ بِصَوتٍ: إنَّ اللهَ يَأمُرُكَ أَن تُخرِجَ مِن ذُرِّيَّتِك بَعثًا إِلَىٰ النَّارِ. قَالَ: يا رَبِّ، وَمَا بَعثُ النَّارِ؟ قالَ مِن كُلِّ ألفٍ -أُرَاهُ قَالَ:- تِسعمِائَةٍ وَتِسعَةً وَتِسعِينَ، فَحِينَئِذٍ تَضَعُ الحَامِلُ حملَهَا وَيَشِيبُ الوَلِيدُ ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾».

فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَىٰ النَّاسِ حَتَّىٰ تَغَيَّرَت وُجُوهُهُم، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مِن يَأجُوجَ وَمَأجُوجَ تِسعمِائَةٍ وَتِسعَةٌ وَتِسعُونَ، وَمِنكُم وَاحِدٌ، ثُمَّ أَنتُم فِي النَّاسِ كَالشَّعرَةِ السَّوداءِ فِي جَنبِ الثَّورِ الأَبيَضِ، أَو كَالشَّعرَةِ البَيضَاءِ فِي جَنبِ الثَّورِ الأَسوَدِ، وَإِنِّي لأَرجُو أَن تَكُونُوا رُبُعَ أَهلِ الجَنَّةِ. فَكَبَّرنَا.

ثُمَّ قَالَ: ثُلُثَ أَهلِ الجَنَّةِ. فَكَبَّرنَا.
ثُمَّ قَالَ: شَطرَ أَهلِ الجَنَّةِ. فَكَبَّرنَا»[١].

مِن كُلِّ أَلفٍ تِسعَمِائَةٍ وَتِسعَةً وَتِسعينَ، ما يجعل كل ذات حمل تضع حملها، ويجعل النَّاس في حالة من الرُّعب والخوف من نظر إليهم كأنهم ﴿سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ فلنتق هول هذا اليوم، وما يؤمننا أن يكون هذا الواحد الذي شارك يأجوج ومأجوج أن يكون واحدًا منا نعوذ بالله من ذلك، فليخف كل واحد علىٰ نفسه من هول هذا اليوم، اتقوا النار ولو بشق تمرة، فلنتق النار ولو بشق تمرة، فلنتق النار بكل ما نستطيع.

مجادلة الكفار وأهل البدع بغير علم:

وبعد هذا قال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٍ مَّرِيدٍ ۝٣ كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾.

الكفار يجادلون الأنبياء بغير علم وبالباطل وبالجهل والضلال والعناد، ولأهل البدع نصيب من هذا الجدال بالباطل بغير علم، كما ذكر ذلك ابن كثير في تفسير هذه الآية، لهم نصيب من هذا، فكل من يعرض عن ذكر الله،

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري، كتاب: التفسير، باب: وترى الناس سكارىٰ (٤٤٦٤) ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: قوله ﷺ: «**يقول الله لآدم: أخرج بعث النَّار من كلِّ ألف تسعمائة وتسعة وتسعين**» (٥٥٤) عن أبي سعيد الخدري ؓ.

ويرتكب المقحمات، ويقع في الكبائر وفي الشركيات والبدع والضلالات يصدُق عليه أنه يجادل بغير علم، ويتبع الشيطان، كما قال: ﴿وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ﴾.

من شياطين الجن والإنس، هؤلاء الشياطين منهم دعاة يجادلون، ومنهم مقلدون وكلهم يصدق عليهم هذا الوعيد وهذا الذم، فلنتق الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- ولا نخالف كتاب الله ولا نخالف سنة رسول الله ﷺ، لا نخالف هدي محمد ﷺ فخير الهدي هديه، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، ما يؤمِّن مبتدعًا أنه إذا وقع في بدعة واحدة أن يكون من أهل النار.

فلنحذر البدع كل الحذر، ولنحذِّر منها أشد التحذير، فرسولنا ﷺ كان في كل خطبه أو جلِّ خطبه -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- يقول: «**أمَّا بعد.. إنَّ أَصدَقَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ وَأَحسَنَ الهَدي هَديُ مُحَمَّدٍ**». يقول هذا لنتبع كتاب الله ولنتبع هديه -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

ثم يقول: «**وَشَرُّ الأُمُورِ مُحدَثَاتُها وَكُلُّ مُحدَثَةٍ بِدعَةٌ وَكُلُّ بِدعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ**»[1].

يقول هذا في خطبه -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، وليس في أصحابه مبتدع

(١) أخرجه أحمد (١٤٣٣٤و ١٤٤٣١ و ١٤٩٨٤- الرسالة)، ومسلم: كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة (٢٠٤٢)، والنسائي، كتاب: صلاة العيدين، باب: كيف الخطبة (١٥٧٨) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، واللفظ له.

-رضوان الله عليهم-؛ ولكن هذا تحذير للأمة لينقله أصحابه إلىٰ من بعدهم، ليجتنبوا هذا الشَّر وهي البدع، فاجتنبوا الشَّر والبدع، واتقوا الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-.

أسأل الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- أن يجعلنا وإياكم من الذين يستمعون القول فيتَّبعون أحسنه، وأن يجنِّبنا سخطه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأن يجنِّبنا أهوال ذلك اليوم الرَّهيب، إنَّ ربنا لسميع الدُّعاء.

وصلَّىٰ الله علىٰ نبيِّنا محمَّد وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم.

* * *

المجلس السابع عشر:
من أول سورة المؤمنون إلى الآية (٢٠) من سورة الفرقان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصَّلاة والسَّلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبه ومن اتبع هداه.

وبعد:

فقد استمعتم إلىٰ تلاوة هذه الآيات الكريمات من سورة المؤمنون، ومن سورة النور، ومن أوائل سورة الفرقان.

وإن فيها لعبرًا، وإن فيها لعظات، وإن فيها لتقريرًا لتوحيد الله وللبعث والجزاء، وذكر الرسل الكرام -عَلَيهِم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- الذين جاءوا يذكِّرون الناس بتوحيد الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- وبالجزاء والحساب.

بعض ما تضمنته سورة النور:

في سورة النُّور ذكر آيات الأحكام من أول السورة؛ إقامة الحدود علىٰ من يرتكب ذنب الزنا، ولمن يرمي المحصنات، حتىٰ لو رمىٰ زوجه بيَّن الله حكم ذلك.

وذكر الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- في سورة النور آيات الحجاب وآيات الاستئذان، تربية للأمة علىٰ الأخلاق وعلىٰ احترام الأعراض، وذكر مكانة الرسول الكريم -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، وحذَّر الناس من مخالفته، ووصم المنافقين الذين إذا دُعوا إلىٰ حكمه تولوا وهم معرضون، وبين مكانة المسلمين الذين انقادوا لحكمه -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

وفي أواخر هذه السورة قال: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. وبيَّن للناس كيف يتأدبون مع هذا الرسول -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- فإذا كانوا معه ... فلا يذهبوا حتىٰ يستأذنوه، وإذا نادوه يتأدبون في ندائه -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، فلا يقولوا: يا محمد، إنَّما يقولون: يا رسول الله، يا نبي الله، ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ إلىٰ آخر الآيات.

صفات المفلحين:

أرجع إلىٰ أوائل سورة المؤمنين، فالله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- قال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

هذه صفات المؤمنين الصادقين المخلصين، الذين اتصفوا بهذه الصفات

العظيمة، بيَّن الله أن جزاءهم جنة الفردوس، وجنة الفردوس كما في الحديث الصحيح عند البخاري: «**فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَاسأَلُوهُ الفِردَوسَ، فَإِنَّهُ أَوسَطُ الجَنَّةِ وَأَعلَىٰ الجَنَّةِ، أُرَاهُ فَوقَهُ عَرشُ الرَّحمَنِ، وَمِنهُ تَفَجَّرُ أَنهَارُ الجَنَّةِ**»[١].

فمن أراد هذه المنزلة العظيمة؛ أعلىٰ الجنان، فعليه أن يحرص أن يتصف بهذه الصفات العظيمة، وأولها الإيمان بالله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، والإيمان بالله ﷻ تفاصيله كثيرة في القرآن والسنة، ومن أهمها الإيمان بالله ﷻ وبأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلا، وأنه المعبود الحق، الذي لا يشاركه أحد، لا يستحق أحد ذرة مما لله ﷻ من العبادة، فلا ملَك مقرب ولا نبي مرسل يستحق شيئًا من هذا الحق العظيم الذي أمر الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- به.

فمن صرف شيئًا من هذا الحق وهو العبودية لله فقد أشرك بالله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج:٣١].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨].

ومن الإيمان: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، هذه أركان الإيمان الستة، والتي من أنكر شيئًا منها خرج من ملة الإيمان والإسلام، وذكر الأعمال الصالحة التي يتَّصف بها هؤلاء المؤمنون فقال: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ يخشعون لله في صلاتهم.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب: درجات المجاهدين في سبيل الله (٢٦٣٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

والخشوع كما ذكر ابن عباس رضي الله عنهما: الخوف من الله وقلبه خاضع خاشع لله خائف منه، وجوارحه ساكنة تأدبًا مع الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، واهتمامًا بأمر هذه الصلاة العظيمة، فيسكن قلبه ويخشع وتسكن جوارحه، ويراقب الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- ويعبد الله كأنه يراه، في قمة الإخلاص والإحسان: «**أَن تَعبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِن لَم تَكُن تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»(١).

هذه الصلاة أمر مهم، بعض الناس يدخل في الصلاة وهو ساهٍ لاهٍ، لا يدري كم صلىٰ، وبعضهم يفكر في أمور الدنيا، ويدخل في حسابات الأموال، والله أعلم، وهذا يخالف وصف المؤمنين الذين هم في صلاتهم خاشعون، فاخشعوا لله في صلاتكم، وكونوا علىٰ طريقة محمد ﷺ في صلاته: «**صَلُّوا كَمَا رَأَيتُمُونِي أُصَلِّي**»(٢).

وكان ﷺ خير الخاشعين، وكان يؤدي الصلاة علىٰ أكمل الوجوه -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-؛ ركوعها وسجودها وخشوعها إلىٰ آخره، وكان «**يُصَلِّي وَلِجَوفِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ المِرجَلِ**»(٣)، كان يسمع له أزيز كأزيز المرجل من خوفه

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل للنبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة (٥٠) مسلم، كتاب: الإيمان، باب: الإيمان ما هو وبيان خصاله (١٠٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه، (١٠٢) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) من حديث رواه البخاري عن مالك بن الحويرث رضي الله عنه، كتاب: التمني، باب: ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق في الأذان والصلاة والصوم والفرائض والأحكام (٦٨١٩).

(٣) أخرجه أحمد (١٥٧٢٢)، وأبو داود، كتاب: الصلاة، باب: البكاء في الصَّلاة (٧٦٩)، والنسائي، كتاب: السهو، باب: البكاء في الصَّلاة (١١٩٩) عن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه.

من الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-.

وهو -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- أفضل خلق الله وأقربهم إليه وأحبهم إليه، وهو خليله كما أنَّ إبراهيم خليله -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، ومع هذا يخشىٰ الله ويراقبه: «**وَاللهِ إِنِّي لَأَخشَاكُم لِلَّهِ وَأَتقَاكُم لَهُ**»(١).

وهذه الصَّلاة لمن أخلص فيها وأداها علىٰ وجهها تنهىٰ عن الفحشاء والمنكر، فإذا رأيت من يأتي الفحشاء والمنكر، إما أنه لا يصلي وإما أنَّ في صلاته خللًا.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ﴾ اللغو فُسِّر بالكلام الذي لا فائدة فيه، وفُسِّر بالشرك، وفُسِّر بالباطل، ولعل الآية تتناول هذه الأصناف كلها، فلا يشركون بالله ﷻ ولا يقعون في الباطل، ولا يخوضون في الكلام الفارغ وتضييع الأوقات في اللهو واللعب، وإنَّما هم جادون في حياتهم، يعملون الصَّالحات، ويتقربون إلىٰ الله، ويتعلمون العلم، ويدعون إلىٰ الله، أعمال جادة، لأنهم جعلوا الجنة نُصب أعينهم، فكونوا من هذه الأصناف وأعرضوا عن اللغو، وما أكثر اللغو في هذا العصر، فإنه يأتي الناس من فوقهم من الفضاء، ومن تحت أرجلهم، ومن الصحف ومن المجلات، وأكثَروا -والله- من اللغو ومن الباطل.

---

(١) أخرجه البخاري -واللفظ له-: كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح (٤٧٧٦)، عن أنس بن مالك ﷺ، وأخرجه مسلم: كتاب الصوم، باب بَيَانِ أَنَّ القُبلَةَ فِي الصَّومِ لَيسَت مُحَرَّمَةً عَلَىٰ مَن لَم تُحَرِّكْ شَهوَتَهُ (٢٦٤٤)، عن عمر بن أبي سلمة ﷺ نحوه.

فلا تشغلكم مثل هذه الأمور عما خلقكم الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- له؛ وهو عبادته والإخلاص له والاستقامة علىٰ دينه والثبات عليه في هذه الحياة الدنيا، لا تكونوا من أهل اللَّهو واللَّغو والضياع، والعياذ بالله، ونسأل الله العافية من هذه الفتن، ونسأله أن يجنبنا إياها.

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴾ والزكاة هي قرينة الصلاة؛ لأنهما من أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين، ولهذا تارك الصلاة يقتل إذا أصر علىٰ تركها، وتارك الزكاة يقاتل، وقد قاتلهم الصديق ﷺ وقال: «وَاللهِ لَو مَنَعُونِي عَنَاقًا كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُم عَلَىٰ مَنعِهَا. قَالَ عُمَرُ ﷺ: فَوَاللهِ مَا هُوَ إِلَا أَن قَد شَرَحَ اللهُ صَدرَ أَبِي بَكرٍ ﷺ فَعَرَفتُ أَنَّهُ الحَقُّ»[(١)].

وقد ألغيت في كثير من بلاد الإسلام واستعاضوا عنها بالمكوس والضرائب التي هي أشد من الخمر وأشد من الرِّبا -والعياذ بالله-.

وهذا الركن لو احترموه والتزموه وأقاموه للأمة لأغناهم الله عن هذه الضرائب الفاسدة التي لا تزيدهم إلَّا فقرًا وذلًّا.

الزكاة أمر عظيم، قاتل علىٰ منعها أصحابُ محمد ﷺ، قاتلوا مانعيها مع المرتدين، حصلت ردة بعد موت الرسول -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، ووجد في وسطهم من بقي علىٰ الإسلام لكنه منع الزكاة، لا كفر ولا أشرك لكنه منع الزكاة، ففيهم ناظر عمر أبا بكر ﷺ: «كَيفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ، وَقَد قَالَ

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الزكاة، باب: وجوب الزكاة (١٣٣٥)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتىٰ يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله (١٣٣) عن أبي هريرة ﷺ.

رَسُولُ اللهِ ﷺ: أُمِرتُ أَن أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ فَمَن قَالَهَا؛ فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ، وَنَفسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَىٰ اللهِ.

فقال أبو بكر ﷺ: وَاللهِ لأُقَاتِلَنَّ مَن فَرَّقَ بَينَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ»(١).

فهما متلازمان، والصحابة مسلِّمون بأن تارك الصلاة يقتل ويقاتل، لكن في الزكاة حصلت شبهة وانزاحت، أزاحها الصديق، وكلهم أجمعوا وأطبقوا علىٰ قتال المرتدين ومانعي الزكاة، فمع الأسف الآن لا تُطلَب فضلًا علىٰ أن يقاتل عليها، الله أكبر، نسأل الله أن يرزق المسلمين علماء صالحين ناصحين، وحكامًا عادلين لتستقيم حياتهم، ويخرجون الأُمَّة من هذه الدوامة التي وقعت فيها.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ﴾ عفة، خوفًا من الله وصيانَة للأعراض وحماية لها، وبُعدًا لأنفسهم عن هذه الرذائل -رضوان الله عليهم-، ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ﴾؛ فإن الله قد أباح لهم ذلك، أباح الله للرجل أن يتزوج إلىٰ أربع، وأباح له السراري، أباحها للمسلمين ﴿فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ﴾ أباح لك النكاح إلىٰ أربع، وأباح لك التسري؛ ولكن التسري لا يوجد الآن، والذين يجاهدون الجهاد الخرافي لا وجود لهذا الأمر عندهم، كان من ثمار الجهاد؛ الغنائم والسبي والتسري بنساء العدو.

هذا فيه عزة للإسلام والمسلمين، وإذلال للكفر والكافرين والشرك والمشركين، فيه عزة للإسلام، هذه أسقطوها لأنها عار، لأنها تتنافىٰ ومبادئ

(١) انظر التخريج السابق.

الأمم المتحدة مع الأسف الشديد، جاهد الإخوان المسلمون هنا وهناك ولا ذكر لهذه الأمور في جهادهم؛ لأنه جهاد ما أريد به إعلاء كلمة الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-.

الجهاد لإعلاء كلمة الله له مستلزمات وله مقتضيات وله توابع، ومنها الغنائم ومنها السبي يدخل في الغنائم، ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾. هذه من توابع الجهاد الذي يرفع لإعلاء كلمة -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، فلا وجود له خلال هذه الشعارات المزيفة، الآن باسم الجهاد يظلم الناس مع الأسف الشديد؛ بل أصبح قتلًا وتشريدًا وتخريبًا في بلاد المسلمين، وهذا دليل علىٰ انحراف هذه الدعوات وزيف هذه الشعارات.

نسأل الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- أن يهيئ للأمة دعاة ناصحين وحكامًا عادلين عاملين ليعز الله بهم الإسلام ويعزهم بالإسلام.

واقتصر علىٰ هذا الحد لأسمح للأخ الشيخ محمد يتكلم بما يحب، وفق الله الجميع.

وهو الشيخ محمد بن عبد الوهاب الوصابي.

وهذا أخوكم شمس العالم رئيس أنصار جماعة أهل الحديث في بنجلاديش.

وهذا الشيخ محمد بن عبد الوهاب الوصابي كبير علماء اليمن ودعاتهم نسأل الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- أن يؤلف بين قلوب السلفيين في كل مكان، وأن يذهب عنهم المحن والإحن إن ربنا سميع الدعاء.

وأدعو الأخ الكريم ليتكلم بما يتيسر له.

بسم الله الرحمن الرحيم

الشيخ محمد بن عبد الوهاب الوصابي.

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وآله وسلم.

أما بعد:

أركان التقوى:

نظرًا لضيق الوقت نتواصىٰ بتقوىٰ الله ﷻ، والتي هي وصية الله إلىٰ جميع خلقه كما قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [النساء:١٣١].

هذه الوصية العظيمة المباركة؛ وصية الله لعباده بتقواه، وتقواه ﷻ لابد لها من ثلاثة أركان:

* امتثال ما أمر الله به ورسولهﷺ.

* واجتناب ما نهىٰ عنه الله ورسولهﷺ.

* وتصديق ما أخبر الله به ورسولهﷺ.

فمن فعل ذلك فقد اتقىٰ الله حق التقوىٰ، ويزيدها كمالًا شيئان:

الأول: فعل المستحبات.

والثاني: ترك المكروهات.

فنسأل الله ﷻ أن يمن علينا جميعًا بتقواه، وأن يرزقنا وإياكم الإخلاص في القول والعمل، وأن يوفقنا جميعًا لطلب العلم والتمسك بالكتاب والسنة والعقيدة الصَّحيحة حتىٰ نموت علىٰ ذلك.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وآله وسلم.

* * *

المجلس الثامن عشر: من الآية (٢١) من سورة الفرقان إلى الآية (٥٨) من سورة النمل

بسم الله الرحمن الرحيم

رحمة الله للمؤمنين يوم القيامة وتهديده للكافرين:

الشيخ [محمد الوصابي]:

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه نستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

سمعنا بعض الآيات من إخواننا جزاهم الله خيرًا ووفقنا الله وإياهم، والذي ينبغي على العبد؛ أن يتمسك بكتاب الله عز وجل، وأن يتدبر ما فيه من الخير والهدى، وقد تلا بعض إخواننا علينا قول الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾.

وهذه الآيات المباركة يبين الله فيها حقائق ويحذِّر ويرغِّب -تَبَارَكَ

وَتَعَالَىٰ- بما فيها من الأخبار الصادقة، وبما فيها من الوعد للمؤمنين والوعيد للكافرين، فيقول الله ﷻ: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ﴾.

فذلك يكون يوم القيامة و﴿وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾. فالملائكة تنزل يوم القيامة ويكثر تنزُّلها، وفي هذا بيان لاعتقاد أهل السنة والجماعة من إثبات علو الله كما وصف الله نفسه بذلك فقال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم﴾؛ أي: أن الملائكة تخاف الله ﷻ ﴿مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠].

فيوم القيامة تتنزل الملائكة تنزيلًا، يكثر تنزلها، ثم يبين الله ﷻ ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾.

وينبغي عليك إذا قرأت القرآن أن تتدبر آياته، فإن الله ﷻ لا يقول كلمة ولا جملة إلا في موضعها، ولذلك أمر الله عباده بالتدبر فقال تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤].

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

فيذكر الله اسمه بصفة الرحمة: الرحمن، قال الله ﷻ: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ وفي هذا من البيان، أن الله ﷻ يبشر عباده المؤمنين يوم القيامة برحمته كما جاء في صحيح مسلم وغيره: «**إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحمَةٍ، أَنزَلَ مِنهَا رَحمَةً وَاحِدَةً بَينَ الجِنِّ وَالإِنسِ وَالبَهَائِمِ وَالهَوَامِّ، فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ، وَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ، وَبِهَا تَعطِفُ الوَحشُ عَلَىٰ وَلَدِهَا، وَأَخَّرَ اللهُ تِسعًا وَتِسعِينَ رَحمَةً**

يرحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يومَ القِيَامَةِ»(١).

فالله ﷻ ذكر اسمه الرحمن في هذا الموضع، وفي هذا الموطن ليبين ﷻ، والله أعلم بمراد كلامه، أن الله ﷻ سيرحم عباده المؤمنين.

ثم بعد ذلك يقول: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾، ثم يعذب الكافرين ويتوعدهم، قال الله: ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾.

فيوم القيامة هو رحمة الله للمؤمنين، وفيه من العسر وفيه من العذاب، وفيه من الوعيد الشديد علىٰ الكافرين المخالفين لمنهج الله ولدين الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، والمكذِّبين لأنبيائه ورسله.

ثم بيَّن الله ﷻ أنه يرحم عباده المؤمنين الذين يتبعون النبي ﷺ، ويقتفون أثره، ولا يخالفون هديه، وتوعد الكافرين وبَيَّن ما يلاقونه من الحسرة والندامة، فقال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾.

ولا يوجد مسلم علىٰ وجه الأرض ينكر سبيل النبي ﷺ مكذبًا له وإلَّا لا يكون مسلمًا، ولذلك فإن سبيل الرسول -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، هو ما كان عليه من الهدي، وما كان عليه من الاعتقاد، وما كان عليه من الأقوال

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري، كتاب: الأدب، باب: جعل الله الرحمة في مائة جزء (٥٦٥٤)، ومسلم -واللفظ له-، كتاب: التوبة، باب: في سعة رحمة الله تعالىٰ وأنَّها سبقت غضبه (٧١٥٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

والأفعال التي سنَّها وشرعها لأمته، وما جاء به من عند الله ﷻ.

ولذلك يوم القيامة يقول الله ﷻ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ وما هو سبيل الرسول؟ كل مسلم علىٰ وجه الأرض يؤمن بالنبي ﷺ؛ ولكن هناك من المسلمين من يعارض سبيل النبي ﷺ.

وإن اعتقد أن النبي ﷺ رسول الله حقًّا، ولكنه يصد عن سبيل الرسول ﷺ بسوء فهمه وبسوء اعتقاده، ولعدم متابعته لما كان عليه رسول الله -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، وسبيل الرسول ﷺ بينه الله ﷻ قائلًا: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥].

فبيَّن الله ﷻ أن سبيل رسول الله ﷺ هو ما عليه المؤمنون من أصحاب النبي ﷺ، ومن سلك سبيلهم من السلف الصالح كما جاء في الصحيحين أن النبي ﷺ يقول: «**خَيرُ النَّاسِ قَرنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُم، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُم**»(١).

وقد أخرج الإمام أحمد بإسناد حسن عَن أَبِي هُرَيرَةَ أَنَّهُ قَالَ: «سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَيُّ النَّاسِ خَيرٌ؟ فَقَالَ: **أَنَا وَالَّذِينَ مَعِي، ثُمَّ الَّذِينَ عَلَىٰ الأَثَرِ ثُمَّ**

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري: كتاب الشهادات، باب لا يشهد علىٰ جور إذا أشهد (٢٥٠٩)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فَضلِ الصَّحَابَةِ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُم ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُم (٦٦٣٥)، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

وأخرجه البخاري: كتاب الشهادات، باب لا يشهد علىٰ جور إذا أشهد (٢٥٠٨)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فَضلِ الصَّحَابَةِ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُم ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُم (٦٦٣٨)، عن عمران بن حصين رضي الله عنه.

الَّذِينَ عَلَىٰ الأَثَرِ، ثُمَّ كَأَنَّهُ رَفْضَ مَن بَقِيَ»[(١)].

والذين علىٰ الأثر منهم أهل الحديث أهل السنة، ولذلك لا يمكن لك أن تتبع سبيل النبيﷺ إلا أن تسلك مسلك السلف الصالح فيما كانوا عليه من الهدىٰ وما كانوا عليه من الاعتقاد.

لذلك كانوا يحتجون بما كان عليه سلفهم، كما ذكر الإمام الذهبي في كتاب العلو وصححه الألباني، عن عباد بن العوام: قدم علينا شريك بن عبد الله مذ نحو من خمسين سنة، فقلنا له: يا أبا عبد الله إن عندنا قومًا من المعتزلة ينكرون هذه الأحاديث: **«أن الله ينزل إلىٰ السماء الدنيا»**. **«وأن أهل الجنة يرون ربهم»**.

فحدثني شريك بنحو من عشرة أحاديث في هذا ثم قال: أما نحن فأخذنا ديننا عن أبناء التابعين عن الصحابة فهم عمن أخذوا؟![(٢)].

قال أبو الحسن الميموني: كان أبو عبد الله -يعني: الإمام أحمد بن حنبل- يقول: يا أبا الحسن، إياك أن تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام.

فسبيل رسول الله ﷺ هو لزوم ما كان عليه السلف، ثم دليلك إلىٰ ما كان عليه السلف؛ الراسخون من أهل العلم في كل زمان، لذلك النبيﷺ يقول في الصّحيحين: **«لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِن أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَىٰ الحَقِّ لَا يَضُرُّهُم**

---

(١) أخرجه أحمد (٨٤٨٣).

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (١/ ٢٧٣برقم٥٠٩)، وابن بطة في الإبانة الكبرىٰ -القدر- (٣/ ٢٠٢برقم١٥٦)، والدارقطني في الصفات (٧٣برقم٦٥)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٣٧٤برقم٩٤٩).

مَن خَذَلَهُم حَتَّىٰ يَأْتِي أَمرُ اللهِ وَهُم كَذَلِكَ»(١).

قال أبو عبد الله البخاري: وهم أهل العلم.

فأنت لا سبيل لك أن تفهم ما كان عليه السلف الصالح من القرون الفاضلة من الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم، إلا أن تتابع وأن تلزم سبيل أهل العلم في زمنك، فإن النبي ﷺ أخبر خبر حق بأن الحق لا يخرج عن هؤلاء الذين هم أهل العلم.

قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل، إن لم يكونوا أهل الحديث، فلا أدري من هم؛ لذلك فإن من أعظم الضلال أن يتمسك الإنسان أو أن يتمسك المسلم بالكتاب والسنة بزعم ثم هو مضاد ومخالف لما كان عليه السَّلف، ثم لا يرفع رأسًا بأهل العلم في زمنه، وانظر إلىٰ ما قال بعض أئمتنا عندما سئل عن الطائفة المنصورة فقيل له: إن أبا بكر وعمر قد ماتا، قال: أبو حمزة السكري، وكان أبو حمزة من أئمة أهل السنة(٢).

وجاء بسند صحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: الجماعة ما وافق

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري، كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: قول النبي ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين علىٰ الحق**» (٦٨٨١)، ومسلم، كتاب: الإمارة، باب: قوله ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمَّتي ظاهرين علىٰ الحقِّ لا يضرُّهم من خالفهم**» (٥٠٥٩) عن المغيرة وثوبان رضي الله عنهما.

(٢) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ٤٦٦) و ذكره ابن بطال في شرح البخاري (١٠/ ٣٤-٣٥)، وانظر: الحلية لأبي نعيم (٩/ ٢٣٨-٢٣٩)، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٣/ ٢٦٨-٢٦٩)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٧/ ٣٨٧).

الحق، وإن كنت وحدك[١].

لذلك لا يمكن لك أن تسلك سبيل الرسول ﷺ إلا وأنت متبع للسلف الصالح، ولا يمكن أن تفهم ما كان عليه السلف الصالح إلا وأنت متَّبع للرَّاسخين من أهل العلم؛ الطائفة المنصورة الناجية، الذين هم أهل الحديث والأثر، ومن سلك سبيلهم وعظَّمهم، ولذلك جعل الله الحق لا يخرج عنهم، كما أخرج الشيخان في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**إنَّ اللهَ لَا يَقبِضُ العِلمَ انتِزَاعًا يَنتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ وَلَكِن يَقبِضُ العِلمَ بِقَبضِ العُلَمَاءِ، حَتَّىٰ إِذَا لَم يَترُك عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا فَسُئِلُوا فَأَفتَوا بِغَيرِ عِلمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**»[٢].

فبيَّن النبي ﷺ أن الحق لا ينزع، وأن العلم لا يرفع إلا بموت العلماء، فكذب من أراد أن يتبع الحق ثم هو في وادٍ، ثم هو يستقل عن أهل العلم، ولا يرفع بهم رأسًا، وإنما يزدريهم، ويطلق عليهم ألقاب السوء ويتهمهم بالجهل، فتارة يقولون: إن أهل العلم جهال بفقه الواقع، وأهل العلم هم أهل علم في الحيض والنفاس لا مدخل لهم في الأمور السياسية، لا علم لهم

(١) أخرجه الطبراني في مسند الشاميين (١/ ١٣٨برقم٢٢٠)، والخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه (٢/ ٤٠٤)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٠٨-١٠٩برقم١٦٠)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٦/ ٤٠٧-٤١٠). وصححه الألباني في حاشيته علىٰ مشكاة المصابيح (١/ ٦١)

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري، كتاب: العلم، باب: كيف يقبض العلم (١٠٠)، ومسلم، كتاب: العلم، باب: رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزَّمان (٦٩٧١).

بها، لا يتلقىٰ عنهم إلا أحكام الحيض والنفاس، وهؤلاء أهل سوء.

وقد قال الإمام ابن أبي حاتم في مقدمة الجرح والتعديل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: باب استحقاق السنة لمحبي أحمد بن حنبل.

وكانوا يقولون: إذا رأيت الرجل يتكلم في أحمد بن حنبل فاتهمه، وإذا رأيت الرجل يتكلم في أبي زرعة وأبي حاتم الرازيين فاتهمه علىٰ الدين.

وهكذا في كل زمان إذا أردتم أن تسلكوا سبيل النجاة، فعليكم بمتابعة أهل العلم، ولا نقلد عالمًا بعينه، ولا يحل أن يقلد الناس دينهم أهل العلم؛ بأن يتعصبوا لفلان أو فلان، وإنما الواجب أن يُعظَّم أهل العلم، ثم أنك تأخذ من أقوالهم ولا تخرج عن أقوالهم لأن الحق لا يمكن أن يخرج عنهم.

وفي قوله تعالىٰ حكاية عن ذلك الظالم: ﴿يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا﴾ [الفرقان:٢٧].

وهذا لا يكون إلا بالعلم، فإنك لا يمكن أن تسلك سبيل النبي ﷺ إلا وأنت متبع لما كان عليه من الهدىٰ، وهذا هو العلم النافع، وهو الذي يحمل صاحبه علىٰ المتابعة ظاهرًا وباطنًا، وعلىٰ متابعة النبي ﷺ في ظاهر الأمر في هديك، في أقوالك، في أفعالك، في اعتقادك الباطن، لذلك فإن أكثر الأمة اتباعًا للنبي ﷺ أفضلهم عند الله، فلا خير في هذه الأمة بعد نبيها من أبي بكر رضي الله عنه.

لذلك فإن ثمرة العلم وإن بركة العلم، وإن بركة الاتباع؛ هو العمل الذي هو علىٰ بصيرة وعلىٰ هدىٰ، فعليكم بارك الله فيكم جميعًا ونفعكم الله ونفع بكم أن تتمسكوا بالسنة، وأن تعظِّموا أهل العلم وأن تتمسكوا بما كان

عليه السَّلف انطلاقًا من متابعة الراسخين من أهل العلم، ثم أن تزينوا علمكم بالعمل، فإن بركة العلم وإن ثمرة العلم هو الاتباع والعمل.

وكانﷺ يقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِن عِلمٍ لَا يَنفَعُ، وَمِن قَلبٍ لَا يَخشَعُ وَمِن نَفسٍ لَا تَشبَعُ، وَمِن دَعوَةٍ لَا يُستَجَابُ لَهَا**»(١).

وفق الله الجميع لما فيه رضاه والله أعلم.

❊ ❊ ❊

الشيخ ربيع: شكر الله للشيخ هذه الكلمة الطيِّبة التي فسر بها آية من كتاب الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، وأخذ منها وجوب الاتباع لرسول الله -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، واحترام العلماء المتبعين لرسول الله -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، وهم أئمة أهل السنة والجماعة -رضوان الله عليهم-.

وعليكم باتباع كتاب الله وسنة رسول الله واتباع السلف الصالح، وبذلك تهتدون -إن شاء الله- وترشدون.

أسأل الله أن يجعلكم من المهتدين الراشدين، إن ربنا سميع الدعاء، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة، باب: التَّعوُّذ من شرِّ ما عمل ومن شرِّ ما لم يعمل (٧٠٨١) عن زيد بن أرقم رضي الله عنه.

المجلس التاسع عشر
من أول سورة النمل إلى آخر سورة القصص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[الشيخ محمد الوصابي]

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وآله وسلم.

أما بعد:

فقد سمعتم آيات من هاتين السورتين الكريمتين؛ سورة النمل وسورة القصص.

وسمعتم في سورة النمل ما أنعم الله علىٰ عبده ورسوله الكريم النبي سليمان -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، حيث علَّمه منطق الطير وفهم كلام النملة، فحمد الله علىٰ ذلك وشكره علىٰ ما أنعم به عليه، وكذلك حين رأىٰ عرش الملكة؛ ملكة اليمن، قد أتي به إليه، أيضًا حمد الله وشكره فيما أنعم به عليه، وهذا يذكرنا جميعًا الاهتمام والعناية بشكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علىٰ نعمه، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ

عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم:٧].

فهذه الآية فيها الوعد والوعيد فقال: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ ﴾؛ أي: إذ أعلمكم ربكم وأخبركم وختم بـ: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ هذا هو الوعد الكريم الذي لا يخلف ﴿ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ وهذا هو الوعيد، فلما قال: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ ﴾ لم يحدد ما يشكر عليه، علىٰ أي منة، ليدل علىٰ وجوب الشكر علىٰ جميع النعم، النعم الدينية والنعم الدنيوية، ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ ﴾؛ أي: الله ﷻ علىٰ ما أنعم به عليكم من النعم الدينية والدنيوية ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ فأنت مأجور علىٰ الشكر، وأنت موعود أيضًا بالزيادة.

قال: ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ ﴾ ولم يحدد النعمة التي كُفر بها ليعم جميع النعم الدينية والدنيوية ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾. هذا هو الوعيد من الله ﷻ، والله يقول: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة:٢٤٣]. وقال ﷻ: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ [سبأ:١٣].

ويُفهم من هذا أن الإنسان قد يعذَّب علىٰ عدم الشكر، ما زنىٰ ولا سرق ولا قتل ولا أشرك ولا ترك الصلاة متعمدًا ولا جاهر بمعصية ولا أفطر في نهار رمضان، إلا أنه ليس بشاكر، إذا أنعم الله عليه بنعمة دينية أو دنيوية لا يشكره عليها.

فهذا يُخشىٰ عليه من العذاب؛ لأنه ترك واجبًا ووقع في كبيرة من الكبائر، وهي عدم شكر الله علىٰ ما أنعم به عليه من النعم الدينية والدنيوية، فإنَّ من علامة الكبيرة الوعيد عليها بالعذاب، فهذه متوعد علىٰ تركها بالعذاب ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾.

فعلىٰ كل مسلم أن ينتبه لما أنعم الله به عليه من النعم الكثيرة، كما قال الله: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان:٢١].

وكما قال ﷻ: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم:٣٤].

﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ﴾ ولم يقل: نعم الله؛ لأن الاسم المفرد إذا أضيف يفيد العموم، فيكون معنىٰ الآية: وإن تعدوا نعم الله لا تحصوها كما قال سبحانه: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحىٰ:١١]. ولم يقل: وأما بنعم ربك فحدث، لأن الاسم المفرد إذا أضيف يفيد العموم فيكون المعنىٰ: وأما بنعم ربك فحدث.

فقد جاء في حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما عند أحمد بإسناد حسن أن رسول الله ﷺ قال: «**مَن لَم يَشكُرِ القَلِيلَ لَم يَشكُرِ الكَثِيرَ، وَمَن لَم يَشكُرِ النَّاسَ لَم يَشكُرِ اللهَ ﷻ، وَالتَّحَدُّثُ بِنِعمَةِ اللهِ شُكرٌ وَتَركُهَا كُفرٌ**»(١). معناه أنت مطالب أن تشكر الله علىٰ نعمه، وأيضًا أن تشكر الناس إذا أحسنوا إليك، ومطالب أن تشكر الله علىٰ القليل وعلىٰ الكثير.

---

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند (١٧٧٢١ و١٧٧٢٢-الرسالة)، والبزار في مسنده (٨/ ٢٢٦برقم٣٢٨٢)، والخرائطي في فضيلة الشكر (٦٢برقم٨٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (١١/ ٣٧٧برقم٨٦٩٨-الرشد). قال البزار: «وَهَذَا الحَدِيثُ لَا نَعلَمُهُ يُروَىٰ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِهَذَا اللَّفظِ، إِلَّا مِن هَذَا الوَجهِ بِهَذَا الإِسنَادِ، وَلَم أَسمَع أَحَدًا سَمَّىٰ أَبَا عَبدِ الرَّحمَنِ الَّذِي رَوَىٰ هَذَا الحَدِيثَ عَنِ الشَّعبِيِّ».

وكذلك أن تشكر الناس علىٰ القليل وعلىٰ الكثير، ومطالب أن تتحدث بنعم الله؛ أن الله أنعم عليك وأن الله أعطاك ووهب لك ومنَّ عليك، من باب الشكر لا من باب الافتخار، ﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ﴾.

ثم اعلموا -عباد الله- أن الشكر لا يستقيم للعبد إلا إذا أتىٰ بأركانه الثلاثة: شكر الله باللسان وبالقلب وبالجوارح.

باللسان، أن يشكر الله كما سمعتم الآية ﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ﴾.

وأيضًا، يحمد الله ويثني عليه بما أنعم به عليه، ويكون كثير الشكر، كثير الذكر شكَّارًا لربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

شكر القلب، اعتقاد القلب أن هذه النعمة الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، كلها من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كما قال الله: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾ فشكر القلب، اعتقاد أنها من الله لا بحول منه، ولا بقوة ولا بذكاء ولا بخبرة ولا بمعرفة للناس أو لأحوال الناس أو للواقع، إنَّما من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ومنها أيضًا شكر الله علىٰ الهداية، شكر الله علىٰ التوحيد، علىٰ السنة، علىٰ طلب العلم، علىٰ الجلوس مع أهل العلم، الجلوس مع أهل العلم نعمة عظيمة من نعم الله، كم من أناس حُرموا هذه النعمة، يجلسون مع العصاة، مع أصحاب البدع، مع أصحاب الأهواء، مع أصحاب الحزبيات، وأنتم منَّ الله عليكم بالجلوس بين أيدي أهل العلم المتمسكين بسنة الله وسنة الرسول -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- من أمثال شيخنا ووالدنا الشيخ ربيع، وفقه الله وزادنا وإياه من فضله.

هذه نعمة عليكم يا أهل السنة أن تعرفتم علىٰ أهل العلم من أهل

السنة، وأن منَّ الله عليكم بالوصول إليهم والجلوس بين أيديهم، بسؤالهم سواء السؤال المباشر أو عبر الهاتف أو بالمكاتبة، هذه نعم من الله تحتاج إلىٰ شكر، كم من إنسان لا يعرف إلا الفنان فلانًا والممثل فلانًا، تسأله عن عالم ما عنده خبر عن العلماء إلا من رحم الله، وأنت منَّ الله عليك بفهم السنة، فلابد أن تدمن الشكر، الشكر لله سبحانه، والعمل بما تعلمت، والتزود بالعلم، كما قال الله: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه:١١٤].

وشكر الجوارح: أن تستعملها في طاعة الله، وكذلك شكر القلب، شكر اللسان، استعمالها في مرضاة الله، وتسخير النعم التي أنعم الله بها عليك في مرضاة الله، وأنتم تعلمون قول الله ﷻ: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر:٨]. فأنت مسئول يوم القيامة عن النعيم، وعن النعم التي أنعم الله بها عليك، حتىٰ إن العبد ليُسأل كما جاء في الحديث: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا يُسأَلُ عَنهُ يومَ القِيامَةِ** -يَعنِي: العَبدَ- **مِن النَّعِيمِ أَن يُقَالَ لَهُ: أَلَم نُصِحَّ لَكَ جِسمَكَ وَنُروِيكَ مِن المَاءِ البَارِدِ**»(١).

نعمة أنعمها الله عليك، الماء البارد والظل البارد أنت مسئول عن هذا.

فاللهَ اللهَ يا عباد الله، فلنخش علىٰ أنفسنا إذا قصَّرنا في هذا الجانب جانب الشكر، وليكن لسانك دائمًا يلهج بذكر الله وبشكر الله.

وانظرا إلىٰ نبي الله سليمان عليه السلام بمجرد ما سمع كلام النملة شكر الله

(١) أخرجه الترمذي، كتاب: تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب: ومن سورة ألهاكم التَّكاثر (٣٢٨١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وحمد الله، نعمة تذكرها أو جدد لها شكرًا، وبمجرد ما رأىٰ العرش أمامه شكر الله وحمد الله، هكذا ينبغي أن يكون قلبك يقظًا، كلما تجددت لك نعمة، أَحدِث لها شكرًا وعبادة وطاعة.

انظروا إلىٰ حديث عائشة رضي الله عنها في الصحيح لما كان الرسول -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- يقوم من الليل حتىٰ تتفطر قدماه، وفي لفظ: تتورم قدماه وتشقق، فتقول عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: «أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيلِ حَتَّىٰ تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، فَقَالَت عَائِشَةُ: لِمَ تَصنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللهِ، وَقَد غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟! قَالَ: **أَفَلَا أُحِبُّ أَن أَكُونَ عَبدًا شَكُورًا**»(١)؛ يعني: الله غفر لي هذه نعمة عظيمة كيف أقابل هذه النعمة؟ بالشكر «**أَفَلَا أَكُونَ عَبدًا شَكُورًا**».

كلما أنعم الله عليك بنعمة أحدث لها شكرًا، وقل: هذه نعمة، فالنِّعم التي أنعم الله بها علينا كثيرة، هذه من النعم: المكيفات، الثلاجات، الكهرباء، الجوالات، السيارات، الطائرات، نعم كثيرة جدًّا، فهل شكرنا الله علىٰ هذه النعم؟! لا يزال لسانك يلهج بذكره وشكره وبطاعته.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يوفقني وإياكم وجميع المسلمين لما يحبه ويرضاه، وأن يجعلنا جميعًا ممن صام رمضان وقامه إيمانًا واحتسابًا، إنه سميع الدعاء.

وإلىٰ كلمة شيخنا ربيع -وفقه الله-، وبالله التوفيق.

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري، كتاب: التفسير، باب: سورة الفتح (٤٥٥٧)، ومسلم، كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، باب: إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة (٧٣٠٤).

قال الشيخ ربيع:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وآله وصحبه ومن اتبع هداه.

وبعد:

فقد استمعتم إلىٰ هذه الكلمة الطيبة المباركة لشكر الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- علىٰ نعمه الدينية والدنيوية، وقال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ:١٣] الشاكرون قليل، فكونوا منهم، كونوا من الشاكرين الذاكرين لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-.

ورسول الله -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- علَّم معاذًا فقال له: «**لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ أَن تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَىٰ ذِكرِكَ وَشُكرِكَ وَحُسنِ عِبَادَتِكَ**»(١)؛ لأنه إذا لم يكن لك عون من الله وتوفيق من الله ﷻ لا تستطيع شكره ﷻ ولا ذكره، لأنك ضعيف وفقير إلىٰ الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- في أمور دينك ودنياك.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢١١٩ و٢٢١٢٦-الرسالة)، وأبو داود: كتاب الوتر، باب فِي الاستِغفَارِ، (١٥٢٢)، والنسائي: صفة الصلاة، باب آخر في الدعاء (١٣٠٣)، وابن خزيمة في صحيحه (١/ ٣٦٩برقم٧٥١)، وابن حبان في صحيحه (٥/ ٣٦٤-٣٦٦برقم٢٠٢٠ و٢٠٢١)، والحاكم (١/ ٤٠٧ برقم ١٠١٠) و(٣/ ٣٠٧ برقم٥١٩٤) وصححه، ووافقه الذهبي.

فاسأَلهُ ﷻ أن يمدك بهذا الخير، أن تشكره علىٰ نعمه وعلىٰ فضله ﷻ.

أسأل الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- أن يجعلنا وإياكم من الشاكرين الذاكرين، إن ربنا لسميع الدعاء.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه سلم.

* * *

[أسئلة وأجوبة]

سؤال: الأخ يسأل عن صوم رمضان، وعن أيضًا العيد هل يأخذ بحساب الفلكيين، أو أنه يؤخذ بما ذُكر في الحديث؟

الجواب: لا يؤخذ بحساب الفلكيين، وإنَّما كما قال الرسول ﷺ: **«صُومُوا لِرُؤيَتِهِ وَأَفطِرُوا لِرُؤيَتِهِ؛ فَإِن غُمِّي عَلَيكُمُ الشَّهرُ فَعُدُّوا ثَلَاثِينَ»**(١).

فقوله: **«صُومُوا لِرُؤيَتِهِ»**؛ يعني: إذا رأيتم هلال رمضان فصوموا، وإذا غُمَّ عليكم فأكملوا العدة ثلاثين، لوجود الغيم في ليلة الثلاثين من شعبان أو من رمضان ما رأيتموه قال: **«فَعُدُّوا ثَلَاثِينَ»**. سواء عدة شعبان أو عدة رمضان، وبالله التوفيق.

سؤال: إنسان أتىٰ بعمرة من ميقات أهل بلده، وبعد أن أتىٰ بمناسكها وتحلل منها، ذهب إلىٰ المدينة لزيارة المسجد النَّبوي والصلاة فيه، وبعد ذلك الصلاة علىٰ رسول الله وعلىٰ صاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، والزيارة الشرعية كما عرفتم لأهل البقيع وشهداء أحد، وصلاة ركعتين في مسجد قباء، قال: فهل له أن يعود من ميقات أهل المدينة بعمرة أخرىٰ؟

الجواب: لا بأس بذلك، إن أردت هذا، سواء لك أو لأحد لأنك صرت في سفر آخر، وبالله التوفيق.

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب: الصوم، باب: قول النبي ﷺ: **«إذا رأيتم الهلال فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا»** (١٨١٠)، ومسلم، كتاب: الصيام، باب: وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال والفطر لرؤية الهلال (٢٥٦٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

سؤال : ما حكم صلاة حاسر الرأس؟

الجواب: صلاة حاسر الرأس صحيحة فلا حرج، ولو جعل علىٰ رأسه قلنسوة -التي هي الطاقية- أو غترة أو عمامة، فهذا أفضل كما قال الله: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعراف:٣١].

ومع هذا لو صلىٰ حاسر الرأس، فلا بأس الصلاة صحيحة، كما هو حال المحرم بحج أو عمرة حاسر الرأس، وبالله التوفيق.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

* * *

المجلس العشرون: من أول سورة العنكبوت إلى الآية (٣٠) من سورة الأحزاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبه ومن اتبع هداه.

استمعتم إلىٰ تلاوة هذه الآيات الكريمات من سورة العنكبوت، ومن سورة الروم، ومن سورة لقمان، ومن سورة السجدة، ومن سورة الأحزاب، وفيها عبر وعظات لمن وفَّقه الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- وأهَّلَه للاعتبار والذكرىٰ.

بعض ما تضمنته هذه السور:

في سورة العنكبوت ذكر اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- أنه يبتلي المؤمنين أو من يدَّعي الإيمان، ليعلم الصادق من الكاذب، وذكر بعد ذلك وصيته ﷻ بالوالدين، وكثيرًا ما يقرن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- طاعة الوالدين بحقه ﷻ، لعظمة هذا الحق.

وذكر فيها قصة إبراهيم -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- وعناد قومه، وأنه دعاهم إلىٰ توحيد الله وأقام عليهم الحجج ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن

﴿قَالُواْ ٱقۡتُلُوهُ أَوۡ حَرِّقُوهُ﴾. فأذلهم وأخزاهم.

وذكر في سورة الرُّوم آيات في الأنفس والآفاق، وفي الزوجات والأولاد، آيات عظيمة، ومن آياته، ومن آياته، ومن آياته، إلىٰ آخر السورة.

وذكر في سورة لقمان أن هذا الكتاب هداية للمتقين المؤمنين، وذكر وصية لقمان لابنه، وتتخلل هذه الوصية العظيمة الوصية بالتوحيد والابتعاد عن الشرك، وتتخللها الوصية بالوالدين.

في سورة السجدة ذكر عظمته ﷻ، واستواءه علىٰ العرش، وذكر البعث، وذكره أنه ﴿فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة:٥].

وذكر مكانة عباده الصادقين ﴿إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة:١٥-١٦].

هذا حال المؤمنين الصادقين، هذا حالهم، هذا تأثرهم بكتاب الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- وإيمانهم بالبعث والجزاء.

وفي سورة الأحزاب ذكر رسول الله ﷺ وأولياءه -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- الوصية وذكر أن الرسول أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم.

فالنبي أولىٰ بنا من أنفسنا، فإذا أردت شيئا ورسول الله ﷺ أراد شيئًا، فيجب أن تقدم مراده وأمره -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، فهو أولىٰ بك من نفسك، وأزواجه أمهات المؤمنين لمكانة الرسول -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- بالحرمة والتقدير والإجلال والتعظيم، فهن أمهاتنا، وحرم الله علىٰ المؤمنين الزواج بهن لمكانة الرسول -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- ومكانتهن عند الله ﷻ

، فهن أمهات المؤمنين -رضوان الله عليهن-، وذكر أن رسول الله ﷺ أسوة للمؤمنين ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾.

فكونوا من هذا النوع الطيب الذي يتأسىٰ برسول -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال:٤٥].

أسأل الله أن ينفعكم بما سمعتم، والقصد أن تسمعوا هذا القرآن وتسمعوا هذا الكتاب، لتعتبروا وتتعظوا أسأل الله أن يفقهنا في دينه إن ربنا سميع الدعاء.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

* * *

الدرس الحادي والعشرون: من الآية (٣١) من سورة الأحزاب إلى الآية (٢٧) من سورة يس

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله وعلىٰ آله وصحبه ومن اتَّبع هداه.

أما بعد:

فقد استمعتم -أيُّها الإخوة- إلىٰ تلاوة هذه الآيات الكريمات من سورة الأحزاب، وسورة سبأ، ومن سورة فاطر، ومن سورة يس.

وأرجو أن تكونوا قد استفدتم كثيرًا من هذه الآيات.

بعض ما تضمنته هذه السور:

في **سورة الأحزاب** ذكر الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- أن لنا أسوة في الرَّسول -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٢١]. الله أكبر، فنرجو أن نكون من هؤلاء.

وقال -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- في هذه السُّورة: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب:٣٦]؛ يعني: إذا قضىٰ الله ورسوله أمرًا فلابد من الطاعة، لابد من تنفيذ هذا الأمر، لا خيار لنا، حق الله علينا عظيم، وحق رسوله علينا عظيم -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، فلماذا لا نطيع أمرهما، والعياذ بالله من مخالفة أوامر الله وأوامر رسوله ﷺ.

وذكر الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- منزلة محمد ﷺ في هذه السُّورة، وأنَّ الله أرسله ﴿شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب:٤٥-٤٦]. صفات عظيمة لهذا الرَّسول -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، وفي هذا دعوة إلىٰ اتباع هذا الرسول وطاعته -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

وفيها أمر المؤمنين بالصلاة علىٰ هذا النبي الكريم -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، أخبر الله أنه يصلي هو وملائكته علىٰ هذا النبي، وأمرنا بالصلاة والسلام عليه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٦].

وذكر أن من يؤذيه كافر عند المسلمين ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [الأحزاب:٥٧]. بإجماع المسلمين أنّ من يسب رسول الله كافر، فإيذاؤه وسبه كفر -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب:٥٨]. فإيذاء المؤمنين والطعن فيهم،

ظلمًا وعدوانًا أمر خطير من الكبائر، وعليه وعيد شديد كما في هذه الآية.

وفي سورة سبأ ذكر الله ومجد نفسه ومدح نفسه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وذكر ذمّ الكافرين الذين كذبوا رسوله ﷺ، وأثنىٰ علىٰ نبيه داود وسليمان، وهو الذي منحه الملك، ذلك أن الله سخر الريح لسليمان -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- وسخر له الجن، وهذا من إكرام الله لأنبيائه -عَلَيهِم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، لهم منزلة عند الله تعالىٰ.

وأخبر في هذه السورة أنه أرسل للناس كافة محمدًا -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، كل نبي يرسل إلىٰ قومه خاصة، ومحمد ﷺ أرسل إلىٰ الناس عامة، وهذه إحدىٰ خصائصه -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

وفي سورة فاطر مدح الله نفسه وأثنىٰ علىٰ أوليائه، وأخبر أنه خلق الملائكة أولي أجنحة مثنىٰ وثلاث ورباع، حتىٰ أن لجبريل ستمائة جناح -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، وهناك من الملائكة من يكون أكثر أجنحة من جبريل -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

ملك من الملائكة ينفخ في الصور فيصعق من في السَّموات والأرض.

هذا ما عند الملائكة، كيف بعظمة الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، وهم يخشون ربهم ويخافونه ويعبدونه ويسبحون بالليل والنهار.

إبطال الشرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

وذكر -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- واقع المدعوين من دون الله، وأنهم لا يملكون ذرة في السَّموات ولا في الأرض ولا قطميرًا ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا

يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ﴾ [فطر:١٣-١٤].

فمن الضلال البعيد أن يُدعىٰ غير الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-؛ فإنه كفر بالله وشرك به، والدُّعاء أعظم العبادات، الدعاء هو العبادة، فمن يصرف حق الله هذا من الدُّعاء وغيره من الذبح والنذر ...إلىٰ آخره لغير الله فقد ضل ضلالًا مبينًا، وقد بيَّن الله حال المدعوين؛ أنهم لا يملكون قطميرًا، والقطمير هو غلاف النواة، فليس له وزن وليس له قيمة، فلا يملكون من هذا الكون العظيم؛ السَّموات والأرضين وما فيها من جبال وبحار والشمس والقمر والكواكب إلىٰ آخره، لا يملكون منها مثقال ذرة ولا يملكون قطميرًا ولا فتيلًا.

فأين عقول النَّاس؟! بل عقول هؤلاء الذين يدَّعون أنهم مسلمون، وهم يدعون غير الله صباح مساء؛ بل يعتقدون في غير الله، ويذبحون لهم وينذرون لهم ويطوفون بقبورهم ويسجدون لهم، وهذا كثير في بلاد المسلمين، في مشارق الأرض ومغاربها.

أين هذه الآيات التي تصدع بالتوحيد وتندد بالشرك وتبين فقر الناس إلىٰ الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ [فاطر:١٥]. الأحياء والأموات فقراء إلىٰ الله ﷻ، الأموات فقراء إلىٰ رحمة الله إن لم يرحمهم الله فقد هلكوا.

وفي سورة يس ذكر الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- أنَّ محمدًا من عند الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، وذكر أصحاب القرية الذين بعثهم الله فكذبوهم، وعززهم بثالث ودعاهم إلىٰ الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، ثم ذكر الله خبر الرجل الذي جاء يسعىٰ

داعيًا إلىٰ التوحيد، فأخبر الله أنه أدخله الجنة.

الأمر بذكر الله وبيان شيء من فضله:

أرجعُ إلىٰ آية أو آيتين من **سورة الأحزاب** وهي قوله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢].

﴿ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾ لا حدود له، ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾، فيا أيها الشباب عليكم بذكر الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- وتسبيح الله بكرة وأصيلًا، وقد ورد في التَّسبيح خاصة أحاديث، وفي الذكر عامة أحاديث.

من الذكر العام قول النبي -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «**سِيرُوا هَذَا جُمدَانُ سَبَقَ المُفَرِّدُونَ**. قَالُوا: وَمَا المُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: **الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ**»(١).

وقال -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**مَن قَالَ: سُبحَانَ اللهِ وَبِحَمدِهِ فِي يَومٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّت خَطَايَاهُ، وَإِن كَانَت مِثلَ زَبَدِ البَحرِ**»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة، باب: الحثّ علىٰ ذكر الله تعالىٰ (٦٩٨٤) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري، كتاب: الدعوات، باب: فضل التسبيح (٦٠٤٢)، ومسلم، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة، باب: فضل التَّهليل والتَّسبيح والدُّعاء (٧٠١٨).

انظروا لهذا -أيُّها المؤمنون- وأنت تمشي وأنت راكب وأنت نائم بكل سهولة، تقولها في اليوم مائة مرة يحط الله عنك جميع خطاياك، الله أكبر، هذا الفضل من الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، والمفرّدون السابقون كما في الحديث الأول، اذكر الله كثيرًا، حتىٰ أن في بعض الأحاديث أنَّ الذكر أفضل من الجهاد.

فأكثروا من ذكر الله أيها الشباب، وأكثروا من الصلاة علىٰ النبي -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- فإن في ذلك خيرًا كثيرًا، وأطيعوا الله ورسوله في كل أحوالكم.

وفي ذلك أحاديث في صحيح مسلم ومسند أحمد وغيرهما عن سعد ابن أبي وقاص ﷺ قال: «كُنَّا عِندَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: **أَيَعجِزُ أَحَدُكُم أَن يَكسِبَ كُلَّ يوم أَلفَ حَسَنَةٍ.**

فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِن جُلَسَائِهِ: كَيفَ يَكسِبُ أَحَدُنَا أَلفَ حَسَنَةٍ؟ قَالَ: **يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسبِيحَةٍ فَيُكتَبُ لَهُ أَلفُ حَسَنَةٍ أَو يُحَطُّ عَنهُ أَلفُ خَطِيئَةٍ**»(١).

تقول: سبحان الله سبحان الله سبحان الله.. مائة مرة تكسب ألف حسنة، وتحط عنك ألف سيئة.

وهذا الحطُّ والغفران -أيها الإخوة- لا تنسوا، إنَّما هو للصَّغائر فلابد من اجتناب الكبائر: ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ﴾ [النجم:٣٢].

---

(١) أخرجه أحمد (١٤٩٦ و١٥٦٣ و١٦١٢ و١٦١٣-الرسالة)، ومسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء (٧٠٢٧)، والترمذي: كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح والتكبير والتهليل والتحميد، (٣٤٦٣-الألباني).

فلابد من اجتناب الكبائر، والكبائر لا تغفر إلا بالتوبة النصوح، فنذكر الله كثيرًا ونجتنب الكبائر، حتىٰ إذا ذكرنا الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- بمثل هذه الأذكار التي وردت تحط عنا سيئاتنا وترفع درجاتنا عند الله ﷻ.

أسأل الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- أن يجعلنا وإياكم من المؤمنين الذاكرين الله كثيرًا.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

* * *

المجلس الثاني والعشرون
من الآية (٢٨) من سورة يس إلى (٤١) من سورة ص

بسم الله الرحمن الرحيم

بذل المال في سبيل الله والحذر من الاغترار به [الشيخ محمد الوصابي]:

الحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين.

سمعنا بعض الآيات المباركات الكريمات، من إخواننا جزاهم الله خيرًا ووفقنا وإياهم.

والله ﷻ قد ذكر في سورة يس مُخبرًا عن حال الكافرين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾ فالله ﷻ يبيِّن في هذا أن من صفة الكافرين أن يضنوا بما فرض الله عليهم من أموالهم، وأن الله ﷻ فرض في أموال الأغنياء أن يطعموا الفقراء، وأن يعطوا من أوجب الله ﷻ له الزكاة، والله ﷻ قد حذَّر المسلمين المؤمنين الصادقين أن يظنوا أن الله خاذلهم، والله ﷻ يبين في قوله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ﴾ [التوبة:٢٨].

فالله ﷻ ييسر لأهل التقىٰ والصلاح ومن يقومون بدعوة الحق، ييسر لهم الخير في الدين والدنيا، وقد ربط الله ﷻ الأرزاق بتقواه، فقال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:٢-٣].

وقال أيضًا: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف:٩٦].

فالذين يقومون بدعوة الحي القيوم يغنيهم الله من فضله، والله ﷻ أمر أن يكون مقصود الإنسان هو طاعة الله ﷻ، وأن الله يُسخِّر الدنيا لعباده حتىٰ تستعمل في طاعة الله ﷻ، فقال الله ﷻ مبيِّنا قول نبيه نوح -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح:١٠-١٢].

فأهل الحق لا يبيعون دينهم بعرض من الدنيا قليل، ولا تتأثر دعوتهم بقلة المال أو بكثرته، الصحابة رضي الله عنهم كان بعضهم يبتلىٰ بالفقر حتىٰ يخر علىٰ الأرض من شدة الجوع؛ لكنهم كانوا يتمسكون بالحق، وكانوا لا يتركون الحق لعرض من الدنيا، وإنما يبيع الرجل دينه بعرض من الدنيا إذا ضعف دينه، وإذا اختل يقينه بالله.

وقد صحح الألباني في صحيح الجامع وغيره أن النبي ﷺ يقول: «**صَلَاحُ أَوَّل هَذِهِ الأُمَّةِ بِالزُّهدِ وَاليَقِينِ، وَيَهلِكُ آخِرُهَا بِالبُخلِ وَالأَمَلِ**»[1].

---

(١) أخرجه أحمد في الزهد (ص١٠)، والطبراني في الأوسط (٧/ ٣٣٢برقم٧٦٥٠)، والبيهقي

فحرص الإنسان علىٰ المال بأن يتمسك به وأن يترك ما فرض الله ﷻ عليه هو سبب لهلاكه.

وانظروا بارك الله فيكم كيف كان خلق النبيﷺ لما جاءه ضيف عنده، وفي صحيح مسلم لما جاء الضيف إلىٰ النبيﷺ قال «**مَن يُضِيفُ هَذَا اللَّيلَةَ رَحِمَهُ اللهُ؟**

فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الأنصَارِ فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَانطَلَقَ بِهِ إِلَىٰ رَحلِهِ، فَقَالَ، لامرَأَتِهِ: هَل عِندَكِ شَيءٌ؟

قَالَت: لَا، إِلَّا قُوت صِبيَانِي.

قَالَ: فَعَلِّلِيهِم بِشَيءٍ، فَإِذَا دَخَلَ ضَيفُنَا فَأَطفِئِي السِّرَاجَ وَأَرِيهِ أَنَّا نَأكُلُ، فَإِذَا أَهوَىٰ لِيَأكُلَ فَقُومِي إِلَىٰ السِّرَاجِ حَتَّىٰ تُطفِئِيه.

قَالَ: فَقَعَدُوا وَأَكَلَ الضَّيفُ، فَلَمَّا أَصبَحَ غَدَا عَلَىٰ النَّبِيﷺ فَقَالَ: **قَد عَجِبَ اللهُ مِن صَنِيعِكُمَا بِضَيفِكُمَا اللَّيلَةَ**»[(١)].

هكذا علينا أن نتمسك بدعوة الحق، وألَّا نبيع ديننا بعرض من الدنيا،

= في شعب الإيمان (١٣/ ١١٧-١١٨ و٢٩٠برقم١٠٠٤٦ و١٠٣٥١)، عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف، وفضل إيثاره (٥٤٨٠)، عن أبي هريرة ﵁، ورواه البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (٣٥٨٧)، عنه ﵁ نحوه.

وأن ننفق فإنه في الصحيحين قال: «**قَالَ اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-: يَا ابنَ آدَمَ أَنفِق أُنفِق عَلَيكَ**»(١).

بارك الله فيكم، ووفَّقكم الله.

* * *

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري، كتاب: التفسير، باب: هود (٤٤٠٧)، ومسلم، كتاب: الزكاة، باب: الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف (٢٣٥٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

المجلس الثالث العشرون
من الآية (١٧) من سورة ص إلى آخر سورة غافر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أما بعد:

فأرجو أن نكون قد استفدنا جميعًا من سماع آيات الله البينات التي فيها العبر والعظات، وفيها كما في سورة (ص) الإشادة بالأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- دعاة الناس إلىٰ دين الله وإلىٰ توحيد الله الحق، أشاد بداود، ثم بسليمان، ثم بأيوب، ثم بغيرهم من الأنبياء -عَلَيهِم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، إبراهيم، وإسحاق، وأثنىٰ عليهم ثناء عطرًا، لنتخذ منهم أسوة، ونسلك سبيلهم ونتمسك بعقيدتهم ومنهجهم.

وهذا يُكثِر منه الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- لتقرير هذا الأمر في نفوس المؤمنين.

اشتمال سورة الزمر على بيان الإخلاص:

وفي **سورة الزمر** دعوة إلىٰ الإخلاص لله رب العالمين في عدد من الآيات من هذه السورة: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر:١-٢].

أمر بعبادة الله والإخلاص لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، وأمر رسوله -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- أن يقول: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر:١١].

﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الزمر:١٤-١٥]. مديح عظيم، والفلاح والنَّجاح لمن يتبع الرسل الكرام -عَلَيهِم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- وخاصة محمدًا خاتم الأنبياء -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، يتبعه في عقيدته ومنهجه، وفي عبادته لله وإخلاصه الدين لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-.

وفي هذه السورة تنديد بالشرك وبأهله، وبيان مصيرهم المخزي في الآخرة، وضرب المثل للشرك وخزيه، ونهاية أصحابه، وفيها دعوة إلىٰ الصدق وذم للكذب والكاذبين ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر:٣٢-٣٤]. وفي آيات كثيرة.

وفي أحاديث كثيرة مدح للصدق وذم شديد للكذب، وبيان لمصير

الكذابين وبيان لإكرام الله الصادقين والمصدقين بالحق.

فكونوا من الصادقين المصدقين بما جاء به محمدﷺ من كتاب وسنة، ومصدقين بأخبار الثقات الذين اعتبر الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- إخبارهم، وأنه تقبل أخبار الثقات الصادقين المعروفين بالزهد والورع والاستقامة والعدالة، أما نكران أخبارهم فهو من الضلال المبين، ومن طرق أعداء الأنبياء والمرسلين.

دعوة إلى التوبة:

وفي هذه السورة دعوة إلىٰ التوبة والرجوع إلىٰ الله، وعدم اليأس من رحمة الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الزمر:٥٣-٥٤].

فهذه دعوة من الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- لعباده، وبيان لسعة رحمته -دعوة للتوبة-: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟﴾ أسرفوا في الذنوب والمعاصي ﴿لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾، فأبواب التوبة مفتوحة لعباده، ولو كانوا مشركين، ولو كانوا في نهاية الضلال، ولو كانوا قتلوا وظلموا، فباب التوبة مفتوح، فقد تاب الله علىٰ من قتل مائة نفس، وتاب الله علىٰ المشركين؛ أعداء الرسل، الذين حاربوا الرَّسول قبل الله توبتهم.

فعلينا بالتوبة والإنابة إلىٰ الله: ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الزمر:٥٤]. فلابد من الإنابة إلىٰ الله، وإذا أذنبنا فعلينا بالتوبة إلىٰ الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- ولا نيأس ولا نقنط من رحمة

الله، فإنه لا يقنط من رحمة الله إلا القوم الكافرون.

بيان لخطورة الشرك بالله ﷻ:

وفي هذه السورة العظيمة بيان لخطورة الشرك: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥-٦٦].

فالله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- وجه هذا الإنذار حتىٰ للأنبياء -عَلَيهِم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، أوحىٰ إليهم ألا تشركوا بالله شيئًا: ﴿وَلَقَد أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ فكيف بغير الأنبياء -عَلَيهِم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

فهذا فيه حث للناس إلىٰ توحيد الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، وتحذير شديد لهم من الوقوع في الشرك بالله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، الذي من وقع فيه فهو من أخسر الخاسرين -والعياذ بالله-، وفيها بيان عظمة الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، قال بعد هذه الآية: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف:٦٧-٦٨].

ففيها بيان عظمة الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- وأنَّ الكافرين ما قدروا الله حقَّ قدره.

الله رب السَّموات والأرضين، وخالق السَّموات والجبال والبحار، وخالق كل شيء، وخالق الإنسان؛ مربيه ومنميه، ما قدروا الله حق قدره، والله

-تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- من قدره أن الأرض جميعًا قبضته يوم القيامة بما فيها من الجبال، والسَّموات بقبضته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

هذا ربنا العظيم يجب أن نعظِّمه وأن نخصَّه بالعبادة، وأن نضرع إليه، وأن نلجأ إليه في الشدائد وفي الرخاء أيضًا، نعظِّم الله حق تعظيمه، نصفه بصفاته الكاملة ونسميه بأسمائه الحسنىٰ، ونعبده حق عبادته، ومع ذلك لا نكافئ نعم الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- ولا نستطيع أن نقوم بشكر نعم الله، كما قال النبي -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «**لَا أُحصِي ثَنَاءً عَلَيكَ أَنتَ كَمَا أَثنَيتَ عَلَىٰ نَفسِكَ**»(١)، فإذا كان رسول الله يقول: «**لَا أُحصِي ثَنَاءً عَلَيكَ**». فنحن لا نستطيع أن نكافئ نعمة من نعم الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-.

إذن؛ يا إخوتاه، لابد من تعظيم الله، ومن تعظيم الله تعظيم أوامره وتعظيم نواهيه، وتعظيم القرآن وتعظيم السنة، واحترام من يحملون القرآن وسنة رسول الله -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، ومن يخلف الأنبياء من ورثة الأنبياء الذين يحملون رسالاتهم ويبلِّغونها من علماء الحق وعلماء السنة وعلماء التوحيد، فإنهم ورثة الأنبياء بحق، فالذي لا يعتقد عقائد الأنبياء ولا يسلك مسالكهم ولا يتبع مناهجهم ليس من وراثهم، إنَّما وراثهم من يحملون راية التوحيد والحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فكونوا من هؤلاء.

أسأل الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- أن يجعلنا وإياكم منهم، إن ربنا سميع الدعاء، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: الصلاة، باب: ما يقال في الرُّكوع والسُّجود (١١١٨) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

المجلس الرابع والعشرون
من أول سورة فُصِّلت إلى آخر سورة الدخان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أما بعد:

فأرجو أن نكون قد استفدنا كثيرًا وكثيرًا مما سمعناه من آيات الله الكريمات الواضحات البينات.

ملة الأنبياء واحدة:

وفيما مر علينا، أقول وباختصار: قول الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى:١٣].

المهم أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بعث الأنبياء جميعًا على ملة واحدة، هي توحيد الله وإخلاص الدين له، كل ذلك دعا إليه الأنبياء -عَلَيهِم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

لا خلة يوم القيامة إلا للمتقين:

وأنتقل إلىٰ آية أخرىٰ لضيق الوقت، قوله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَـٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ [الزخرف:٦٧-٧٠] إلىٰ آخر الآيات.

هذه الشاهد في قوله: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ فتحابوا في الله، وتخالُّوا في الله، فإن المتخالِّين والمتحابين علىٰ غير دين الله الحق: علىٰ الباطل، علىٰ الإثم والعدوان، علىٰ البدع والخرافات هؤلاء يختصمون فيما بينهم يوم القيامة، أما الأخلاء علىٰ طاعة الله وعلىٰ توحيد كما أثنىٰ الله عليهم في هذه الآية: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ استثنىٰ الله المتقين، والآخرون أعداء فيما بينهم ويختصمون، وكل فريق يدعو بالعذاب علىٰ الآخر، وأما المتقون فهم في جنات النعيم.

ومثل هذه الآية أحاديث جاءت تدعو إلىٰ المحبة والأخوة، فتآخوا فيما بينكم وتحابوا في الله، ومن المتحابين في الله رجلان اجتمعا عليه وافترقا عليه، هؤلاء يظلهم الله تحت عرشه يوم لا ظل إلا ظله مع السبعة المذكورين في الحديث.

ويقول الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- يوم القيامة: «**إِنَّ اللهَ يَقُولُ يَومَ القِيَامَةِ: أَيْنَ المُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي، اليَومَ أُظِلُّهُم فِي ظِلِّي يَومَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي**»[1].

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: البر والصلة والأدب، باب: في فضل الحبِّ في الله (٦٧١٣) عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

فتحابوا في الله فإنه قد كثر التشاحن والتفرق والاختلاف، حتىٰ فيما بين السلفيين، فأوصيكم بتقوىٰ الله وأوصيكم بالتآخي علىٰ كتاب الله وعلىٰ سُنة رسول الله ﷺ، واستمسكوا بكتاب الله واعتصموا به، كما مر علينا في الآية، يقول الله لنبيه: ﴿فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الزخرف:٤٣]. فاعتصموا بحبل الله جميعًا، وتآخوا علىٰ ذلك.

أسأل الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- أن يجمع القلوب علىٰ كتابه وعلىٰ سنة نبيه وأن يؤاخي بينها، إن ربنا سميع الدعاء.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

❊ ❊ ❊

المجلس الخامس والعشرون
من أول سورة الجاثية إلى آخر سورة الحجرات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله وعلىٰ آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أما بعد:

فقد استمعتم هذه الآيات من عدد من السور: من سورة الزخرف، ومن سورة الأحقاف، ومن سورة محمد ﷺ، ومن سورة الفتح، ومن سورة الحجرات.

بعض ما اشتملت عليه هذه السور:

وفيها عظات وعبر وأصول وقواعد لمن يفقهه الله في الدين، وأرجو أن تكونوا منهم، وأن تستفيدوا مما تسمعونه من تلاوة كتاب الله؛ من آياته المحكمة، وما في ذلك من وعد ووعيد، وما في ذلك من تقرير للتوحيد والعقائد، أرجو أن تستفيدوا كل ذلك وأن تكونوا فقهاء في دين الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، ولا تكونوا كذلك إلا إذا شمرتم عن ساعد الجد في تحصيل

العلم الشرعي من كتاب الله ومن سُنة رسول الله ﷺ، ومن فقه السلف الصالح من كتاب الله ومن سُنة رسولهﷺ.

في سورة الجاثية، قال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية:١٨]. وهذا تنبيه لنبينا الكريم ولأمته ألَّا يتبعوا أهواء الذين لا يعلمون؛ من الكافرين ومن أهل البدع والضلال، وقال في هذه السورة: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية:٢٣].

فالهوىٰ يؤدي إلىٰ هذا، إلىٰ أن يطبع الله علىٰ القلوب والأسماع والأبصار، ويختم علىٰ ذلك، فاحذروا الهوىٰ واستقيموا علىٰ دين الله الحق.

وفي سورة الأحقاف دعوة إلىٰ توحيد الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، ونبذ الشرك وذم للشرك والمشركين، قال تعالىٰ: ﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف:١-٦]. في غاية الوضوح، توحيد الله واضح جدًّا في كتابه، ومنه هذه الآيات التي تقرر التوحيد وتندد بالشرك وتندد بأهله، وتبيِّن سخف عقولهم، وأنهم لا حُجة لهم ولا برهان عندهم، وأنهم يتعلقون بمن لا يملك لنفسه

ضرًّا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا، ويتعلقون بمن ليس له شيء من الخلق، في نهاية العجز.

لم يخلق -هذا المعبود من دون الله- شيئًا في هذا الكون ولا مثقال ذرة وليس له مشاركة في خلق هذا الكون ولا في ذرة منه، ولا يستجب الدعاء إلىٰ آخر الحجج التي أقامها الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- علىٰ هؤلاء المجرمين.

وبيَّن أن أيديهم خاوية من الحجج والبراهين، علىٰ ما يزعمونه من الشرك، وما يتخذونه من الأنداد، كيف يدعون من لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا، كيف يدعون من ليس له أدنىٰ مشاركة في أي شيء من هذا الكون الواسع؟!

الله خلق السَّموات والأرض، خلق الإنسان، خلق الجبال، خلق البحار، خلق كل شيء، هؤلاء لم يخلقوا ذرة، فكيف يدعونهم، كيف يشركون بربنا خالق هذا الكون المدبر له المتصرف فيه وفي هذه المعبودات التي لا تملك لنفسها ضرًّا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورا، فليس بأيدي المشركين أدنىٰ حجة تسوِّغ الشرك بالله لا في قليل ولا في كثير.

هذه لفتة، أنتقل إلىٰ سورة محمد ﷺ وما فيها، ذكر الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- فيها جزاء الكافرين وجزاء المؤمنين الصادقين: ﴿فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗى﴾ هذا جزاء المؤمنين الموحدين الصادقين المخلصين، وقد ذكر الله جزاءهم في كثير من الآيات.

وفيها: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ﴾ فلابد من قول (لا إله إلا الله) مع العلم بمعناها، ولا يكفي أن يقال لا إله إلا الله

فقط، لابد من معرفة معناها والعمل بمقتضاها، كثير من الناس يقول (لا إله إلا الله)، أسلمنا، يكفي أن نقول: (لا إله إلا الله)، وهو لا يعلم معناها ولا مقتضاها من التوحيد ولا بحقوقها ولا ولا...

فلابد من معرفة معنىٰ (لا إله إلا الله) وأنه لا معبود بحق إلا الله، ولابد من الإخلاص فيها، لابد من العلم بها واليقين:

علم يقين وإخلاص وصدقك مع محبة وانقياد والقبول لها

هذه شروط لا إله إلا الله اعرفوها وافهموها حق الفهم.

ثناء الله على الصحابة الكرام، وبيان غرض الروافض من الطعن فيهم:

أنتقل إلىٰ سورة الفتح؛ لأن الوقت ضيق، أخبر الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- عن هذا الرسول الكريم ﷺ أنه قد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وأنزل عليه وعلىٰ أصحابه السكينة، ورضي عنهم في هذه السورة، وفي هذا رد علىٰ المجرمين من الروافض أعداء محمد ﷺ وأصحابه، والعداوة الشديدة هذه الهدف منها؛ محمد ﷺ وما جاء به؛ لأن هذا الدين دين الروافض اخترعه الزنادقة واليهود والمجرمون، وهدفهم إسقاط محمد ﷺ وإسقاط رسالته؛ ولكن لا يجرؤون أن يواجهوا الأمة بهذا الأسلوب، فيتجهون لأصحابه أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم رضي الله عنهم، وعلي رضي الله عنه يغلون فيه كذبًا وزورًا وفجورًا.

ويقابلهم الخوارج أيضًا يطعنون في أصحاب النَّبي -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ورضي الله عنهم-، وهذه شهادات لأصحاب محمّدﷺ بأنَّ الله قد رضي عنهم وأنزل عليهم السَّكينة، وقال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ﴾ [الفتح:٢٩].

فالله قد أشاد بمحمد وأصحابه في التوراة والإنجيل ﴿وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ﴾.

أخذ مالك من هذا تكفير الرَّوافض [(١)]؛ لأن هذا الثناء العاطر علىٰ أصحاب محمدﷺ، وهذه الإشادة بهم في الكتب السماوية القديمة، وفي القرآن مما يغيظ الروافض ويغيظ الكفار، فاستدل بهذه الآيات علىٰ كفر هؤلاء المجرمين، ونحن **نكفِّر** علماءهم ودعاتهم، وأمَّا عوامهم الذين لا يشاركونهم في إلحادهم وكفرهم هذا؛ روافض وضلال ولكن لا نكفرهم؛ أي: الذين لا يشاركون هؤلاء الغلاة في تحريف القرآن ولا في الطعن في زوجات الرسول ﷺ ولا في الطعن في أصحاب محمد ﷺ.

وهم الآن ينتشرون ويسيحون في الأرض علىٰ جسور يمدُّها لهم

---

(١) رواه الخلال في السنة (٢/ ٤٧٨برقم٧٦٠)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٣٢٧)، وذكره البغوي في شرح السنة (١/ ٢٢٩)، والقرطبي في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن» (١٦/ ٢٩٦-٢٩٧).

الإخوان المسلمون، إلىٰ أهل السنة؛ إلىٰ مصر، وإلىٰ السودان، إلىٰ المغرب، إلىٰ الجزائر، إلىٰ فلسطين إلىٰ أفغانستان.

فالذين مكَّنوا لهم ومدُّوا لهم الجسور هم الإخوان المسلمين (الخوَّان المسلمين) كما كان يسميهم محمد حامد الفقي رَحِمَهُ اللهُ، فإنهم يخونون الإسلام، وقد أراد الله أن يبين حال الإخوان في العالم ويكشف حقيقتهم فما قامت لهم دولة إلا وهي أسوأ من الدولة التي يحاربونها ويكفرونها، نشأت دولتهم علىٰ التآخي مع الروافض، مع الخوارج، مع الصوفية، وعلىٰ الحرب علىٰ السنة وأهلها، وهم مع الروافض منذ نشأت دعوتهم إلىٰ يومنا هذا، وهم مع الروافض جنبًا إلىٰ جنب، في كل فتنة وفي كل بلاء وفي كل شر.

قامت لهم دولة في أفغانستان فلم تطبق شيئًا من شريعة الله، قامت لهم دولة في السودان فلم تطبق شيئًا من شريعة الله؛ بل علىٰ النقيض من تشريع الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، قامت لهم دولة في تركيا قائمة الآن موجودة؛ لا شيء من تطبيق الشريعة، وتعاطف مع اليهود، وتعاطف مع الروافض، وتعاطف مع الإسماعيلية الباطنية وهكذا!!!

وهذه حقيقة منهج الإخوان المسلمين!!

فافهموا -يا مغرورين بهذه الطائفة الضالة المضلة-، افهموها لا يغارون علىٰ كتاب الله، لا يغارون علىٰ سنة رسول الله ﷺ، لا يغارون علىٰ أصحاب رسول الله ﷺ، لا يغارون علىٰ عقيدة، متعانقين متعاطفين متمالئين مع كل هذه الطوائف، حتىٰ إن النصارىٰ إخوانهم، يقول بعضهم: النصارىٰ إخواننا،

افهموا هذا، واحذروا هذه الطائفة.

والذي وقع في حبائلهم، عليه أن يستيقظ وعليه أن يتجه إلىٰ كتاب الله وإلىٰ سنة رسول الله ﷺ، وإلىٰ منهج السلف الصالح فيتمسك به ويعض عليه بالنواجذ.

أسأل الله أن يكفينا شر الروافض، وشر من يتعاطف معهم ويتعاون معهم كالإخوان المسلمين، إن ربنا سميع الدعاء.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

❊ ❊ ❊

المجلس السادس والعشرون
من أول سورة ق إلى آخر سورة الواقعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبه ومن اتبع هداه.

اجتمعتم علىٰ تلاوة آيات من الذكر الحكيم، وأرجو أن نكون وإياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

وقد سمعتم من هذه السور التي تليت علىٰ مسامعكم، من سورة ق، ومن سورة الذاريات، ومن سورة الطور، ومن سورة النجم، ومن سورة القمر، والرحمن، والواقعة، ما يهزُّ المشاعر ويحرِّك القلوب ويورث الخشية من الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-.

سمعتم فيها من تقرير التوحيد ومن التنديد بالشرك، ومن الثناء علىٰ رسل التوحيد، ومن مصارع أعدائهم الذين أهلكم الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-؛ لأنهم كذَّبوا رسل التوحيد، وما أعد الله لهم من الهوان والذل والعذاب الشديد في الدنيا وفي الآخرة، وما أعدَّ الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- لأنبيائه ورسله

وأوليائه من أتباع الرسل -عَلَيهِم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- من الجنان والنعيم المقيم في آيات كثيرة، لضيق الوقت لا نستطيع استعراضها كلها.

أقسام الخلق يوم القيامة:

ولكن نلفت النظر -ولو شيئًا ما- إلىٰ ما في سورة الواقعة من تقسيم الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- السعداء والأشقياء إلىٰ ثلاثة أصناف:

أصحاب اليمين، والسابقون، وأصحاب الجحيم وهم أصحاب المشأمة.

بين الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- جزاء السابقين المقربين، وذكر ما لهم من الجمال والقصور إلىٰ آخره، هذا القسم الأول، المقربون هم السابقون، السباقون إلىٰ الخيرات في ميدان العقيدة، والمنهج، والدعوة، والبذل في سبيل الله، والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، سبَّاقون إلىٰ كل الخيرات، وهم السابقون في الجنات، وهم في أعلىٰ الجنان.

ويليهم أصحاب اليمين وهم المتوسطون يقومون بالواجبات ويبتعدون عن المحرمات، ويتسامحون في شيء من المباحات والمكروهات، هؤلاء دون تلك المرتبة؛ ولكنهم في نعيم مقيم.

وأصحاب الشمال الكفار والأشقياء ﴿فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾ [الواقعة:٤٢-٤٨].

ثم قال الله لرسوله: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ

يَوۡمٍ مَّعۡلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمۡ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلۡمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَأٓكِلُونَ مِن شَجَرٖ مِّن زَقُّومٖ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرۡبَ ٱلۡهِيمِ﴾ [الواقعة:٤٩-٥٥].

هذا جزاء الأشقياء المترفين المكذبين للرسل، هذا جزاؤهم، كانوا في الدنيا مبحبحين منعَّمين مترفين مقبلين علىٰ شهواتهم، معرضين عن الحق، مكذبين للرسل، فكافأهم الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- بهذا الجزاء العظيم والعذاب الشديد.

نسأل الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- أن يثبِّتنا وإياكم علىٰ دينه الحق، وأن يجعلنا من أوليائه ومن أتباع رسله في كل ما جاءوا به من الخير، وما حذروا من شر، فإنه ما من نبي إلا وأنذر أمته كلّ ما هو شر لهم، ودلهم علىٰ خير ما يعلمه لهم، ونبيّنا -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- قد دلنا علىٰ خير ما يعلمه لنا، وحذرنا من كل ما يضرنا في دِينِنَا ودُنيانَا، فلنحبه ولنطعه وليكن أسوتنا -صلىٰ الله عليه وسلم، وجزاه عن أمته خير الجزاء-.

أسأل الله أن يثبتنا وإياكم علىٰ الحق، وصلىٰ علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

* * *

المجلس السابع والعشرون
من أول سورة الحديد إلى آخر سورة التغابن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله وعلىٰ آله وصحبه ومن اتَّبع هداه.

أمَّا بعد:

فأرجو أن نكون جميعًا قد استفدنا ممَّا تُلي علينا من آيات من الذكر الحكيم من سورة الحديد، والمجادلة، والحشر، والممتحنة، والصف، والجمعة، والمنافقون، والتَّغابن.

هذه السُّور العظيمة تضمنت من العقائد والمناهج والأخلاق ما ينبغي أن يسير عليه المؤمن وأن يعضَّ عليه بالنواجذ من العقائد، كإثبات علو الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- من سورة الحديد، وأنه هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم، وأنه خلق السَّموات والأرض، وأنه استوىٰ علىٰ العرش، وأنه معنا بعلمه ومشاهدته واطلاعه سبحانه وتعالى.

مكانة الصحابة الأطهار:

وفيها الإشادة بمكانة الصحابة، وبيان تفاوتهم في الفضل، وأنَّ من سبق إلىٰ الإسلام والإنفاق في سبيل الله أفضل ممن جاء بعده، ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الحديد:١٠].

فهذه تبين مكانة الصحابة وفي نفس الوقت أن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- قد وعدهم بالحسنىٰ وهي الجنة، فكلهم في الجنة -رضوان الله عليهم-، يجب احترامهم وتقديرهم بما ميزهم الله به من صحبتهم لمحمد ﷺ؛ أفضل الرسل، ونصروه وعزروه ووقروه، وجاهدوا معه وبذلوا أنفسهم ومُهجهم في نصرته، يقول الرسول -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «**لَا تَسُبُّوا أَصحَابِي، فَلَو أَنَّ أَحَدَكُم أَنفَقَ مِثلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِم وَلَا نَصِيفَهُ**»[1].

ينفق الصحابي مُد كف من الطعام؛ من الشَّعير من الحنطة من غيرها، وأنت تنفق جبلًا من الذهب، لا تلحقهم، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وهم خير الناس وخير الأمم بعد الأنبياء -عَلَيهِم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، وقد أثنىٰ الله عليهم كثيرًا في آيات كثيرة في سور كثيرة -رضوان الله عليهم-.

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب: فضائل الصحابة، باب: قول النبي ﷺ: «**لو كنت متخذًا خليلًا**» (٣٤٧٠)، ومسلم، كتاب: فضائل الصحابة، باب: تحريم سبِّ الصَّحابة رضي الله عنهم (٦٦٥١) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

ومما أثنىٰ الله به عليهم، في سورة الحشر، لما تحدث عن الفيء ومصارفه قال بعد ذلك: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحشر:٨]. هؤلاء المهاجرون وفقراؤهم، والأخرىٰ في الأنصار: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:٩].

والتابعون ومن تبعهم بإحسان: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر:١٠]. فبيَّن فضل المهاجرين وبين فضل الأنصار -رضوان الله عليهم-.

وأنهم كانوا يؤثرون علىٰ أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، وأنهم استقبلوا المهاجرين وأكرموهم وأنزلوهم في منازلهم، وشاطروهم أموالهم، وكان رسول الله إذا أراد أن يخص الأنصار قالوا: لا يا رسول الله، لابد أن يشاركنا إخواننا -رضوان الله عليهم-، ولهذا سماهم الله أنصارًا، ميزهم الله بهذه الميزة، وإن كان المهاجرون أفضل منهم.

الولاء والبراء:

بيَّن الله ﷻ صفات المنافقين في هذه السور، وذكر المنافقين في آيات كثيرة، من سور خاصة ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ وذكرهم في البقرة، وذكرهم

في آل عمران، وذكرهم في سورة المنافقين، وفي التوبة وفي غيرها، وفي هذه السور ذكرهم في سورة المجادلة؛ وهي أنهم يتولون الذين كفروا قال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [المجادلة:١٤-١٥].

إلىٰ آخر الآيات التي ذمهم الله فيها.

وبيَّن أنَّهم حزب الشَّيطان، وبين خسران حزب الشيطان، وبيَّن أن المؤمنين حزب الله وأنهم هم المنصورون في الدنيا والآخرة إن شاء الله، في الدنيا منصورون بالحجة والبرهان، وأحيانًا بالسيف والسنان كما حصل ذلك لأصحاب رسول الله ولمن بعدهم، وكان لهم الظهور والعلو بسبب أنهم حزب الله.

وبيَّن أنَّ المؤمنين لا يوالون أعداء الله ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢].

الذين اتصفوا بهذه الصفات، أمر بمعاداتهم وبغضهم لكونهم أعداء الله؛ من اليهود والنصارىٰ والوثنيين، وغلاة أهل البدع لهم حظ من هذا، من الخوارج والروافض ومن مشىٰ علىٰ منوالهم لهم حظ من هذا العداء وهذا البغض، حتىٰ أجمع السلف علىٰ بغضهم ومهاجرتهم والتحذير منهم.

فكونوا من حزب الله عقيدة ومنهجًا وولاء وبراءة، الآن هناك دعوات تدعو إلىٰ هدم هذه الأصول وإلىٰ التآخي مع اليهود والنصارىٰ وأعداء الله، ولا يفرقون بين المسلم والكافر، كلهم تجمعهم الإنسانية ويدعون إلىٰ أخوة الأديان وإلىٰ وحدة الأديان، وإلىٰ وإلىٰ... مع الأسف الشديد.

وهذا يصادم كثيرًا وكثيرًا من آيات الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة:٥١]. فلا مودة، ولا مكانة لهم في قلوب المؤمنين الصادقين، وقال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-: ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ﴾ [الممتحنة:٤].

هذا كان وعد إبراهيم لأبيه، وعده أنه يدعو له، وأن يشفع له، ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ﴾ [التوبة:١١٤].

﴿وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۖ رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٤ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغۡفِرۡ لَنَا رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [الممتحنة:٥] .

إذا وقعنا في الذل والهوان، يكون ذلك فتنة لأعداء الله، كما هو واقع المسلمين اليوم مع الأسف الشديد اشتغلوا بالدنيا وتبايعوا بالعينة واتبعوا أذناب البقر وتعاملوا بالربا، وخالفوا في العقائد والمناهج فسلط الله عليهم الأعداء، ولا مخرج لهم من هذا الهوان والذل إلا بالعودة إلىٰ مصدر عزهم

وإكرامهم، وإلىٰ أن يكونوا حزب الله حقًّا، عقيدة ومنهجًا، وولاء وبراء.

ثم قال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾ [الممتحنة:٦].

فاتخذوا من أولياء الله وأنبيائه ومن أصحاب النبي ﷺ سلفًا صادقًا، وكونوا صادقين في ذلك في كل هذه الأسس والأصول، ومنها الولاء والبراء، وهذا الأصل يكاد يندثر الآن بين المسلمين، فتجد كثيرًا من المسلمين يعيشون في أوربا خاضعين ذليلين، وقد يعطون ولاءهم لأعداء الله مع الأسف الشديد، وهذا من ثمار العيش في بلاد الكفر، فإنَّ كثيرًا منهم يعيشون في غاية الذل، وفي المهن الذليلة.

والله ﷻ هو الرَّزَّاق ذو القوة المتين، هذا يهاجر لأجل الدنيا إلىٰ بلاد الكفر، لا لإعلاء كلمة الله، الهجرة تكون من دار الكفر إلىٰ دار الإسلام لنصرة دين الله ﷻ ونصرة أوليائه.

أما الهجرة إلىٰ ديار الكفر لأجل متاع الدنيا، فهذا ما لا يرضاه الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- ولهذا يقول رسول الله: «**أَنَا بَرِيءٌ مِن كُلِّ مُسلِمٍ يُقِيمُ بَينَ أَظهُرِ المُشرِكِينَ**.

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، لِمَ؟! قَالَ: لَا تَرَاءَىٰ نَارَاهُمَا»(١).

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب: الجهاد، باب: النَّهي عن قتل من اعتصم بالسُّجود (٢٦٤٧)، والترمذي، كتاب: السّير عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في كراهية المقام بين أظهر المشركين (١٥٣٠) من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

فاتقوا الله -أيها الشباب-، واعتصموا بدينكم وتوكلوا علىٰ الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، فإن الله هو الرَّزاق ذو القوة المتين، وعيشوا في بلاد الإسلام حتىٰ يعزكم الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- ويرفع شأنكم.

أسأل الله أن يحقق ذلك، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

* * *

المجلس الثامن والعشرون
من أول سورة الطلاق إلى آخر سورة القيامة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبه ومن تبع هداه.

أما بعد:

دعوة إلى تدبر القرآن:

فقد استمعتم إلىٰ تلاوة هذه الآيات الكريمات، من عدد من السور وفيها عظات وعبر، وفيها وعد ووعيد، وفيها بيان مصارع الكافرين في الدنيا، ومصيرهم المظلم في الآخرة، فاعتبروا أيها الإخوة، وأرجو إذا تلوتم القرآن وأنتم -إن شاء الله- تتلونه دائمًا، أن تستفيدوا من تلاوة كتاب الله بالتدبر والتأمل وامتثال الأوامر واجتناب النواهي؛ فإن ذلك والله يصلح النفوس، التي يريد الله لها السعادة في الدنيا والآخرة.

مصير الكفار يوم القيامة:

في سورة الحاقة ذكر الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- مصير عاد وثمود، أهلك الله ثمود بالصيحة، وأهلك عادًا العاتية: ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة:٦-٨].

وأخبر عن مصير فرعون، وكيف أهلكه الله، وذكر النفخ في الصور وأحكام الساعة وأهوالها، وكيف تنشق السماء، والمجيء بعرش الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، وذكر مصير المؤمنين ومصير الكافرين، المؤمن يؤتىٰ كتابه بيمينه ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ۝١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٢١ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۝٢٣ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة:١٩-٢٤]. من الإيمان والعمل الصالح، فيعطىٰ المؤمن كتابه بيمينه فيجده مليئًا بالحسنات، وقد أذهب الله ومحا عنه السيئات، ويفرح بذلك ويسر، ويقول لإخوانه المؤمنين: تعالوا اقرءوا كتابيه.

وأما من أوتي كتابه بشماله، فيقول تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ﴾ [الحاقة:٢٥]. ندم وحسرة وألم.

﴿فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ۝٢٥ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۝٢٦ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ﴾ [الحاقة:٢٥-٢٧]. تمنىٰ أنه لو هلك الهلاك الأبدي ولا يعود ولا يظهر خوفًا من هذا اليوم.

﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ﴾ [الحاقة:٢٨-٢٩]. تلك الأموال الطائلة، وتلك الثروات وذلك السلطان، والملك العظيم والخدم والعبيد والجنود، كل تلك لم تغن عنه شيئًا، ولقي الله وحده فريدًا يحاسبه ويهينه ويؤدبه، وينكل به أشد النكال، لأنه كان كافرًا بالله مستكبرًا علىٰ الله، ومتعاليًا علىٰ عباد الله المؤمنين، وعلىٰ الرسل والصادقين، يأمر الله الملائكة فيقول: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ [الحاقة:٣٠]. الله أكبر، بالأغلال ﴿إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالٗا وَجَحِيمٗا ۝١٢ وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ وَعَذَابًا أَلِيمٗا﴾ [المزمل:١٢-١٣].

﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ [الحاقة:٣٠-٣١]. نار جهنم أعدت للكافرين.

﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١ ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ﴾ [الحاقة:٣٠-٣٢]. قالوا: تدخل السلسلة من دبره وتخرج مِن فِيه، كالجرادة يدخل فيها العود.

وهكذا مع جرادة أخرىٰ ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١ ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ﴾ بذراع الملك، الله أعلم كم طولها، لماذا؟ ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحاقة:٣٣]. لا يؤمن بالله ولا بملائكته ولا بكتبه ولا برسله، وكذَّب الرسل، وكذَّب الكتب، وأنكر البعث، الله أكبر ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٣٣ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ﴾ [الحاقة:٣٣-٣٤]. لا يقوم بحق الله ولا يقوم بحق عباد الله، لا رحمة فيه، إنَّما يرحم الله من عباده الرحماء، هؤلاء لا يستحقون الرحمة.

﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ﴾ [الحاقة:٣٥]. ليس له صديق ولا قريب يذود عنه ويشفع فيه ويخرجه مما هو فيه؛ بل لو شفع فيه جميع الأنبياء لا تقبل فيه الشفاعة ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر:٤٨]. يأتي إبراهيم يوم القيامة فيشفع لأبيه، فلا تقبل شفاعته، فلو شفع الأنبياء جميعًا في هذا الكافر، لا تقبل الشفاعة فيه ولو من الأنبياء وهم أفضل وأنبل من أن يشفعوا في الكافرين ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ [الشعراء:١٠١].

لقَّاه الله جزاءه، وتخلىٰ عنه كل شيء، ويخلد أبدًا في النار، ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ [الحاقة:٣٦]. هذا طعامه، فيه تفسيرات؛ منها: أنه صديد أهل النار، الصديد القيح، والصديد الكريه القبيح هذا طعامهم، وطعامهم الزقوم، نعوذ بالله من مصير الكافرين والمجرمين.

أسأل الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- أن يقينا شر هذا اليوم، وأن يجعلنا من المؤمنين المخلصين، وأن يجعلنا من الناجين، إن ربنا سميع الدعاء، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

❊ ❊ ❊

فهرس الموضوعات

مقدمة الناشر ٥
* **المجلس الأول**: سورة البقرة: من الآية (١٤٢) إلىٰ الآية (٢٥٢)....... ٩
اشتمال سورة البقرة علىٰ أصول الإيمان والأحكام ٩
مراتب إنكار المنكر ١٧
أسئلة وأجوبة.. ٢٠
سؤال (١): ما معنىٰ قول الطَّحاوي: «الإيمان واحد وأهله في أصله سواء»؟.. ٢٠
سؤال(٢): ما هي نصيحتكم للشباب السلفي؟ ٢٢
* **المجلس الثاني**: من سورة البقرة الآية (٢٥٣) إلىٰ سورة آل عمران الآية (٩٢).. ٢٥
آية الكرسي وما تضمنته من بيان التوحيد ٢٦
تضييع التوحيد سبب ضياع الأمة ٣٧
* **المجلس الثالث**: من سورة آل عمران الآية (٩٣) إلىٰ سورة النساء الآية (٢٣).. ٤٣

اجتهاد النبيﷺ في العبادة..٤٣
تقوىٰ الله حق التقوىٰ ٤٤
تفرق الأمة؛ سببه وعلاجه:..٤٦
* **المجلس الرابع**: سورة النساء من الآية (٢٤) إلىٰ الآية (١٤٨) ٥٥
تضمُّن سورة النساء لكثيرٍ من الأحكام..٥٥
حقيقة الجهاد وغايته ٥٦
غربة التوحيد وواجب الموحدين..٥٨
أسئلة وأجوبة..٦٣
سؤال (١): هل الكفارة في رمضان خاصَّة بالجماع أم لانتهاك حرمة الشهر؟..٦٣
سؤال (٢): دراستكم لكتاب النكت علىٰ مقدمة ابن الصلاح، هل طبعتها الشرعية هي طبعة دار الفرقان، وجزاكم الله خيرًا؟ ٦٣
سؤال (٣): هل يلزم من نصيحة أحد -إذا أخطأ أو وقع في مخالفة- أن يذهب له اثنان أو ثلاثة، بحجة إذا نسي أحدهم شيئًا يذكره الآخر؟ ٦٣
سؤال (٤): ما حكم عقد القِران في المسجد هل هو من البدع؟.......٦٤
سؤال: (٥): بالنسبة لهجر المبتدع هل يقع علىٰ الرءوس، أو الأتباع أو الاثنين، وما هي ضوابط هذا الهجر؛ لأنه عند تطبيقه وخصوصًا مع الأتباع، غالبا ما تحدث مشاكل وفتن؟..٦٤
جاء السلف ففرقوا بين المبتدعة..٦٧

* **المجلس الخامس**: سورة النساء من الآية (١٤٨) إلىٰ سورة المائدة الآية (٨١)........ ٦٨
سماحة الشريعة ٦٩
أخلاق اليهود وسبب تسلطهم علىٰ المسلمين ٧٠
تحكيم الشريعة وبيان المعنىٰ الصحيح للحاكمية ٧١
* **المجلس السَّادس**: سورة المائدة من الآية (٨٢) إلىٰ سورة الأنعام الآية (١١٠)........ ٧٥
الرد علىٰ دعاة وحدة الأديان........ ٧٥
* **المجلس السَّابع**: من سورة الأنعام الآية (١١١) إلىٰ سورة الأعراف (٨٧)........ ٨٠
الوصايا العشر ٨٠
* **المجلس الثامن**: من سورة الأعراف الآية (٨٨) إلىٰ سورة الأنفال الآية (٤٠)........ ٨٧
وجوب اتباع ما جاء به محمد ﷺ........ ٨٧
كيد الشيطان لبني آدم........ ٨٨
مكانة محمد رسول الله ﷺ........ ٨٩
* **المجلس التاسع**: من سورة الأنفال الآية (٤١) إلىٰ سورة التَّوبة الآية (٩٢)........ ٩٢
بعض أحكام الجهاد الإيمانية والعملية ٩٣

فالمسلمون فَقَدوا العُدَّتَين ٩٨

* **المجلس العاشر**: من سورة التوبة الآية (٩٣) إلىٰ آخر سورة يونس ... ٩٩

ثناء الله علىٰ الصحابة الأطهار ومتبعيهم ١٠٠

من أخلاق المصطفىٰ ﷺ ١٠٣

تقرير سورة يونس لتوحيد الربوبية ١٠٤

* **المجلس الحادي عشر**: من أول سورة هود إلىٰ سورة يوسف الآية (٥٢) ١٠٧

الأمر بالاستقامة ١٠٨

تحريم الركون إلىٰ الظلمة ١١٠

* **المجلس الثَّاني عشر**: من سورة يوسف الآية (٥٣) إلىٰ آخر سورة إبراهيم ١١٢

من أخلاق الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- ١١٢

الخوف من الشرك بالله ﷻ ١١٣

من أخلاق المؤمنين ١١٥

* **المجلس الثالث عشر**: من أول سورة الحجر إلىٰ آخر سورة النحل ١٢٣

تأذي الرسل من أقوامهم وصبرهم علىٰ ذلك ١٢٣

الحكمة في الدعوة ١٢٤

أجمع آية في القرآن ١٢٥

* **المجلس الرابع عشر**: من أول سورة الإسراء إلىٰ سورة الكهف الآية (٨٢) ١٣٤
بعض ما تضمنته سورتا الإسراء والكهف ١٣٤
معجزة الإسراء ١٣٧
* **المجلس الخامس عشر**: من سورة الكهف الآية (٨٣) إلىٰ آخر سورة طه ١٣٩
بعض ما تضمنته سورة مريم ١٣٩
بعض ما تضمنته سورة طه ١٤٠
* **المجلس السَّادس عشر**: من أول سورة الأنبياء إلىٰ آخر سورة الحج ١٤٤
بعض ما تضمنته سورة الأنبياء ١٤٤
بعض ما تضمنته سورة الحج ١٤٥
سفاهة الشرك بالله تعالى ١٤٦
غفلة الخلق عن يوم الحساب ١٤٧
مجادلة الكفار وأهل البدع بغير علم ١٥٠
* **المجلس السابع عشر**: من أول سورة المؤمنون إلىٰ الآية (٢٠) من سورة الفرقان ١٥٣
بعض ما تضمنته سورة النور ١٥٣
صفات المفلحين ١٥٤
أركان التقوىٰ ١٦١

* **المجلس الثامن عشر**: من الآية (٢١) من سورة الفرقان إلىٰ الآية (٥٨) من سورة النمل ١٦٣

رحمة الله للمؤمنين يوم القيامة وتهديده للكافرين ١٦٣

* **المجلس التاسع عشر**: من أول سورة النمل إلىٰ آخر سورة القصص ١٧٢

أسئلة وأجوبة ١٨٠

سؤال: الأخ يسأل عن صوم رمضان، وعن أيضًا العيد هل يأخذ بحساب الفلكيين، أو أنه يؤخذ بما ذُكر في الحديث؟ ١٨٠

سؤال: إنسان أتىٰ بعمرة من ميقات أهل بلده، وبعد أن أتىٰ بمناسكها وتحلل منها، ذهب إلىٰ المدينة لزيارة المسجد النَّبوي والصلاة فيه، وبعد ذلك الصلاة علىٰ رسول الله وعلىٰ صاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، والزيارة الشرعية كما عرفتم لأهل البقيع وشهداء أحد، وصلاة ركعتين في مسجد قباء، قال: فهل له أن يعود من ميقات أهل المدينة بعمرة أخرىٰ؟ ١٨٠

سؤال: ما حكم صلاة حاسر الرأس؟ ١٨١

* **المجلس العشرون**: من أول سورة العنكبوت إلىٰ الآية (٣٠) من سورة الأحزاب ١٨٢

بعض ما تضمنته هذه السور: ١٨٢

* **الدرس الحادي والعشرون**: من الآية (٣١) من سورة الأحزاب إلىٰ الآية (٢٧) من سورة يس ١٨٥

بعض ما تضمنته هذه السور ١٨٥
إبطال الشرك بالله ﷻ ١٨٧
الأمر بذكر الله وبيان شيء من فضله ١٨٩
* **المجلس الثاني والعشرون**: من الآية (٢٨) من سورة يس إلىٰ (٤١)
من سورة (ص) ١٩٢
بذل المال في سبيل الله والحذر من الاغترار به ١٩٢
* **المجلس الثالث العشرون**: من الآية (١٧) من سورة ص إلىٰ آخر
سورة غافر ١٩٦
اشتمال سورة الزمر علىٰ بيان الإخلاص ١٩٧
دعوة إلىٰ التوبة ١٩٨
بيان لخطورة الشرك بالله ﷻ ١٩٩
* **المجلس الرابع والعشرون**: من أول سورة فُصِّلت إلىٰ آخر سورة
الدخان ٢٠١
ملة الأنبياء واحدة ٢٠١
لا خلة يوم القيامة إلا للمتقين ٢٠٢
* **المجلس الخامس والعشرون**: من أول سورة الجاثية إلىٰ آخر سورة
الحجرات ٢٠٤
بعض ما اشتملت عليه هذه السور ٢٠٤
ثناء الله علىٰ الصحابة الكرام، وبيان غرض الروافض من الطعن
فيهم ٢٠٧

هذه حقيقة منهج الإخوان المسلمين!! ٢٠٩
* **المجلس السادس والعشرون**: من أول سورة ق إلىٰ آخر سورة الواقعة ٢١١
أقسام الخلق يوم القيامة ٢١٢
* **المجلس السابع والعشرون**: من أول سورة الحديد إلىٰ آخر سورة التغابن ٢١٤
مكانة الصحابة الأطهار ٢١٥
الولاء والبراء ٢١٦
* **المجلس الثامن والعشرون**: من أول سورة الطلاق إلىٰ آخر سورة القيامة ٢٢١
دعوة إلىٰ تدبر القرآن ٢٢١
مصير الكفار يوم القيامة ٢٢٢
الفهرس ٢٢٥

* * *

ملحق

مجالس ١٤٢٦هـ

مجالس تذكيرية في تفسير آيات قرآنية

إعداد

فضيلة الشيخ العلامة

أ.د. ربيع بن هادي عمير المدخلي

رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقًا

الميراث النبوي للنشر والتوزيع

لمحة عن معاني سورة الفاتحة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للَّه والصلاة والسلام على رسول اللَّه وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه، أما بعد:

ففي مناسبة من المناسبات[١] تكلم الشيخ ربيع عن قضايا التوحيد وعرّج على تفسير سورة الفاتحة فقال حفظه اللَّه:

قال اللَّه تعالى لنبيه الكريم: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر ٨٧].

ما هي السبع المثاني؟ هي سورة الفاتحة؛ أم القرآن؛ فإنها أم القرآن فعلًا؛ اشتملت على ما تضمنه القرآن من عقائد وأعمال، ولهذا أخبر اللَّه ﷻ أنها السبع المثاني وأخبر رسول اللَّه بذلك كما أخبر بذلك أبا هريرة[٢] وأُبَي بن كعب[٣] رضي الله عنهما: أن المراد بالسبع المثاني إنما هي

(١) وذلك في لقاءات حج عام ١٤٢٦ هـ في بيته العامر بالعوالي حرسها اللَّه بتاريخ ٢٤/ ١٢/ ١٤٢٦ هـ.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٤٤٨) والبخاري (٤٧٠٤).

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ١١٤) والنسائي (٩١٤) والحاكم (١/ ٥٥٧) و (٢/ ٢٥٧-٢٥٨) وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

هذه السورة العظيمة الجامعة التي جمعت أنواع التوحيد والأعمال الصالحة والإيمان بالمعاد والإيمان بالنبوة؛ فهي عظيمة جدًّا، ولهذا سميت أم القرآن، وأم الشيء أصله كما يقال في مكة أم القرى، والفاتحة أم القرآن؛ لأن القرآن يدور عليها؛ معاني القرآن وأنواع التوحيد والأحكام والعبادات تَضَمَّنَتْها هذه السورة العظيمة.

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ①﴾:

هذا فيه توحيد الأسماء والصفات ثم تشرع فتقول:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ②﴾

هذا يتضمن توحيد الربوبية؛ فالآيات التي وردت في القرآن والأحاديث التي وردت في السنة تنصّ على أن اللَّه رب العالمين وخالق هذا الكون ومدبره ومنظمه تندرج في قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ رب العالمين: سيدهم ومالكهم وخالقهم، وسيد الكون منظمه ومدبره، المخلوقات كلها تدخل في «العالمين».

توحيد الربوبية بكل آياته وأحاديثه يتضمنها قول اللَّه -تبارك وتعالى-: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فالمحامد كلها للَّه وحده سبحانه، هو الذي يملكها ويستحقها، لماذا؟ لأنه رب العالمين؛ سيدهم وخالقهم ومدبرهم ورازقهم، إلى آخر المعاني العظيمة التي تتضمنها هذه الآية.

قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ③﴾

تتضمن توحيد الأسماء والصفات؛ لأن الرحمة التي وسعت كل

شيء لا يتصف بها إلا من هو كامل من كل الوجوه: من القدرة والإرادة والعلم والكلام وما شاكل ذلك، فكل الأسماء والصفات تضمنها قول اللَّه: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

وقوله: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤﴾

هو مالك الدنيا والآخرة، يوم الدين وهو يوم البعث والنشور والحساب والجزاء والعقاب وما شاكل ذلك، وهذا أصل من أصول الإيمان، وتلك من أصول الإيمان أيضًا.

هذا الأصل -وهو يوم البعث والجزاء- ركن من أركان الإيمان دلّ عليه قوله -تبارك وتعالى-: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾؛ لأن الإيمان: أن تؤمن باللَّه وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره.

ثم قال: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥﴾

هذه الآية تتضمن توحيد العبادة بكل أنواعها.

﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ هذا التركيب يدلّ على الاختصاص والحصر؛ فالعبادة كلها للَّه لا يندّ شيء منها أبدًا، ولا يجوز صرف مثقال ذرة منها لغير اللَّه؛ لأن العبادة حقّ اللَّه وحده خاصة به فلا يُعبَد إلا هو سبحانه وتعالى.

فقال: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ فلا نستعين إلا به، فمن يعبد غير اللَّه فقد أشرك، ومن يستعين بغير اللَّه فقد أشرك؛ الاستعانة بغير اللَّه بالمخلوقين فيما لا يقدرون عليه هذا من الشرك باللَّه، لكن الاستعانة بالمخلوق فيما يقدر عليه؛ المخلوق الحاضر، الموجود عندك تقول له: أعطني شربة ماء، أعطني ثوبي، أعطني كذا، فهذه

استعانة جائزة، والتعاون على البر والتقوى بين المؤمنين فيما يقدرون عليه.

أما الاستعانة بالمخلوقين فيما لا يقدر عليه إلا اللّه فهذا شرك باللّه -تبارك وتعالى-، فلا نستعين إلا به، كما في حديث ابن عباس: «**يا غلام إني أعلمك كلمات؛ احفظ اللّه يحفظك، احفظ اللّه تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل اللّه، وإذا استعنت فاستعن باللّه واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه اللّه لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه اللّه عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف**»(١).

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة ١٨٦].

فلا نعبد إلا اللّه ولا نستعين إلا به في الأمور العظيمة وغيرها التي لا يقدر عليها الإنسان والبشر جميعًا أو من في الأرض جميعًا، ليس لها إلا اللّه -تبارك وتعالى- يُستَعان به فيها ﷻ، وهذا معنى «**لا حول ولا قوة إلا باللّه**» فلا حول للعباد ولا قوة لهم على شيء إلا بإذن اللّه وعونه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فلولا عون اللّه لنا في أمور ديننا ودنيانا لا نستطيع أن نفعل شيئًا

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٦٦٩) والترمذي في جامعه (٢٥١٦) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

ولا نستطيع أن نقوم بشيء لهذا فنحن في أمسّ الحاجة بل الضرورة إلى أن نطلب منه العون ﷻ ؛ فإنا ضعفاء وفقراء وعاجزون، فلا حول ولا قوة لنا على شيء من أمور ديننا ودنيانا إلا باللَّه العليّ العظيم، هكذا يجب أن يكون قلب المؤمن في مراقبته للَّه -تبارك وتعالى- وفي صلته بربّ العالمين؛ أن يستشعر أنه عبد ضعيف فقير، وأن العباد كلهم ضعفاء، وأنهم لو اجتمعوا على أن يقدموا له شيئًا لا يستطيعون إلا بشيء قد كتبه اللَّه، لن يستطيعوا أن ينفعوه بشيء إلا إذا كان اللَّه قد أراده وكتبه في الأزل «**واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه اللَّه لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه اللَّه عليك**» ﷺ .

المؤمن في الأحداث المدلهمة والمشاكل يلجأ إلى اللَّه -تبارك وتعالى- ويؤمن بالقدر؛ فثمرة الإيمان بالقدر تكون عند الأحداث وعند المصائب وما شاكل ذلك.

ولا يبرز الإيمان الصحيح؛ الإيمان باللَّه والإيمان بعلم اللَّه الواسع وتقديره للأشياء كلها ﷻ وأنه لا ينزل بالإنسان شيء من الخير أو الضرّ -مصائب أو غيرها- إلا بمشيئة اللَّه ﷻ إلا عند المصائب، ويوقن المؤمن بأن اللَّه قد كتب هذا الشيء الذي نزل به أو أراده، قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الحديد: ٢٢- ٢٣].

الذي يؤمن بالقدر الإيمان الصحيح لا يحزن ولا يأسف على شيء

خسره وفاته من ولد أو مال أو غيره؛ قد يحزن الحزن المشروع، لكن يصبر في نفس الوقت وينتظر الجزاء من اللَّه على ما نزل به، فإذا كان كذلك فليس هناك خسارة أبدا؛ قال اللَّه تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥- ١٥٧].

الذي يتدبر هذه الآيات وهذه المعاني، تهون عليه الدنيا؛ لو خسر ما على الدنيا لا يأسف، وإذا جاءه شيء من فضل اللَّه وكرمه وجوده لا يبطر: ﴿لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ﴾ فرح البطر والأشر، فكثير من الناس يفرحون بهذه الدنيا ويأشرون ويبطرون وينسون أن اللَّه -تبارك وتعالى- ابتلاهم بهذا؛ ليشكروا أم يكفروا، كما قال نبي اللَّه سليمان عليه السلام: ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ﴾ [النمل: ٤٠].

فالمؤمن يستشعر عند المصائب وعند النعم، لابد أن يستشعر أن اللَّه سبحانه وتعالى يبتليه بالسراء والضراء أيشكر أم يكفر.

فالمؤمن يشكر؛ يشكر اللَّه -تبارك وتعالى- على النعم كثيرها وقليلها، دقيقها وجليلها ويصرِّف هذه النعم حسب أمر اللَّه وفي ما يرضيه، ولا يصرفها بهواه؛ لأن المال مال اللَّه، استخلفك فيه لينظر كيف تعمل فيه، ليس مالك، ولهذا ينزع منك ملكك وعبيدك وجنودك وإلى آخره؛ ينتزعك منهم فإذا بك أفقر الناس لا شيء بيدك لأنه ملكه؛ أنت ملك للَّه وما ملكك اللَّه إياه وأعطاه إياك فإنما هو ملكه وفضله؛ أعطاك اختبارًا وابتلاءً أتشكر أم تكفر.

فالمؤمن يجب أن يكون بهذا الشكل ؛ مستوعبًا لهذه الأشياء، مردّ الأمور كلها إلى اللَّه ﷻ ؛ فالمال ماله والملك ملكه ﷻ، والعبادة له وحده ﷻ، والعون منه وحده ﷻ، هذا حال المؤمن.

ويجب أن يمتلئ فؤاد وقلب المؤمن بهذه المعاني ويستحضرها في كل وقت، ولا يستولي عليه الشيطان فينسيه ذكر اللَّه وينسيه هذه المعاني.

بهذا ينمو الإيمان ويقوى ؛ بالأعمال الصالحة والتفكير الجيد والتأمل والتدبر وفهم الأمور واستشعار مراقبة اللَّه تعالى، والإيمان الصادق بأنه رب كل شيء ومالك كل شيء ورقيب على كل شيء، والمعطي المانع، والضار النافع، هو وحده ﷻ.

فهذه هي أنواع التوحيد ذكرناها لكم.

ثم قال: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾

نطلب منه الهداية ﷻ، بعد أن عرفنا بأنه مالك يوم الدين، وأن العبادة خالصة له، وأننا فقراء إليه لا نستغني عنه إطلاقا ﷻ، نطلب منه ﷻ.

وهذه الأمور من قوله ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ إلى هنا مقدمات ؛ كأنها إرشاد من اللَّه أن نتوسل إليه بها إلى اللَّه ﷻ.

فالمؤمن يتوسل إلى اللَّه بأسمائه وصفاته، ويتوسل إليه بإيمانه وأعماله الصالحة، فمن أول السورة إلى هنا تتضمن الإيمان بربوبية اللَّه، بأسمائه وصفاته، وبأنه مالك يوم الدين، وفيه اعتراف بأنه هو

المعبود الحقّ وأنه هو الذي نستعين به وحده؛ هذه الأمور إيمان وأعمال صالحة، يُشرع لنا أن نتوسل إلى اللّه بأسمائه وصفاته وبالأعمال الصالحة لهذا قال: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾.

وكثير من المسلمين، حتى من الذين ينتمون إلى العلم -مع الأسف- لا يعرفون أنواع التوسل المشروعة التي شرعها اللّه عز وجل، فذهب الشيطان بهم إلى التوسلات بأمور ممنوعة ومبتدعة!

فالتوسل إلى اللّه -تبارك وتعالى- يكون بالإيمان به، بأسمائه وصفاته، بالأعمال الصالحة؛ هذه وردت فيها أحاديث، والآيات هذه تدلّ عليها.

يعني آمنا باللّه وبأسمائه وبصفاته سبحانه وتعالى، بربوبيته، بأنه مالك يوم الدين، واعترفنا له بأنه هو المعبود الحقّ وأنه المستعان به وحده؛ هذه كلها إيمان وأعمال صالحة، الآن نتجه إليه بالدعاء؛ هذه أعظم وسيلة فنقول: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ فأنت تتوسل إلى اللّه كل يوم في صلاتك لكنك لا تدري أن عندك أعظم أنواع التوسل.

أما التوسل المبتدع؛ تقول: اللّهم بجاه فلان، اللّهم بحق فلان، ثم يجرك الشيطان إلى أن تدعو فلانا نفسه؛ يا بدوي، يا رفاعي، إلى آخر التسميات الكثيرة، وينسون دعاء اللّه وحده واللجوء إليه وحده في الشدائد ويتوسلون إليه بما لم يأذن به اللّه ولم يشرعه اللّه عز وجل!!

أنت لما تقرأ هذه السورة وتعرف هذه المعاني تدرك أنك توسلت إلى اللّه بأعظم الوسائل وأوضحها، واللّه عز وجل يقول: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

تقول مثلًا : اللَّهم بعزتك وبكرمك وبجودك ؛ هذه صفاته نتوسل إليه بها ، ونتوسل إليه كذلك بأسمائه : يا عزيز ، يا كريم أكرمنا وأعزنا ؛ هذه أسماؤه فادعوه بها ، يعني توسلوا إليه بها .

فهذه الآية -كما شرحنا لكم- فيها توسل ، وآيات كثيرة جدًّا فيها بيان التوسل المشروع ؛ كما قال تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران : ١٩١] .

هذه الآية فيها توسل عظيم ؛ ﴿يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا﴾ «عمل» ، ﴿وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ﴾ «عمل» ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ﴾ : يتدبرون ويتأملون في أن اللَّه رب هذا الكون وخالقه ورازقه وما خَلَقَهُ باطلًا إلى آخره ، ثم يقول : ﴿فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ ؛ توسل بإيمانه وعمله الصالح ثم دعا فالتوسل إلى اللَّه المشروع موجود مبثوث في القرآن والسنة .

والتوسل الممنوع المبتدع لا أصل له في كتاب اللَّه ولا في سنة رسول اللَّه ﷺ ، ويحتجون بحديث الرجل الأعمى من الصحابة ، والحديث فيه كلام منهم من يحسنه ومنهم من يضعفه ، لكن على فرض ثبوته فو اللَّه إنه عليهم وليس لهم !

فعن عثمان بن حنيف رضي الله عنه : أن أعمى أتى إلى رسول اللَّه ﷺ فقال : يا رسول اللَّه ! «ادع اللَّه أن يكشف لي عن بصري» قال : «**أو أَدعُكَ**» - وفي رواية : «**إن شئت أخرت ذلك وهو خير وإن شئت دعوت**» قال : فادعه- قال : يا رسول اللَّه ! «إنه قد شق علي ذهاب بصري» قال :

«**فانطلق فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل: اللَّهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيي محمد ﷺ نبي الرحمة، يا محمد! إني أتوجه إلى ربي بك أن يكشف لي عن بصري، اللَّهم شفعه في وشفعني في نفسي**» فرجع وقد كشف اللَّه عن بصره[(١)].

فهذا الرجل عمل بالأسباب؛ يعرف أن رسول اللَّه أفضل البشر، وأن دعوته مستجابة فجاء إلى النبي ﷺ فطلب منه الدعاء فقال: «ادع اللَّه أن يكشف لي عن بصري»، لم يقل: «بجاهك يا رسول اللَّه» أو جلس في بيته وقال: «بجاه محمد» بل جاء إلى الرسول ﷺ وطلب منه الدعاء فقال: «فادع اللَّه لي»، قال ﷺ: «**إن شئت أخرت ذلك وهو خير وإن شئت دعوت**» خيَّره بين الصبر؛ الذي يفقد حبيبتيه يعوضه اللَّه الجنة؛ إذا صبر وبقي على عماه يعوضه اللَّه على عينيه اللتين فقدهما: الجنة، «**وإن شئت دَعوتُ لك**» يعني فيرجع اللَّه بصرك، قال: «فادعه»، هل في هذا حجة لهم أو عليهم؟! حجة عليهم؛ يحتجون به وهم لا يفهمون معناه أو يغالطون!!

فالتوسل هنا بشخص النبي أو بدعائه؟! بدعائه عليه الصلاة والسلام، قال: «**إن شئت أخرت ذلك وهو خير وإن شئت دعوت**» قال: «فادعُه» أكد.

---

(١) قال الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (صحيح الترغيب والترهيب) (١/ ٤٢٨): رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح غريب، والنسائي-واللفظ له-، وابن ماجه، وابن خزيمة في صحيحه، والحاكم وقال: «صحيح على شرط البخاري ومسلم»، وليس عند الترمذي: «**ثم صل ركعتين**» إنما قال: (فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ثم يدعو بهذا الدعاء) فذكره بنحوه، ورواه في الدعوات.

فهو إذن ما طلب من الرسول ﷺ إلا الدعاء، ولم يتوسل بذاته أو بجاهه، ولو كان هذا التوسل جائزا لجلس في بيته ولم يحتج إلى أن يأتي عنده ﷺ لكن هذا لا يوجد في الشريعة ولا يعترف به الصحابة ولا يعترف به علماء السنة أبدا، هذه توسلات بدعية: «اللَّهم بجاه النبي» وما شاكل ذلك.

النبي ﷺ لما كان موجودا يُطلَب منه الدعاء كقصة هذا الرجل الأعمى والحديث هذا حجة عليهم، وكانوا إذا قحطوا يطلبون منه ﷺ الدعاء؛ يعني الاستسقاء، يقولون: استسق لنا يا رسول اللَّه، ادع اللَّه لنا.

وما كانوا يجلسون في المسجد أو في منازلهم ويقولون: اللَّهم بجاه محمد؛ اللَّهم بجاه محمد، ما كانوا يعتقدون ذلك ولا يفعلونه ولا يعتقدونه؛ هذه طرق الخرافيين!

الرسول ﷺ يدعو، والمؤمن يدعو للمؤمنين؛ مشروع أن تدعو للمؤمنين الأحياء والأموات: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر ١٠]، ونذهب إلى الأموات نسلم عليهم وندعو لهم.

الآن أناس يذهبون إلى الأموات يستغيثون بهم ويتوسلون بهم!! هم أنفسهم محتاجون إلى من يدعو لهم وفقراء إلى اللَّه، والأموات في ظلمات القبور ولا شك أنهم يستفيدون من دعاء المؤمنين الأحياء لهم ولهذا شرع اللَّه دعاء الأحياء للأموات لا العكس[١].

---

(١) قال النبي ﷺ: «**إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها وإن اللَّه ﷻ ينورها لهم بصلاتي عليهم**» رواه مسلم برقم (٩٥٦).

فهؤلاء المساكين يحرمون أنفسهم ويحرمون الموتى من الخير ويطلبون منهم ما لا يملكون منه لأنفسهم شيئا ويتوسلون بهم توسلًا باطلًا!!

الحمد للَّه؛ القرآن والسنة واضحان في قضايا العقيدة، قضايا المنهج، وقضايا العبادات، كل شيء مُبَيَّن مُفَصَّل، موضح ليس فيه غموض، لكن الذين يعمي اللَّه بصائرهم لا يدركون هذه الأشياء، ويذهبون يتخبطون خبط عشواء والعياذ باللَّه!

﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾؛ بعد هذه المقدمات العظيمة كلها نتجه إلى اللَّه بقلوبنا وألسنتنا فنقول: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ نطلب منه بإخلاص أن يهدينا الصراط المستقيم وهو القرآن والتوحيد والإيمان وما جاء به الرسل عليهم السلام من التوحيد والإخلاص للَّه رب العالمين.

فنطلب أن يهدينا اللَّه إلى صراطهم ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ والصراط المستقيم هو هذا القرآن وما تضمنه، وما جاءت به الرسالات، وما كان عليه الرسول عليه الصلاة والسلام، هذا هو الصراط المستقيم؛ من توحيد وإيمان وأعمال صالحة إلى آخره.

﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ في أبواب الإيمان بالأسماء والصفات فلا نضل مثل الفلاسفة والجهمية والمعتزلة.

واهدنا في العبادة؛ فلا نضل كما ضلّ اليهود والنصارى وعباد

القبور، نستشعر هذه المعاني، فالصراط المستقيم هو: التوحيد والإيمان والإخلاص، الطريق الذي كان عليه الأنبياء، لهذا قال:

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ﴾

اليهود يعرفون الحقّ ويخالفونه عمدًا وعنادًا وكبرًا؛ هؤلاء مغضوب عليهم، ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ الذين جهلوا الحقّ فتاهوا، والذي يضلّ من علماء هذه الأمة فيه شبه باليهود كما قال السلف، ومن يضلّ من عُبادهم فيه شبه بالنصارى.

كثير من الصوفية ضالون مثل ضلال النصارى؛ يدعون غير اللَّه، يستغيثون بغير اللَّه وكذا وكذا ضلال والعياذ باللَّه!

النصارى ضلّوا فعبدوا عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ضحك عليهم اليهود وقالوا لهم: إنه هو اللَّه، أو ثالث ثلاثة أو هو ابن اللَّه، فوقعوا في الكفر باللَّه -تبارك وتعالى- والشرك به وانقادوا لهم لأنهم ضلاّل!!

وهكذا دعاة السوء الفجرة يُضلُّون كثيرًا من الناس.

فنحن نستعين باللَّه وندعو اللَّه أن يهدينا إلى الصراط المستقيم وأن يجنبنا طرق المغضوب عليهم؛ الذين يعلمون الحقّ ولا يعملون به، أو الضالين الذين لا يعرفون الحقّ ويعبدون اللَّه بأهوائهم وجهلهم، وكلهم على ما يسخطه اللَّه ويغضبه وكلهم على ضلال والعياذ باللَّه.

نسأل اللَّه أن يوفقنا وإياكم لمعرفة الحقّ والثبات عليه، وأن يجعلنا من أتباع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين الذين رضي عنهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأن يجنبنا طريق المغضوب عليهم والضالين، إن ربنا لسميع

الدعاء وصلى اللَّه على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

قام بتفريغ هذه المادة وعرضها على الشيخ -حفظه اللَّه- في
يوم١٠/ ذو القعدة/ لعام١٤٢٧ هـ.
أخوكم فواز الجزائري
-غفر اللَّه له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين-.

* * *

شرح الوصايا العشر من سورة الأنعام

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد للَّه نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده اللَّه فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

✍ **أما بعد**: فإن أصدق الحديث كلام اللَّه وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد:

فسوف أفسِّر لكم بعض الآيات من سورة الأنعام ألا وهي قول اللَّه -تبارك وتعالى-:

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١ - ١٥٣].

كان العرب في الجاهلية يُحلِّلون ويُحرّمون بأهوائهم وبجهلهم وبضلالهم؛ كانوا يعبدون الأوثان، ويتقربون إليها بالقرابين من الأنعام والحرث والأولاد، فأنكر اللَّه -تبارك وتعالى- عليهم هذا الشرك، وأنكر عليهم هذه التشريعات؛ يُحلّلون ويحرِّمون كما شاءوا بجهلهم وضلالهم! قال اللَّه -تبارك وتعالى-: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٣].

البحيرة: الناقة يُمنَع درّها فلا تُحلَب إلا للطواغيت وسدنتها.

والسائبة: هي التي يُسَيِّبُونها فلا يحمل عليها أحد شيئًا؛ يسيبونها

من أجل الأصنام والأوثان.

والوصيلة: هي الناقة البكر تلد أنثى ثم تلد أنثى وليس بينهما ذكر، فيُسَيِّبُونها لطواغيتهم. والحام: الفحل من الإبل يضرب الضراب المعيّن، ثم بعد ذلك يُطلق سراحه فلا يُحمل عليه ولا يُركَب من أجل الأوثان، فأنكر اللَّه ذلك وقال: ما شرع اللَّه ذلك بل حرمه وهذا كذب وافتراء على اللَّه ﷻ، ﴿وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَـٰذِهِ ٱلْأَنْعَـٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٩] يُحِلُّون لأنفسهم ما يشاءون ويُحرِّمون على نسائهم ما يشاءون؛ من أمهاتهم وبناتهم وزوجاتهم -والعياذ باللَّه-.

وتشريعات أخرى أنكرها اللَّه -تبارك وتعالى- عليهم، ومنها قول اللَّه -تبارك وتعالى-: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

هذا الذي ورد في الكتاب، ثم أضاف اللَّه بعد ذلك على لسان رسوله تحريم أكل الحمر الأهلية، وأكل كل ذي ناب من السباع، وأكل كل ذي مخلب من الطير.

وفي الحديث عن ابن عباس: «نهى رسول اللَّه ﷺ عن كل ذي ناب من السباع وعن كل ذي مخلب من الطير»[1] وكل ذلك من تشريع اللَّه سبحانه وتعالى.

(١) رواه مسلم برقم (١٩٣٤).

ثم قال اللَّه -تبارك وتعالى- في هذه الآيات: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ لا آباؤكم ولا أجدادكم، وإنما اللَّه هو الذي يمتلك حقّ التحليل والتحريم والتشريع وحده ﷻ؛ إذ هو الربّ الخالق، البارئ، المصوِّر، الذي خلق هذا الكون ودبّره، وخلق الجنّ والإنس لعبادته، فالحقّ التشريعي له ﷻ، فحرّم الشرك به؛ أول المحرمات وأعظمها وأخطرها: الشرك باللَّه -تبارك وتعالى-؛ ذلكم الذنب العظيم الذي تهتزّ له السماوات والأرض، بل تكاد تتفطّر السماوات وتكاد تنشقّ الأرض وتخرّ الجبال هدًّا منه، ذلكم الذنب الذي لا يغفره اللَّه كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ١١٦] ويقول ﷻ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]، فهذا ذنب لا يُغفر، فيجب على البشرية جميعًا أن يخلصوا الدين للَّه وأن يعبدوه وحده وأن يحققوا الغاية التي خلقهم من أجلها.

﴿أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾: شيئًا من الأشياء؛ يعني «شيئًا» مفعولًا؛ فلا تشركوا باللَّه شيئًا من الأشياء، لا من الملائكة، ولا من الأنبياء، ولا من الأوثان، ولا من الأشجار، ولا الشمس ولا القمر، ولا شيئًا من المعبودات التي يعبدها الناس على اختلاف مللّهم ونحلهم.

أو: لا تشركوا به شيئًا من الشرك، و«شيئًا» على هذا مصدر؛ لا تشركوا به شيئًا من الأشياء، من كل ألوان الشرك صغيره وكبيره.

﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾: الوالدان لهما حقّ عظيم؛ لذا يقرن اللَّه حقهما بحقه في آيات كثيرة، واعتبر العقوق من أكبر الكبائر؛ لأنه

نكران للمعروف ونكران للجميل، كما قال اللَّه -تبارك وتعالى-: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣ - ٢٤].

يعني منَّة عظيمة للوالدين عليك، وأيادٍ بيضاء، لا تستطيع أن تكافئهما مهما أطعتهما ومهما بالغت في البرّ والإحسان إليهما، إلا أن تجد أحدهما مملوكا فتشتريه فتعتقه كما جاء في الحديث، أما لو بذلت ما بذلت من البرّ والإحسان إلى أبويك والطاعة لهما، والإكرام لهما، والتواضع لهما، فلن تبلغ شكرهما.

فيجب أن يعرف المسلم حقّ أبويه، قال تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤]، قرن شكرهما بشكره ﷻ.

كثير من الناس يتهاون في حقّ أبويه -مع الأسف الشديد- وينسى ذلك المعروف العظيم، من الحمل إلى الولادة. . . المتاعب والمشقات، إلى كدّ الأب عليه وبرِّه به ورأفته به والإنفاق عليه إلى أن يكبر، ثم في الأخير ينسى أبويه! هذا بلاء والعياذ باللَّه، ونكران للجميل والمعروف، ومن أحطّ أنواع نكران الجميل والمعروف.

فلابدّ من الإحسان إليهما، ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾: أحسنوا بالوالدين إحسانًا؛ «إحسانًا» مفعول لفعل محذوف، تأكيدٌ لهذا الفعل.

الإحسان ما هو؟ كل ما يطلق عليه إحسان لابدّ أن تبذله لأبويك؛ استخدم كل ما تستطيع من إحسان وإكرام لأبويك.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾

كان هناك في الجاهلية عادة خبيثة؛ يقتل ولده خشية الإملاق سواء كان ذكرا أو أنثى، أو يقتل البنت خشية العار! كما أخبر اللَّه تعالى عنهم: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [النحل: ٥٨] والعياذ باللَّه، كانوا يأنفون من البنات ويقتلونهنّ خشية العار، يئدونهنّ وهنّ أطفال لا ذنب لهنّ؛ قال ﷻ: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨ - ٩] يُسأل القاتل الذي وَأَدَ فلذة كبده؛ ويَسْأل الموؤودة تنكيلًا به وتشهيرا به في ارتكابه لهذا الذنب.

واللَّه -تبارك وتعالى- أكرم المرأة في الإسلام إكرامًا عظيمًا، وقد كانت من سقط المتاع، وكانت تُمْتَهن؛ تُورث ولا تَرِث، ويَعْضُلها الرجل ويتحكم فيها فيتزوجها ويطلق ويرجِّع، ويطلق ويرجِّع، وكم أهينت المرأة في الجاهلية وفي الجاهليات كلّها فأكرمها الإسلام وجعلها ترث وتورث، وأمًّا تُبرّ، وابنة تُحترَم، وأختا توصل، وهكذا رفع من شأنها، ولكن أعداء الإسلام لا يرون هذا الإحسان إلى المرأة في الإسلام، فيشيرون من قريب أو من بعيد إلى أن الإسلام قد هضم المرأة - قاتلهم اللَّه -!

أما المساواة التي يريدونها -والعياذ باللَّه- فهي ليست من العدل: ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣]، واللَّه -تبارك وتعالى- أعطى للرجال على النساء درجة، وكلّف الرجل بالإنفاق عليها وإسكانها ورعايتها وحمايتها وإلى آخره، فهي في راحة وهناء.

وإذا قارنت بين وضعها حتى الآن في بلدان غير بلاد المسلمين؛

المرأة لا تزال ممتهنة، في حين المرأة في الإسلام محجبة، محترمة، يعولها زوجها أو أبوها أو أخوها؛ يكفلها الرجل حماية لها وصيانة لها.

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾

يعني من الفقر؛ يعني لا تقتل ولدك ولو كنت فقيرًا وتعيش في غاية من الفقر لتتخلص منه، يعني تخاف أن يُشاركك في رزقك -والعياذ باللَّه-!.

وقال في آية الإسراء: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾ فلا تقتله لا خشية إملاق -إذا كنت غنيًّا وفي حال السعة ترقبًا للفقر-، ولا تقتله وأنت فقير؛ حماية وصيانة من هذه الوحشية التي كانت تمارس في تلك الجاهلية الجهلاء، والعياذ باللَّه.

فيحمي الإسلام المرء صغيرًا وكبيرًا ويصونه، وهذا من فضل اللَّه ورحمته ﷻ بعباده؛ بالأطفال والنساء والأيتام وغيرهم، كل ذلك تحدث عنه القرآن والسنة، حتى بالحيوانات كما قال ﷺ: «**عُذِّبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار لا هي أطعمتها ولا سقتها إذ حبستها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض**»(١) فكيف بالبشر؟! كيف ببني الإنسان الذي كرمه اللَّه؟!: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

قال تعالى: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ قدّم رزق الآباء هنا؛ لأنهم

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٣٦٥) ومسلم (٢٢٤٢) من حديث عبد اللَّه بن عمر ﭭ.

في حال الفقر، فَقَدَّمَ ذِكْرَهم وذِكْر رِزْقِهم على رزق الأبناء، وفي سورة الإسراء قال: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ يقدم الأهم فالأهم.

وقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾

حماية للمجتمعات من الفواحش والرذائل والعياذ بالله؛ لأن الله خلق الناس لعبادته وطاعته، وشرّع لهم التشريعات لتكون المجتمعات في غاية النظافة والنزاهة والحياة الكريمة، ليست الحياة الجاهلية؛ سواء الجاهلية المتوحشة أو هذه الجاهلية المتحللة والعياذ بالله، يُريد الله للبشر -الذين كرمهم- أن يَحْيَوا حياة طيبة كريمة لا فحش فيها ولا فواحش، لا فحش اللسان ولا فحش الجوارح والقلوب، والعياذ بالله.

فقال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ﴾ فضلًا عن ممارستها، نهاك عن قربانها، والنهي عن ممارستها والوقوع فيها أولى وأولى، فإذا نهاك عن قربانها؛ يعني الدندنة حول الشيء، فكيف بالوقوع فيها؟! والعياذ بالله.

﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ ما يخفى منها وما يُعلَن، لا تقربوا الفواحش؛ منها الزنا والعياذ بالله ومقدماته لا تقربوها، والنظر مقدمة للوقوع في هذه الفاحشة، فأمر الله -تبارك وتعالى- بغضِّ الأبصار من الجانبين؛ من الرجال والنساء في قوله ﷻ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ﴾ [النور: ٣٠]؛ سدًّا لذرائع الزنا والفواحش، ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور: ٣١]، كل هذا لسدّ الذرائع إلى الوقوع في

الفواحش لتبقى المجتمعات التي تؤمن بالله نظيفة طاهرة من الفواحش الظاهرة والخفية: ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾.

ثم قال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾

حماية للدماء التي يستبيحها البشر إذا تمردوا على شرائع الله ﷻ واستباحوا لأنفسهم سفك الدماء وارتكاب الفواحش، وهذه الأعمال توجد في المجتمعات الجاهلية.

أما الإسلام فإنه يصون الأعراض ويحفظ الدماء ويحميها، كما في قوله -كذلك- في سورة الإسراء ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾، وقوله: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]: حماية للنفس، ووعيد شديد لمن يعتدي عليها بالقتل؛ يعني بيان فظاعة القتل؛ الذي يقتل نفسًا واحدة فكأنما قضى على الإنسانية كلها: ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾، وشرع القصاص من أجل ذلك فقال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى﴾ الآية. [البقرة: ١٨٧]، فأيّ حماية للدماء مثل هذه الحماية؟!.

وقوله: ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾؛ يعني لا تقتلوها بحال من الأحوال إلا بالحقّ؛ وهو أن يَقتُل فيُقتَل فيُقاد منه، أو يرتكب جريمة فينتهك حرمة الإنسان، فيزني وهو مُحصَن فيُقتَل، أو يرتدّ عن دين الإسلام،

فيفتح بابا للشرّ على الإسلام بارتداده، فيُقتَل كما في الحديث: «**لا يحلّ دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا اللَّه وأني رسول اللَّه إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة**»(١)، فهذا هو الحقّ الذي يستحقّ أن يُقتَل به؛ أن تقتل هذه النفس التي حرم اللَّه قتلها؛ لأنها هي انتهكت حرمات اللَّه -تبارك وتعالى-، فيعدو على نفس مسلمة فيقتلها، أو نفس حماها الإسلام بالعهد فيقتلها؛ لأن نفس المسلم ونفس الذمّي محرّمة، لأنه في ذمَّة اللَّه وذمَّة رسوله فلا نخفر ذمَّة اللَّه ﷻ فنقتل الذمّي؛ قال النبي ﷺ: «**من قتل نفسا معاهدا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عامًا**»(٢) هذا احترام لنفس المسلم ولنفس من يأوي ويعيش في ظلّ الإسلام وفي ذمَّة المسلمين، هل يوجد دين كهذا؟! اللَّه أكبر، ما أعظم الإسلام!

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

الإشارة ترجع إلى هذه الأمور التي سلفت؛ من تجنب الشرك باللَّه -تبارك وتعالى-، ومن تجنب عقوق الوالدين، والقيام ببرهما، ومن قتل الأبناء، ومن اجتناب الفواحش، ومن قتل النفس، الإشارة تعود إلى هذه الخمس ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم﴾ والوصية هي الأمر المُؤكَّد اللازم الذي يجب القيام به، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ تعقلون الأمور وتدركون الأخطار التي تترتب على ارتكاب هذه الجرائم، وتدركون الفوائد

(١) رواه البخاري (٦٨٧٨) ومسلم برقم (١٦٧٦) من حديث عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه.
(٢) رواه البخاري برقم (٦٩١٤) من حديث عبد اللَّه بن عمرو رضي الله عنه.

العظيمة من التزام تشريع اللَّه -تبارك وتعالى- تجاه هذه الأمور.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾

انظر كيف يعتني الإسلام باليتيم؛ لا تقربوا مال اليتيم في حال من الأحوال، إلا بالخصلة التي هي أحسن، وهي رعاية ماله وحفظه وتنميته، وبعضهم يفسر ﴿بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ بالتجارة فيه؛ لينمو، ويُحرِّم عليك اللَّه أن تأكل من مال اليتيم شيئا، والوصي عليه إن كان غنيًا فليستعفف، وإن كان فقيرًا فليأكل بالمعروف فقد قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠] وأوصى اللَّه باليتيم في آيات كثيرة؛ انظروا هذه الرحمة في الإسلام والعناية بالكبير والصغير، والعناية بكل مخلوقات اللَّه ﷻ ولاسيما اليتيم؛ كما في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ٩- ١٠] وقوله: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾ [الماعون: ١- ٢] أي لا يحترمه، يهينه ويدفعه بعنف، فيدخل في الويل وهذا الوعيد الشديد -والعياذ باللَّه-، فلابد من الرحمة والرأفة باليتيم والعناية به، والذي يعول يتيمًا يُبعث مع رسول اللَّه ﷺ يُقيم معه في الجنة؛ قال رسول اللَّه ﷺ: «**أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا**». وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئًا [(١)] -عليه الصلاة والسلام-، تكفل يتيمًا لك أو لغيرك تنال منزلة عظيمة وجزاء عظيمًا عند اللَّه ﷻ، والوعيد الشديد على من لا يحترمه ويأكل

---

(١) رواه البخاري برقم (٥٣٠٤) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

ماله أو يُهينه، ويل له إن أهانه، والنار له إن أكل ماله.

ثم يقول تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ﴾؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾ [الأعراف: ٨٥]، لابد من العدل، سواء أخذت أو أعطيت، لابد من العدل.

﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾؛ يعني إذا اجتهدت غاية الاجتهاد على أن لا تخسر الميزان أو الكيل؛ اجتهدت فحصل خلل؛ ونقص من حيث لا تدري فلا يُؤاخذك اللَّه به؛ لأن التكاليف كلها مقيدة بالقدرة والطاقة؛ فالذي يخرج عن طاقة الإنسان لا يكلِّفه اللَّه به: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾في هذه الآية وفي غيرها: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وفي أخرى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]؛ فالتكاليف في حدود القدرة والطاقة، فيجتهد الإنسان ويبذل أقصى وسعه في أن لا يظلم هذا الإنسان الذي يتعامل معه، سواء أخذ منه؛ كال له أو اكتال منه، يحرص أن يكون مقسطا في ذلك، عادلا في ذلك، فإن غُلِب على أمره من حيث لا يدري فلا يكلف اللَّه نفسا إلا وسعها، أما أن يتعمد فاللَّه أكبر! يقول اللَّه تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: ١-٣] حتى لو كان كافرا أوفِ له الكيل؛ فضلا عن المسلم، فلابد أن تتعامل بالعدل مع كل الناس في الأقوال والأفعال، فقوله: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾؛ يعني إذا اجتهد الإنسان وبلغ أقصى طاقته في التحرز من الوقوع في الإثم، ونقص من يتعامل معه بكيل أو وزن أو نحو ذلك، ثم حصل زيادة حبة أو حبتين من حيث

لا يدرك الإنسان أنه نقص أو زاد لنفسه فإنه لا يؤاخذ به؛ لأن اللَّه لا يؤاخذك إلا بما تعمدت فيه، أما الخطأ والنسيان فمرفوع عن هذه الأمة.

ثم يقول تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾

انظروا! الآية السابقة في الفعل وهذه في القول؛ إذا قلت فاعدل سواء في الإخبار والأخبار أو في الشهادة، أو في الجرح والتعديل، أيّ قول تقوله فاعدل فيه، تكليف من اللَّه -تبارك وتعالى- بهذا العدل، الذي قامت عليه السماوات والأرض، فلابد من العدل؛ إذا قلت فاعدل، واللَّه تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا﴾ [النساء: ١٣٥]، اللَّه أكبر! فالعدل في القريب والبعيد، العدل في القول في أيّ مقام من المقامات وفي أيّ حال من الأحوال، بالنسبة للعدو والصديق، والكافر والمسلم، لابد من العدل، فإن العدل واجب في كل حال، وعلى كل حال، ولكل أحد وعلى كل أحد.

العدل أمر عظيم، لا يحملنّك شفقة على قريب أو التعصب له أن تقول غير العدل، ولا يحملنّك شدَّة العداوة والشنآن للعدوّ أن تتجاوز العدل، لابد من العدل، وإذا ظلمتَ كافرا، فاسقا، مجرما لإجرامه، واستجزتَ أن تظلمه ولا تقيم فيه ميزان اللَّه العدل فإنك تحاسب على هذا؛ لأن اللَّه هو العدل ﷻ، الذي تنزه عن الظلم، ولا يرضى أن تظلم أحدا مهما كان، لا بقول ولا بفعل، لا في مال ولا في عرض.

تشهد على قريبك ولو كان أباك، تقوم بالقسط، وتشهد للعدو إذا

كان له حقّ مهما بلغ بالعداوة إذا كنت تعرف أن له حقًّا على شخص وطُلب منك الشهادة، عليك أن تدلي بهذه الشهادة على وجه العدل ولو كان على أبيك.

الظلم للناس في أموالهم وأعراضهم هذا ديوان لا يترك، ذنب لا يُغفر وهو الشرك، وذنب لا يُترك وهو تظالم العباد فيما بينهم، حتى لو جاز المسلمون الصراط؛ المؤمنون الناجون لو جاوزوا الصراط يوقفون على قنطرة بين الجنة والنار ليؤخذ لبعضهم البعض، فاللَّه لا يترك هذا، ويأتي الرجل يوم القيامة بحسنات أمثال الجبال وهو مفلس! سماه رسول اللَّه ﷺ المفلس؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**أتدرون ما المفلس؟**» قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: «**إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار**»[١] هذا هو المفلس، فليصن الإنسان لسانه من الغيبة والنميمة والظلم وقول الباطل وشهادة الزور، كل هذه الأشياء تنافي العدل الذي شرعه اللَّه -تبارك وتعالى- في القول.

ثم قال تعالى: ﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟﴾

اللَّه أكبر! رسول اللَّه ﷺ ضرب أروع الأمثلة في صلح الحديبية،

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٨١) وأحمد (٢/ ٣٠٣، ٣٣٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

عليه الصلاة والسلام، كان قد جاءه مندوب قريش واحدًا ثم واحدًا وآخرهم سُهيل بن عمرو واصطلحوا على هدنة عشر سنين، ومن الشروط أن لا يدخلوا البيت في هذا العام، وأن لا يطوفوا ولا يسعوا، ومن ضمن الشروط المجحفة أن من ذهب إلى المدينة لابد أن يُعاد إلى مكة، ومن ذهب من المسلمين من المدينة إلى مكة لا يعود، فجاء أبو جندل بن سهيل يرسف في القيود يقول: يا معشر المسلمين كيف أعود، كيف أرجع إلى هؤلاء فيفتنوني؟! وسهيل يصرّ على أنه لابد أن يرجع، ورسول اللَّه يتلطف به؛ يقول له: اترك هذا لي، يقول له: لا أتركه أبدًا، ولن يبرم هذا العهد ولا ينفذ إلا إذا عاد هذا، فقال رسول اللَّه ﷺ لأبي جندل: «**أبا جندل اصبر واحتسب فإن اللَّه جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجًا ومخرجًا؛ إنا قد صالحنا هؤلاء القوم وجرى بيننا وبينهم العهد، وإنا لا نغدر**»(١) هذا من الوفاء بالعهود قال اللَّه ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [المائدة: ١]، وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾ [الإسراء: ٣٤]

أمر العهود عظيم جدًّا في الإسلام، فلابد من الوفاء بالعهود سواء على مستوى الدول أو على مستوى الأفراد، وأولى الأمور بالوفاء عهد اللَّه علينا: ﴿۞أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝٦٠ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾ [يس: ٦٠ - ٦١].

فنفي بعهد اللَّه بأن نلتزم الإسلام، ونلتزم ما جاء في كتابه، وفي سنة

(١) انظر القصة كاملة في البخاري برقم (٢٧٣١) ومسند أحمد (٤/ ٣٢٣).

نبيه -عليه الصلاة والسلام-، من الأوامر فننفذها، والنواهي فنجتنبها، ونجتنب كل ما حرم اللَّه علينا ﷻ، كما قال ﷺ: «**فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه**»[(١)] فنفي بعهد اللَّه، ونفي بالعهود بيننا؛ إذا كانت بيننا وبين دول أخرى يجب أن نوفي بها، وإذا كانت بين أفراد وأفراد، فالإنسان قد يدخل في ذمَّة المسلم؛ إذا دخل كافر حربي في ذمة امرأة أو عبد فإنه يلزم المسلمين جميعًا أن يفوا بعهد هذه المرأة أو هذا العبد، انظروا إلى أي حد يحترم الإسلام العهود!

﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

يؤكد ويكرر هذه الوصايا: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم﴾، ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم﴾؛ يعني أمور حازمة، جازمة لابد أن نقوم بها، ولماذا يوصينا بهذا؟ يوصينا لنتذكر، فندرك ونعتبر ونتّعظ وننزجر، هذه أمور عظيمة جدا يجب أن يرعاها المسلمون؛ أفرادا ومجتمعات.

ثم قال بعد ذلك: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾

ويدخل في هذا الصراط المستقيم هذه الأمور التي وصانا اللَّه بها؛ من توحيده وإخلاص الدين له، ومن اجتناب الشرك، ومن اجتناب العقوق، والقيام بالبرّ. . . . إلى آخر الأشياء التي ذُكرت في هذه الوصايا؛ كلها داخلة في صراط اللَّه المستقيم، وعلينا أن نتبعه ﴿وَأَنَّ

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٢٨٨) ومسلم (١٣٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ﴾ وهذه الوصية باتباع الصراط جاءت في آيات كثيرة، بأساليب مختلفة، منها: الأمر بالاعتصام بحبل اللَّه وأن لا نتفرق، وهنا قال ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ فنتبع صراط اللَّه المستقيم، في عقائدنا وفي عباداتنا، وفي معاملاتنا، وفي مناهجنا وفي سياستنا، وفي كل أمر شرعه اللَّه -تبارك وتعالى-؛ فإنه صراطه، وإنه عدله ﷻ، ولن تستقيم للمسلمين حياة إلا إذا اتبعوا صراط اللَّه المستقيم، وإلا فهي حياة منحرفة، وحياة حقيرة ودنيئة، حياة الذلّ والهوان، لعدم التزامنا وسلوكنا هذا الصراط المستقيم وعدم اتباعنا لمنهج اللَّه الحقّ.

وقوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾ نَهي عن التفرق ونَهي عن الضلال: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾: كل الملل والنحل لا يجوز أن نتبع منها شيئًا، طرق البدع والضلال لا نتبع منها شيئًا، نلتزم صراط اللَّه المستقيم، لا عوج فيه ولا أمتًا، ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ هو المعتدل الذي يوصلك إلى اللَّه -تبارك وتعالى- ومرضاته.

أما السبل الأخرى فكما جاء في حديث ابن مسعود وحديث جابر وغيرهما: قال: خط لنا رسول اللَّه ﷺ خطا وقال: «**هذا سبيل اللَّه**» ثم خط خطوطا عن يمينه وعن يساره وقال: «**هذه سبل على كل سبيل شيطان يدعو إليه**»[1] فللشيطان سبل كثيرة؛ سبيل اليهود، سبيل

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٤٣٥) والدارمي (٢٠٢) وابن حبان في صحيحه (٦) وحسنه الألباني في المشكاة (١٦٦).

النصارى، سبيل الوثنيين؛ المجوس، الهندوك، سبيل مشركي العرب آنذاك، ولمن بقي منهم على الشرك، سبل للروافض وللخوارج، للمعتزلة، للمرجئة، لاثنتين والسبعين فرقة، على كل سبيل منها شيطان يزينه ويزخرفه ويلمعه للسخفاء الذين لا يعقلون ولا يتبصرون ولا يتّعظون ولا يتذكرون!!

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

انظروا! قال في الوصية الأولى: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ثم قال في الثانية: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ثم قال هنا: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، قال بعض العلماء وأظن منهم ابن عطية[1]: لأنه إذا عقِل تذكر، وإذا عقل وتذكر حصلت التقوى؛ إذا عقل وصية اللّه وعمل بها، وإذا تذكر هذه الوصايا العظيمة واستفاد من هذه الذكرى، قاده ذلك إلى تقوى اللّه ومراقبته وخشيته، استقام على الصراط المستقيم، وأخذ بمواعظ اللّه ونصائحه ووصاياه، لابدّ أن يكون من أفضل المتقين إن شاء اللّه.

---

(١) قال في فتح المجيد (ص: ٢٣- ابن حزم): وفي (تفسير الطبري الحنفي): ذكر أوّلاً ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ثم ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ ثم ﴿تَتَّقُونَ﴾؛ لأنَّهم إذا عقلوا تذكَّروا فإذا تذكَّروا خافوا واتَّقوا.

وأما قول ابن عطية فهو في تفسيره قال: وفي قوله: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: ومن حيث كانت المحرمات الأول لا يقع فيها عاقل قد نظر بعقله جاءت العبارة لعلكم تعقلون، والمحرمات الأخر شهوات وقد يقع فيها من العقلاء من لم يتذكر، وركوب الجادة الكاملة يتضمن فعل الفضائل وتلك درجة التقوى.

وفي هذه الآيات رعاية وحفاظ على مقاصد الشريعة والمصالح العظيمة ودرء المفاسد الكبرى؛ حفظ المال، حفظ النفس، حفظ النسب، وحفظ الدين.

فمن هذه المقاصد العظيمة:

- الحفاظ على الدين وحماية العقيدة، ولهذا شرع الجهاد لإعلاء كلمة اللَّه، وحرّم الشرك وأوجب التوحيد وشرع الجهاد لتحقيق هذه الغاية؛ توحيد اللَّه ونبذ الشرك باللَّه -تبارك وتعالى-.

- الحفاظ على الدماء، فحرّم قتل النفس وأوجب فيها القصاص.

- الحفاظ على المال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، كما في قوله ﷻ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾ [البقرة: ١٨٨] إلى آخره من الآيات التي حرمت الاعتداء على المال بأي شكل من الأشكال؛ لأن المال به قوام الحياة أو كما يقال: «عصب الحياة»، فلابد من حمايته.

- حماية الأعراض ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ هذا لحماية الأعراض.

فهذه آيات عظيمة جامعة لمصالح الدين والدنيا، فلابد من العناية بها فهما وتطبيقا.

نسأل اللَّه -تبارك وتعالى- أن يفقهنا وإيَّاكم في دينه، وأن يوفِّقنا لالتزام شريعته، وأن يثبتنا عليها، وأن يجنبنا هذه المعاصي والكبائر ما ظهر منها وما بطن، إن ربنا لسميع الدعاء، وصلى اللَّه على نبينا محمد

وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

قام بتفريغه وعرضه على الشيخ ربيع -حفظه اللَّه تعالى- أخوكم فواز الجزائري -غفر اللَّه له ولوالديه-

في: ٩/ ٢/ ١٤٢٨هـ.

- مكة حرسها اللَّه وسائر بلاد المسلمين -

* * *

صفات عباد الرحمن

المجلس الأوَّل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

فهذا تفسير موجز للآيات الكريمة من سورة الفرقان، وهي المتعلقة بصفات عباد الرحمن:

يقول تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ

يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣-٧٧].

بيَّنت هذه الآيات الكريمة صفات عباد الرحمن وأخلاقهم، وتعاملهم مع ربهم، وتعاملهم مع الناس، وبينت عقيدتهم وتصرفهم في أموالهم، وتلقيهم لآيات اللَّه حين يُذَكَّرون بها.

انظر كيف وصف اللَّه هيئتهم في مشيتهم، فقال: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ يمدحهم اللَّه بهذه الهيئة النابعة عن التواضع للَّه ربّ العالمين، وذلك التواضع من الآداب العالية في جميع الملل.

وانظر إلى لقمان كيف أوصى ولده بهذا الأدب، قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ واللَّه عَزَّ وَجَلَّ قال: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: ٣٧] فهذه إهانة من اللَّه - تبارك وتعالى - للمَرِحين المستكبرين؛ يقول له: من أنت حتى تتطاول على الناس؟! فلن تبلغ الجبال طولا؛ يعني هذه إهانة له حتى يتواضع.

فهؤلاء العباد؛ عباد الرحمن يمشون هونًا متواضعين للَّه رب العالمين، يمشون بسكينة ووقار غير مُتَصَنَّع وإنما تواضعًا للَّه وخفضًا للجناح للمؤمنين وغيرهم، يتواضعون للَّه عَزَّ وَجَلَّ.

﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾

لكمال أخلاقهم وشرف نفوسهم لا يجارون السفهاء في الكلام القبيح وفي الكلام السفيه والوقح، وإنما يربؤون بأنفسهم ويشرِّفونها من الانحدار مع السفهاء الجهلاء إلى قول الجهل والفحش.

وإنما يقولون: «سلامًا»؛ سلامًا يَسلَمون فيه من الإثم وخرم المروءات والشرف؛ لأن التنازل مع السفهاء قد يخدش في كرامة النبلاء، فيتنزهون عن البذاءة والفحش في الكلام ولو فُحِشَ عليهم، ولو أُسِيء إليهم ولو سُبُّوا فإنهم يقابلون ذلك بالأخلاق العالية من الصبر والحلم والكلام الطيب، حتى إنّ بعض الناس يسبّه بعض الناس فيقول: السلام عليكم: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥].

وَلَقد أمُرُّ على اللَّئيمِ يَسُبُّني فَمَضَيْتُ ثُمَّتَ قُلْتُ: لا يَعْنِيني

ما كانوا يسمعون، فلا تكن لئيما مع اللئام، بل اثبت واحلم واصبر وردّ السيئة بالحسنة قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٤-٣٥].

فهذا درس أخلاقيّ يربينا اللّه عليه ﷻ، ويبين لنا صفات أوليائه وأصفيائه، يعلمنا أخلاقهم، فكما نتلقى منهم الدين والعقيدة كذلك نتلقى منهم الأخلاق، ونسير على منوالهم ونترسّم خطاهم.

ونحن لا نقرأ القرآن للبركة، بل نقرأ القرآن لنعمل به ونقرأ السنة لنعمل بها ونتعلم العلم لنعمل.

فالإسلام دين تطبيق وعمل وليس دين نظريات: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟

﴿بِٱلصَّبۡرِ﴾ وكم من الآيات يحثّ فيها اللَّه تعالى على العمل الجادّ.

وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾

إما يقول: «السلام عليك»، أو يقول كلامًا طيبًا ليّنًا حكيمًا يسلم فيه من الوقوع في الإثم والطيش والفحش.

﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا﴾

الآية الأولى في التعامل مع اللَّه ومع عباده، وهذه في التعامل مع ربّ العالمين؛ يحبون اللَّه ويعظِّمونه ويرجون رحمته ويخشون عذابه ﷻ.

فيعبدون اللَّه -تبارك وتعالى-؛ يقومون الليل، لكن ليس الليل كله كما عَلَّمَنا رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام-؛ فإن شريعتنا دين الوسط ليس فيها رهبانية وليس فيها الجفاء وإنما هو دين الوسط، ولهذا لما تشدّد بعض الصحابة وقال بعضهم: أقوم ولا أنام وقال بعضهم: أصوم ولا أفطر وقال بعضهم: لا أتزوج النساء غضب رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام- وقال: «**ما بال أقوام قالوا: كذا وكذا؟ لكني أصلي وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**»[(١)].

وكان رسول اللَّه ﷺ يصلي الليل ولا يزيد على إحدى عشر ركعة أو ثلاث عشرة ركعة وقد ينقص -عليه الصلاة والسلام-.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٠٦٣) ومسلم (١٤٠١) واللفظ له من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

وكان عبد اللَّه بن عمرو ممن يصوم النهار ويقوم الليل فبلغ ذلك رسول اللَّه فأنكر عليه ﷺ؛ فعن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص قال: قال لي رسول اللَّه ﷺ: «**ألم أنبأ أنك تقوم الليل وتصوم النهار؟**» فقلت: نعم فقال: «**فإنك إذا فعلت ذلك هجمت العين ونفهت النفس، صم من كل شهر ثلاثة أيام؛ فذلك صوم الدهر أو كصوم الدهر**». قلت: إني أجد بي - قال مسعر يعني قوة - قال: «**فصم صوم داود عليه السلام وكان يصوم يومًا ويفطر يومًا ولا يفرُّ إذا لاقى**»(١).

وعلّمه أن يصلي صلاة داود؛ ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه.

فعن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص قال: قال لي رسول اللَّه ﷺ: «**أحب الصيام إلى اللَّه صيام داود كان يصوم يومًا ويفطر يومًا. وأحب الصلاة إلى اللَّه صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه**»(٢).

فأرشد عبد اللَّه بن عمرو إلى أن يقوم قيام داود ويصوم صيامه؛ لأنه لا أفضل من قيامه ولا من صيامه، وكان لا يفر إذا لاقى؛ كان مجاهدًا وكان من صفاته الشجاعة؛ كان يجمع بين العبادة وبين الشجاعة -عليه الصلاة والسلام-.

فنقوم الليل ولكن على النهج الذي شرعه رسول اللَّه -عليه الصلاة

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٤١٩) واللفظ له، ومسلم (١١٥٩).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٤٢٠) ومسلم (١١٥٩).

والسلام- ؛ لأن الدين لا يشادّه أحد إلا غلبه.

دخل النبي ﷺ فإذا حبل ممدود بين ساريتين فقال «**ما هذا الحبل؟**». قالوا: هذا حبل لزينب فإذا فترت تعلقت. فقال النبي ﷺ: «**لا، حُلُّوه ليصلّ أحدكم نشاطه فإذا فتر فليقعد**»(١).

وقال ﷺ: «**إذا نعس أحدكم وهو يصلي فليرقد، حتى يذهب عنه النوم فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لا يدري لعله يستغفر فيسب نفسه**»(٢)؛ لأن النوم يؤدي إلى خلل في عقل الإنسان قد يفقد وعيه فيقول ما لا يريد.

فدين اللَّه وسط؛ هذه الشريعة وسط ليس فيها شدة وليس فيها يهودية وليس فيها نصرانية، وإنما هي دين الوسط.

وقوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ يصلون صلاة الخاشعين وسجود الخاشعين وركوع الخاشعين المخبتين؛ كما وصفهم اللَّه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ سجود الخاشعين وركوعهم، وأثنى اللَّه عليهم في آيات: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ [الفتح: ٢٩] وصفهم اللَّه -تبارك وتعالى- بهذه الصفات بأنهم أشدّاء على الكفار رحماء بينهم، وكما في قوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١١٥٠) ومسلم (٧٨٤) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري برقم [٢١٢] ومسلم (٧٨٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

﴿ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وأخشى على كثير من الذين يعيشون في بلاد الكفار أن تكون هناك مودَّة بينهم وبين الكفار! أخاف على كثير وكثير منهم - والعياذ باللَّه- ؛ لأن هذا الولاء كفر ؛ قال اللَّه تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ [المائدة: ٥١].

والتولّي هو الودّ والمحبة والنصرة ؛ فإذا توليته ونصرته على الدين الإسلامي وأحببته ووددته هذا كفر لا غبار عليه، وقد تحصل موالاة بدون هذا ؛ لأجل الدنيا فقط فيقع في الإثم الكبير.

فالأولى بالمسلم أن لا يعيش إلا في بلاد المسلمين وأن لا يجالس إلا الأخيار ؛ خيار المسلمين حتى في بلاد الإسلام تجتنب جلساء السوء.

﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا﴾ هذا الشرح الذي ذكرناه لكم ؛ يعني ليس كل الليل ؛ لأن الرسول ﷺ نهى عن هذا، وكان يقوم وينام ويصوم ويفطر -عليه الصلاة والسلام- . وبينت عائشة أنه ما كان يزيد على إحدى عشر ركعة لكنه يطيلهن[1] -عليه الصلاة والسلام- ليس مثل صلاة الناس الآن.

وقوله تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ﴾

---

(١) روى ذلك عنها الإمام أحمد في مسنده (٦/ ٧٣) والبخاري في صحيحه (٢٠١٣) ومسلم (٧٣٨) ولفظه : (ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة يصلي أربعًا فلا تسل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي أربعًا فلا تسل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي ثلاثًا).

يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالجنة وبالنار، وكان رسول الله ﷺ إذا تحدث عن الجنة والنار فكأنما هي رأي العين أمامهم لقوة إيمانهم.

فعلى الإنسان أن يقوّي إيمانه بتلاوة القرآن وتدبّره والإكثار من دراسة حديث رسول الله -عليه الصلاة والسلام- ليزداد إيمانه ويقوى، ويقوي يقينه فكأنما يرى النار، وإذا عبد الله فكأنما يراه، فإن لم يكن يراه فليعتقد أن الله يراه.

فعباد الرحمن يؤمنون بهذه النار ويعرفون شدتها وفظاعتها وخزي أهلها، فيستعيذون بالله منها ويلجؤون إليه مستجيرين مستغيثين، ضارعين خائفين وجلين: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ عذاب الكفار غرام ملازم لهم أبد الآبدين، لو يريدون أن يستريحوا منه لحظة لا يجدون ذلك، ولا يموتون فيها ولا يحيون، فيلازمهم العذاب بسبب كفرهم بالله وشركهم به وارتكابهم معاصيه.

فهؤلاء يعملون الأعمال الصالحات ويجتنبون القبائح والسيئات وعلى رأسها الكفر ولا يكتفون بذلك بل يضرعون إلى الله أن ينجّيهم من النار؛ لأن المرء لا يضمن لنفسه الجنة، فيلجأ إلى الله -تبارك وتعالى- أن يقيه عذاب النار.

ولهذا علّمنا رسول الله -عليه الصلاة والسلام- في كل صلاة نصليها فريضة أو نافلة أن نستعيذ بالله من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن شر فتنة المسيح الدجال، فعن أبي

هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إذا فرغ أحدكم من التشهد الآخر فليتعوذ باللَّه من أربع؛ من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن شر المسيح الدجال**»[١].

فلا يغترّون بإيمانهم وأعمالهم الصالحة وعبادتهم وقيام الليل ويقولون: نحن قمنا بهذه الأشياء فلنا الجنة! كما يتصور بعض السفهاء وأهل البدع والضلال!!

كان الصحابة- رضوان اللَّه عليهم-؛ كما قال ابن أبي مليكة: «أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه»[٢].

وقال الحسن: «ما خافه إلا مؤمن ولا أمنه إلا منافق»[٣].

فمن شدة حذرهم والبعد عن الغرور والإعجاب بالنّفس وبالعمل كانوا يخافون على أنفسهم النفاق، فهل نحن كذلك يا إخوة؟! هل نجد هذه الروح وهذا الإحساس وهذه المشاعر أننا نخاف على أنفسنا؟! ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩] فلا تأمنوا، وقولوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: ٨] وادعوا اللَّه كثيرًا بهذا الدعاء: «**يا مقلِّب القلوب ثبِّت قلوبنا على دينك**».

فيجب على المؤمن أن يكون خائفًا وجلًا؛ يخاف أن ينتكس،

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٣٧) ومسلم برقم (٥٨٨).

(٢) (٣) ذكرهما البخاري تعليقًا في صحيحه (كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر) الأول منهما أورده بصيغة الجزم والثاني بصيغة التمريض. انظر فتح الباري لابن رجب الحنبلي (١/ ١٠٠) وفتح الباري لابن حجر (١/ ١٣٤).

يخاف أن يزيغ قلبه، يخاف أن يقع في النفاق؛ النفاق العملي، والنفاق العملي إذا تمادى الإنسان فيه قد يقع في النفاق الاعتقادي -والعياذ بالله-.

فهم لا يركنون إلى أعمالهم، والرسول ﷺ كان يقول: «**لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ**» قالوا: ولا أنت يا رَسُولَ اللَّهِ؟! قال: «**لا، ولا أنا إلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّه بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ**»(١) ما قال: أنا أدخل الجنة بعملي! ولكن اطلب من اللَّه أن ينجّيك وأن يغفر لك وأن يبعدك عن النار واطمع في اللَّه ولا تيأس، ارجُ اللَّه، لكن لا يتغلَّب جانب الرجاء على جانب الخوف، فالمؤمن يجمع بين الخوف والرجاء؛ لا ييأس من روح اللَّه ولا يأمن من مكر اللَّه؛ فإن المؤمن متَّزِن؛ دائما يراقب نفسه ويخاف، فيخاف أن ينحرف وأن ينكص على عقبيه، بل يخاف على نفسه النِّفاق ويخاف على نفسه الرِدَّة.

فندعو اللَّه كثيرًا «**يا مقلِّب القلوب ثبِّت قلوبنا على دينك**»، ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾، ﴿رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾.

تدعو اللَّه، تُخلص له، تؤدي الواجبات، تجتنب المحرّمات، تحرص على التطوعات وأنواع البرّ، ومع ذلك تلجأ إلى اللَّه -تبارك وتعالى- أن يقيك عذاب النار.

بعض الناس يعتقد في نفسه أنه وليّ للَّه فلا يخاف على نفسه من

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٦٧٣) ومسلم (٢٨١٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الانحراف -والعياذ بالله-!

ويعتبرون الولاية وراثة! هذا البيت الولاية فيه! وهذا البلد أهله كلهم أولياء وينبتون في البلد الفلاني كما ينبت الزرع! الشيطان يضحك عليهم ويلقِّنهم هذه الترهات! حال المؤمنين أنهم بين الخوف والرجاء، فهذا عمر ﷺ يقول عند موته: «واللَّه لو أنَّ لي طِلَاعَ الأرض ذَهَبًا لَافْتَدَيْتُ بِهِ من عَذَابِ اللَّهِ ﷻ قبل أَنْ أَرَاهُ»(١)

شهد له رسول اللَّه ﷺ بالجنة، ومع ذلك كان يخاف خوفا شديدا على نفسه، وفتح الدنيا وكان يقول لأبي موسى: «يا أَبَا مُوسَى هل يَسُرُّكَ إِسْلَامُنَا مع رسول اللَّهِ ﷺ وَهِجْرَتُنَا معه وَجِهَادُنَا معه وَعَمَلُنَا كُلُّهُ معه بَرَدَ لنا وَأَنَّ كُلَّ عَمَلٍ عَمِلْنَاهُ بَعْدَهُ نَجَوْنَا منه كَفَافًا رَأْسًا بِرَأْسٍ.

فقال أبو موسى: لا واللَّه؛ قد جَاهَدْنَا بَعْدَ رسول اللَّهِ ﷺ وَصَلَّيْنَا وَصُمْنَا وَعَمِلْنَا خَيْرًا كَثِيرًا وَأَسْلَمَ على أَيْدِينَا بَشَرٌ كَثِيرٌ وَإِنَّا لَنَرْجُو ذلك.

فقال عمر: لَكِنِّي أنا وَالَّذِي نَفْسُ عُمَرَ بيده لَوَدِدْتُ أَنَّ ذلك بَرَدَ لنا وَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ عَمِلْنَاهُ بَعْدُ نَجَوْنَا منه كَفَافًا رَأْسًا بِرَأْسٍ»(٢) يعني الأعمال التي عملها بعد الرسول ﷺ يريد السلامة منها ويريد الكفاف لا له ولا عليه.

كل هذا الجهاد وهذا العدل الذي ملأ به الدنيا و. . و إلى آخره وهو خائف؛ يريد السلامة وعند موته يقول: «واللَّه لو أَنَّ لي طِلَاعَ الأرض

(١) البخاري في صحيحه (٣٦٩٢).

(٢) البخاري (٣٩١٥) من حديث عبد اللَّه بن عمر ﷺ.

ذَهَبًا لَافْتَدَيْتُ بِهِ من عَذَابِ اللَّهِ ﷻ قبل أَنْ أَرَاهُ» من هول الموقف.

فهذا حال المؤمنين.

﴿إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾

بئس المقرّ وبئس المقام، قبُحت وشنعت فإنها بئس المقر؛ حال أهلها لا تستطيع وصفهم من البلاء الذي ينزل بهم والهلاك والشرور والدمار، فهذا بئس المستقر وبئس المقام.

«ساء» هنا معناها بئس، بئس المقام؛ لأنه مقام الكافرين ومقام العذاب الأليم الذي لا نستطيع أن نتصوره: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ نار الدنيا ليست كذلك، نار الدنيا جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«ناركم هذه التي يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءا من حر جهنم»**. قالوا: واللَّه إن كانت لكافية يا رسول اللَّه! قال: **«فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلها مثل حرها»**[1].

وقال النبي ﷺ: **«وَاشْتَكَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا فَقَالَتْ يَارَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ نَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ وَنَفَسٍ فِي الصَّيْفِ فَهُوَ أَشَدُّ مَا**

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٢٦٥) ومسلم (٢٨٤٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، واللفظ لمسلم.

تَجِدُونَ مِنْ الْحَرِّ وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنْ الزَّمْهَرِيرِ»(١).

فيها برودة مهلكة وفيها حرارة شديدة لا يستطيع الإنسان أن يتصورها: ﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾ [المرسلات: ٣٢-٣٣] وهي نار عميقة الغور وهي دركات -والعياذ بالله- دركات ودركات والمنافقون في الدرك الأسفل من النار لخبثهم لأنهم أخبث من الكفار الواضحين.

والنفاق يوجد في هذه الأمة، وُجِد في عهد الرسول ومستمِّر الوجود في كل الأعصار والأجيال، وما نَشَر البدع؛ بدع الرفض وبدع الصوفية إلا الزنادقة المنافقون!! حلول ووحدة الوجود، الشرك بالله، الرفض، تكفير الصحابة، الطعن فيهم، ما نشره إلا الزنادقة المنافقون، وينخدع بهؤلاء أناس عندهم إسلام ولكنهم على غاية من السفاهة والجهل والضلال، لا يميزون بين الحق والباطل ولا بين الهدى والضلال، فينخدعون بهؤلاء المنافقين فيقعون في حبائلهم -والعياذ بالله-!!

ثم قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾

فهم يعرفون أن المال نعمة من الله -تبارك وتعالى-، وأن العبد مسؤول عن هذا المال من أين اكتسبه وفيما أنفقه؟ فيتصرفون فيه باعتدال وبحكمة وبتوسط فلا تبذير وإسراف ولا تقتير، والإسراف مجاوزة الحد؛ يتجاوز الحد في الإنفاق فيسرف في مأكله وفي مشربه،

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٢٦٠) ومسلم (٦١٥، ٦١٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ويتجاوز الحد المطلوب الذي ينبغي له؛ أي يضع المال في الحرام والمعاصي فيكون من أخبث أنواع الإسراف؛ قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾.

﴿وَلَمْ يَقْتُرُواْ﴾ لم يبخلوا أن يضعوا المال في مواضعه، لم يبخل؛ يعني يؤدي الزكاة ويصل الأرحام وينفق على الفقراء والمساكين كما مدح اللَّه -تبارك وتعالى- من يبذل الأموال في هذه الأبواب، فيضع الأموال في مواضعها، فلا إسراف ولا تقتير ولا بخل.

فلا يتَّصفون بصفات المسرفين والسفهاء الطائشين المبذرين، ولا يتَّصفون بصفة البخلاء الجبناء؛ لأن البخل والجبن متلازمان -والعياذ باللَّه-، فهم في غاية الشرف وغاية الاعتدال في كل مقام؛ في مقام العبودية معتدلون، وفي الأخلاق معتدلون، وفي الأموال وتصرفاتهم معتدلون؛ لأنهم تأدَّبوا بمنهج اللَّه وبدينه الحق، وعرفوا مقاصد الإسلام؛ فلا إسراف ولا تقتير.

وهذا من رعاية المال، المال من الضرورات التي يأمر الإسلام بالمحافظة عليها وهو كما يقال: عصب الحياة، فلا تُضيع الأموال في سبيل الشيطان، سبل الشيطان كثيرة، لا تنفق في سبل الشيطان ولا تبخل في أن تبذل المال في سبيل اللَّه.

والمرء مأجور في كل ما ينفقه، حتى اللقمة يضعها في فِي امرأته، هذا المال الذي تنفقه على أهلك احتسبه، لا بد أن تكون عندك نية، فإذا احتسبته تريد به وجه اللَّه والقيام بالواجب الذي شرعه اللَّه فهو في ميزان حسناتك، وإذا أنفقت لاهيًا سقطت عنك المسؤولية وتفوِّت على

نفسك الأجر، استحضر دائمًا إرادة وجه اللَّه -تبارك وتعالى- في كلّ تصرفاتك حتى فيما تنفق على أهلك حتى اللقمة تضعها في فِي امرأتك فإنك تؤجر عليها.

واجتنب الإسراف وأغلق أبواب الإسراف فإنها أبواب الشيطان: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾، ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩]، البخل هو أن يغلّ اليد ويمسكها عن الإنفاق، والحرص والشحّ كذلك -والعياذ باللَّه-.

والإسراف يجعلك تضيِّع المال وتبدده في سبيل الشيطان.

فهؤلاء عباد الرحمن ليس للشيطان -إن شاء اللَّه- عليهم سبيل، فلا يخدعهم فيدفعهم للإسراف ولا يخوِّفهم بالفقر: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة٢٦٨] -والعياذ باللَّه-؛ يقول لك: لا تنفق لا تضيِّع مالك، لماذا تفعل هكذا؟! إذا أنفقت تصبح فقيرا!! ويأمرك بالفحشاء، وقد يفحش الإنسان على من يستحق المال فيسلقه بالكلام الفاحش، ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ فقد يحتقر المسكين ويزدريه؛ قال اللَّه تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ٤-٧]؛ بخلاء.

ثم قال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾

كم صفة ذكرها اللَّه لهم؟ عُدُّوها: متواضعون، عُبَّاد، متوسطون في الإنفاق، صفات كثيرة جدًا، يخافون اللَّه ويضرعون إليه، هذه من

صفاتهم، من صفاتهم الخوف من اللَّه ﷻ.

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ يعني لا يشركون باللَّه، لا يتَّخذون مع اللَّه أندادا، فلا يستغيثون بغير اللَّه، ولا ينذرون لغير اللَّه، ولا يذبحون لغير اللَّه ولا يتوكلّون على غير اللَّه ولا يرغبون إلى غير اللَّه ولا يخافون إلا اللَّه؛ خوف العبادة.

الخوف الطبيعي ليس شركًا؛ تخاف من الحية، تخاف من عدو، هذا ليس شركًا؛ أمور محسوسة، لكن الخوف الغيبي، خوف السرّ كما يقال؛ إنسان مدفون ميِّت تخاف أن يضرك هذا خوف شركي، لكن إنسان عنده مسدس يريد ضربك تخافه وتأخذ حذرك، تتقي ما تستطيع، تقاتل، تلبس الدِّرع والدرقة، وتتقي السهام وتتقي الرِّماح وتتقي السيوف، والآن في هذا العصر تتقي الرصاص والصواريخ والحاجات هذه.

والخوف الطبيعي الذي تتقيه لا يضرّ ولا يخدش في العقيدة، لكن لا تبالغ فيه، اتقِّ فيه مع رجولة وشجاعة، ليس اتقاء الجبناء.

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ يعني لا يتّخذون مع اللَّه أندادا يحبونهم كحب اللَّه ويستغيثون بهم ويلجؤون إليهم عند الشدائد، برآء من الشرك كله؛ من كل أصناف الشرك، هذا مقام ثناء فليس عندهم شيء من أنواع الشرك باللَّه لا صغير ولا كبير، هذه هي العقيدة هذا هو الدّين الذي يجب الحفاظ عليه.

والمال يجب الحفاظ عليه: «**فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم وأبشاركم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في**

بلدكم هذا»[(١)].

فالقرآن والسنة يحافظان على المال فلا تسرف فيه؛ لأنك تأثم، لأنك تعمل عمل الشياطين، والمال مال اللَّه فتحافظ عليه وتضعه في مواضعه.

وتحافظ على دينك؛ فلا تشرك باللَّه شيئًا، والحفاظ على الدين يجب أن يحافظ عليه المسلم وأن يجاهد في نشره، ولهذا شرع الجهاد؛ شُرِع الجهاد لنشر الدين وحمايته؛ جهاد الدفع وجهاد الطلب، هذا لحماية هذا الدين.

والدين من الضرورات التي يجب الحفاظ عليها بكل ما نستطيع، والمال كذلك من الضرورات التي يجب الحفاظ عليها ولا نضعه إلا في مواضعه.

ولا يقتل النفس التي حرم اللَّه إلا بالحق؛ حماية للدماء والنفوس، لا يقتل النفس التي حرم اللَّه، فاللَّه حرم قتل النفس وقال: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۚ﴾ [المائدة: ٣٢].

وشرع لحماية النفوس والحفاظ عليها القصاص: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩] كل هذه محافظة على النفس، وعيد شديد على من يقتل: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٠٧٨) ومسلم (١٦٧٩) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه واللفظ للبخاري وليس عند مسلم «وأبشاركم».

﴿مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣] فهذه للحفاظ على النفوس؛ من يقتل منهم متعمِّدا فهذا جزاؤه.

والخلود هنا؛ إن كان مستحلًّا لدم المسلم فهو خلود الكافرين؛ لأنه يكفر باستحلاله قتل النفس أو النفوس، وإن كان غير مستحل فالخلود: الدوام؛ الدوام الطويل، يعذِّبه اللَّه عذابًا طويلًا، لكن في النهاية إن كان غير مستحل يخرجه اللَّه بالتوحيد كما هو مذهب أهل السنة والجماعة في أن أهل الكبائر ومنها قتل النفس لا يخلَّدون في النار ولكن قاتل النفس عليه وعيد شديد -والعياذ باللَّه- إلا بالحق؛ يعني الشارع أباح قتل النفوس بالحق.

«لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا اللَّه وأني رسول اللَّه إلا بإحدى ثلاث النفس بالنفس والثيب الزاني والمفارق لدينه التارك للجماعة»[(١)] الثيب الزاني وهو المتزوج المحصن، إذا زنا وقد تزوج وأحصن فإن جزاءه الرجم؛ فيُقتَل ويباح دمه بهذا الذنب العظيم.

﴿وَلَا يَزۡنُونَۚ﴾ الزنا من الكبائر العظيمة وانتهاك أعراض الناس - والعياذ باللَّه - فلا يزني لا بمسلمة ولا بكافرة.

ولكن زناه بالمسلمة أشدّ وزناه بزوجة جاره أشدّ وأشدّ، ولهذا سأل عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه رسولَ اللَّه ﷺ عن أعظم الذنوب فقال ﷺ: «أن

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٨٧٨) ومسلم (١٦٧٦) من حديث عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه.

تجعل للَّه ندا وهو خلقك». قلت: إن ذلك لعظيم قلت: ثم أي؟ قال: «**وأن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك**». قلت ثم أي؟ قال: «**أن تزاني حليلة جارك**»[١] فالجار له حقّ عظيم «**واللَّه لا يؤمن واللَّه لا يؤمن واللَّه لا يؤمن**». قيل: ومن يا رسول اللَّه؟ قال: «**الذي لا يأمن جاره بوائقه**»[٢]، ومن أعظم البوائق والمهلكات أن تزني بزوجة جارك - والعياذ باللَّه - فهو من أعظم الكبائر.

فهذه من الحفاظ على النسب، الحفاظ على المال، الحفاظ على النفوس، الحفاظ على الأعراض والأنساب.

انظروا القرآن ماذا فيه من النصائح، فيه من الحكم، فيه من الرحمة، فيه من المصالح في الدنيا والآخرة مالا يعلمه إلا اللَّه -تبارك وتعالى-.

انظروا كيف يشدِّد في تبذير المال، كيف يشدِّد في الشرك باللَّه؛ لأنه هلاك، انتهاك لحقوق اللَّه وعداوة للَّه وحرب على اللَّه - الشرك باللَّه ﷻ -، كيف يحافظ على الدماء، كيف الناس الآن ينتهكون الأعراض والدماء والأموال؟!! الربا شائع، السرقات، الرشوات، الخيانات، كل هذه يحاربها الإسلام حفاظا على المال.

قتل النفوس؛ انظروا الآن هذه الحروب، هذه الأسلحة المدمرة التي صنعها الكفار، أهل الحضارة -زعموا- حضارة تدمير وتخريب

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٤٧٧) ومسلم (٨٦).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٠١٦) من حديث أبي شريح رضي الله عنه.

للدين والدنيا -والعياذ بالله-!!

نسأل الله أن يدمرهم ويدمر هذه الأسلحة التي دمرت الإنسانية، وهذه المبادئ الخبيثة التي دمرت الأديان والأخلاق، والله لا أسوأ من هذه الحضارة التي يتبجحون بها وما مرّ بالإنسانية أخبث منها، لا أخبث من هذه الحضارة الغربية -والعياذ بالله- يصنعون الأسلحة الفتّاكة للفتك بالبشرية لا لشيء ينفع وإنما للسيادة والسيطرة!!

وتسلطوا على الشعوب فأذلّوها ونهبوا ثرواتها وفعلوا الأفاعيل ويقولون: الحضارة ويعتبرون الديمقراطية حضارة -ما شاء الله- وهي والله وحشية ولا أخبث منها وقائمة على الكفر بالله ﷻ والإلحاد في دين الله ﷻ والمناهضة لشرع الله ﷻ، ويسعون إلى نشرها في بلاد الإسلام لتحلّ محل الإسلام.

وترى كثيرا من البلدان الإسلامية تتهافت عليها: الديمقراطية، الديمقراطية.. وترى من الدعاة الإسلاميين من يقول: الديمقراطية روح الإسلام!!

الديمقراطية لا فيها احترام أموال ولا دماء ولا أعراض، اقتل مائة نفس وما تُقتَل! والله يقول: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾.

أَنْشِئ البنوك لنهب أموال الناس ولا شيء في ذلك!! فهل هذه حضارة؟!

فنسأل الله العافية، هذه من الاحتضار، الاحتضار يسوق البشرية إلى الموت والهلاك والدمار.

نسأل اللَّه -تبارك وتعالى- أن يجعلنا وإياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وصلى اللَّه على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

المجلس الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

فقد فسرتُ بعض الآيات من سورة الفرقان في صفات عباد الرحمن التي امتنّ اللَّه عليهم بها ، ووفقهم لها تفضلًا منه وتكرُّمًا على من يشاء من عباده تبارك وتعالى .

ومنها قوله -تبارك وتعالى- : ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٧٠) وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا (٧١) وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (٧٢) وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (٧٣) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٤) أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا (٧٥) خَالِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٧٦) قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨- ٧٧]

وفسرنا هذه الآيات إلى قوله : ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ﴾ ؛ فسرنا قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ

ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ الذي يرتكب هذه الجرائم يلقى أثاما؛ جزاءً ونكالا على ما ارتكب من هذه الجرائم التي منها الشرك بالله -تبارك وتعالى- وقتل النفس الذي هو من أعظم الإفساد في الأرض؛ فقتل نفس واحدة يعدل قتل الناس جميعًا: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

والزنا كذلك من أكبر الجرائم والذنوب؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]، الذي يرتكب هذه الجرائم يلقى أثاما: عذابًا شديدًا ونكالًا - والعياذ بالله - إن كان كافرًا فمخلَّدٌ أبد الآبدين، وإن كان قد تقحَّم هذه الكبائر غير الشرك فهذا يواجه جزاءه إلا أن يتجاوز الله عنه.

أهل الكبائر تحت مشيئة الله، ومنهم أقوام قطعًا يدخلون النار ويعذَّبون ما شاء الله بقدر ذنوبهم، ثم يأذن الله في الشفاعة لهم، لكن الآن من يصبر منكم على حرّ الشمس في يوم شديد الحر؟! من يتحمله؟! لو إنسان يَضَعُك في غرفة ضيقة مظلمة في شدَّة الحرّ، ليس فيها مكيِّف ولا مروحة ولا فيها شيء، ويقطع عنك الطعام والشراب، يحبسك ثلاثة أيام، هل عندك استعداد لمثل هذا؟! الذي يمنع الزكاة يُبطَح بقاعٍ قرقر أملس؛ فإن كان له إبل تأتي تطؤه بخفافها وتعضه بأنيابها وتمر عليه في يوم مقداره خمسين ألف سنة[1] - لا حول ولا قوة

(١) يشير الشيخ إلى حديث أبي هريرة مرفوعًا: «ما من صَاحِبِ ذَهَبٍ ولا فِضَّةٍ... ولا صاحب إبل لا يؤدي منها حقها ومن حقها حلبها يوم وردها إلا إذا كان يوم القيامة=

إلا باللَّه - هذا الذي يمنع الزكاة، كيف الذي يترك الصلاة؟! كيف إذا ضمّ إلى ذلك الزنا؟!

تارك الصلاة يختلف العلماء فيه، وجمهور الصحابة على أنه كافر الكفر الأكبر ويخلَّد في النار، وإذا قلنا بالكفر الأصغر فعذابه أشدّ من عذاب مانع الزكاة؛ يوم يحمى عليهم - إذا كان ذهبًا أو فضة -: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٥].

فالمؤمن لا يتعلق بنصوص الوعد كما تفعل المرجئة؛ فيتجرؤون على المعاصي، ويُجرِّؤون الناس على ذلك؛ يقولون: العمل ليس من الإيمان!

وغلاتهم يقولون: من قال: لا إله إلا اللَّه يدخل الجنة ولا يعذَّب! - قاتلهم اللَّه- أين نضع هذه النصوص؟! نصوص الوعيد من الكتاب والسنة أين نضعها؟! هذا النص أين نضعه؟!: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣] وآكل الربا، آكل مال اليتيم، والذي يقذف المحصنات؛ هذه من الكبائر، أين نضع هذه النصوص؟!

والخوارج يكفِّرون بالذنوب ويحكمون على العصاة وأهل الكبائر بالخلود في النار إن لم يتوبوا، فإن تابوا فهم يؤمنون بأن اللَّه -تبارك

= بطح لها بقاع قرقر أو فر ما كانت لا يفقد منها فصيلًا واحدًا تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة..» الحديث. أخرجه مسلم برقم (٩٨٧).

وتعالى- يقبل توبتهم .

فاللَّه -تبارك وتعالى- ذكر الوعيد : ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾ العذاب والنكال الشديد .

وبعضهم يفسر الأثام بوادٍ في جهنم ؛ واد خطير في جهنم وهو من النكال الذي يلقاه الكفار ، وقد يلقى هذا النكال المجرمون العتاة - والعياذ باللَّه- ، على تفاوت بين الكفار وبين العصاة ، ولكن من يطيق هذا العذاب عذاب جهنم؟ ! يعني أخفُّهم وأيسرهم عذابًا يوضع له نعلان من نار أو شراكان من النار يغلي منهما دماغه ، يرى أنه لا أحد أشدَّ عذابًا منه ، هذا أخف أهل النار وهو أبو طالب ، قال ﷺ : «**أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أبو طَالِبٍ وهو مُنْتَعِلٌ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ**»(١) .

ومن العصاة من تأخذه النار إلى كعبيه ، ومنهم من تأخذه إلى ساقيه ، ومنهم من تأخذه إلى حقويه ، وهل يطيق هذا أحد؟ ! هل تتحمل حرّ الشمس والرمضاء؟ ! لا تطيق ذلك ، إذن ضع نصوص الوعيد أمام عينيك على المعاصي والسيئات التي توعد اللَّه عليها ، فإن وقعت في شيء منها فبادر إلى التوبة النصوح ، وإياك أن تصرّ ولو على صغيرة : ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران : ١٣٥] .

فالمؤمن الصحيح الصادق لا يصرّ على المعصية والفاحشة ، بل

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢١٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

يهرع إلى اللَّه فورا نادمًا تائبًا توبة نصوحًا، فمن يقع منا في معصية صغيرة أو كبيرة -وكلنا خطاءون وخير الخطائين التوابون- فليبادر بالتوبة، واللَّه ندبنا إلى التوبة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨] يخاطب أصحاب محمد ﷺ، ورسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام- نفسه الذي غفر اللَّه من ذنبه ما تقدم وما تأخر يستغفرُ اللَّه ويتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة[١] وفي رواية: مئة مرة[٢]، بل في المجلس الواحد يعدُّ له مئة مرة «أستغفر اللَّه وأتوب إليه»؛ فعن ابن عمر قال: «إن كنا لنعد لرسول اللَّه ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة: «**رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم**»»[٣] وهو رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام-؛ تقولها بصدقٍ وإخلاصٍ وجدٍّ تقولها وأنت تعي ما تقول وليس مجرد كلام فقط.

﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ التوبة لها شروط:

- أن تندم على ما فعلت أشدّ الندم، وتستحي من اللَّه وتخجل منه، وتجد من وخز الضمير ما لا يتصوره إلا التائب الصادق.

---

(١) أخرج البخاري (٦٣٠٧) من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «**والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة**».

(٢) أخرج مسلم (٢٧٠٢) من حديث الأغر المزني مرفوعًا: «**إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة**».

(٣) أخرجه أبو داود برقم (١٥١٦) والترمذي (٣٤٣٤) وقال: حديث حسن صحيح غريب، وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيح سنن أبي داود (ج٥/ ٢٤٨ برقم ١٣٥٧).

- وأن تقلع عن الذنب، تبادر إلى الإقلاع عن ذلك الذنب.

- وأن تعزم عزما أكيدا أن لا تعود إلى هذا الذنب الذي وقعت فيه وزعمت أنك تبت منه.

وفي الآية هذه: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ إذا تاب توبة نصوحة وآمن إيمانًا صادقًا، وعمل عملًا صالحًا، والعمل الصالح هو الموافق لما جاء به محمد ﷺ من كتاب وسنة، لا يكون فيه بدع، فحذار أشدّ الحذر من البدع فإن اللّٰه لا يقبلها.

فعلينا جميعًا في كلّ وقت بالتوبة النصوح ولاسيما الذي يقع في واحدة من هذه الكبائر، وعلينا بالعمل الصالح والإيمان الصادق.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾

ما هذا التبديل؟ منهم من يقول: يوفقهم اللّٰه -تبارك وتعالى- للأعمال الصالحة والحسنات فبَدَلَ أن كان يشرك باللّٰه ويقتل النفس ويزني ويسرق وكذا وكذا يوفقه اللّٰه للأعمال الصالحة؛ إلى التوحيد، إلى الاستقامة، إلى عمل جميع الخيرات، هذا معنى القول الأول: ﴿يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ يعني يوفقه اللّٰه، فبدل أن يعمل تلك السيئات أصبح بتوفيق اللّٰه يعمل الأعمال الصالحة الصحيحة، ويجتنب تلك المساوئ التي كان يمارسها.

ومنهم من يقول: بل نفس السيّئات هذه التي مارسها يجعلها اللّٰه في الآخرة حسنات، ولذلك وردت في ذلك آثار وأحاديث؛ يعني لهذا

القول شواهد من السنة ومن آثار السلف ومن تفسيرهم لهذه الآية، ومنها أنّ رسول اللّه ﷺ قال: «**إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا منها رَجُلٌ يُؤْتَى بِهِ يوم الْقِيَامَةِ فَيُقَالُ اعْرِضُوا عليه صِغَارَ ذُنُوبِهِ وَارْفَعُوا عنه كِبَارَهَا فَتُعْرَضُ عليه صِغَارُ ذُنُوبِهِ فَيُقَالُ عَمِلْتَ يوم كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا وَعَمِلْتَ يوم كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا فيقول نعم لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ وهو مُشْفِقٌ من كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ عليه فَيُقَالُ له فإن لك مَكَانَ كل سَيِّئَةٍ حَسَنَةً فيقول: رَبِّ قد عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لَا أَرَاهَا هَا هُنَا**» فَلَقَدْ رأيت رَسُولَ اللّهِ ﷺ ضَحِكَ حتى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ[1].

يعني أنه يؤتى برجل فيقول اللّه -تبارك وتعالى- له فعلت كذا، فعلت كذا، فيعترف؛ يبدي له الصغائر ويخفي عنه الكبائر فيعترف، فيقول له: إنا قد أبدلناها لك حسنات فيطمع فيقول: يا رب إن لي أعمالًا ما رأيتها، فضحك رسول اللّه ﷺ وكان الرجل خائفًا يرتجف من الكبائر هذه وأخفوها عنه، فلما بُدِّلت سيئاته إلى حسنات طمع، فقال: يا رب إن لي أعمالًا أخرى لم أرها، فيغفرها اللّه له ويتجاوز عنه.

الشاهد: أنه بدلت سيئاته حسنات والحديث صحّحه ابن كثير رَحِمَهُ اللّهُ في تفسير هذه الآية ورواه أحمد.

المهم أنّك تتوب؛ إذا تبت توبة نصوحا وعملت العمل الصالح المرتكزين على الإيمان الصادق فأبشر برحمة اللّه وفضله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وكرمه وجوده، فإنه يكرمك إكرامًا عظيمًا لأجل هذه التوبة.

---

(١) رواه أحمد في المسند (٥/ ١٧٠) و مسلم (١٩٠) من حديث أبي ذرّ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ.

وكثير من الكفار يكفرون بالله ويشركون به ويرتكبون الجرائم، فإذا تابوا إلى الله -تبارك وتعالى- صاروا من أفضل الناس وفي أعلى الدرجات عند الله بسبب هذه التوبة النصوح، قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر: ٥٣- ٥٨]

ففي هذه الآيات من سورة الزمر دعا الله -تبارك وتعالى- عباده إلى التوبة، ووعدهم بالمغفرة ثم أعقبها بوجوب الإنابة إلى الله -تبارك وتعالى-.

أمرٌ حاسم بالإنابة إلى الله -تبارك وتعالى- والمبادرة بالطاعات قبل أن يأتي وقت الندم الذي لا ينفع فيه الندم، وتأتي الحسرات التي تقطّع القلوب، ولكنها لا تغني شيئًا: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١] فبادروا إلى التوبة والفلاح.

﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾؛ هكذا يعني سنة الله في كتابه أنه يختم الآيات بصفاته الكريمة المناسبة لسياق هذه الآيات، فهنا ذكر التوبة وهي مغفرة الذنوب وتبديل السيئات إلى حسنات، فأثنى الله على نفسه وقال: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾؛ كثير

المغفرة، رحيم وسعت رحمته كل شيء، ﷻ، فلا تيأس من مغفرة اللَّه ولا من رحمته مهما وقعت في الذنوب، شريطة أن تتوب إلى اللَّه وتعمل صالحًا، وتؤمن باللَّه الإيمان الصادق، فهذه في التائبين، وبهذه التوبة يدخلون في عباد الرحمن الممدوحين عند اللَّه -تبارك وتعالى-؛ ينخرطون في صفوف هؤلاء العباد الذين وصفهم اللَّه -تبارك وتعالى- في الآيات التي سلفت: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ إلى هذا المقام، وليس ذلك بصعب على اللَّه - تعالى اللَّه عن ذلك- بل قد يتحول هذا التائب إلى أفضل من العابدين من أول حياتهم؛ لأن الإنسان إذا وقع في الذنوب وتاب توبة نصوحا، ويلازمه الندم على ما فعل، فلا يسرح ولا يمرح بل يلاحقه الحياء والخجل من اللَّه من تلك المعصية ولو تاب وآمن وعمل صالحًا.

وانظروا إلى الأنبياء ومنهم أولو العزم؛ كيف لا ينسون هذه الأخطاء التي وقعوا فيها- عليهم الصلاة والسلام- فلما تشتد الأهوال يوم القيامة على البشر في ذلك اليوم الرهيب الشديد الذي تدنو فيه الشمس حتى ما يكون بينها وبين رؤوسهم إلا مقدار ميل، قال الراوي: لا يدري أهو ميل المساحة أو ميل المكحلة؟ كما في حديث الشفاعة: «**أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون مم ذلك؟ يجمع اللَّه الناس الأولين والآخرين في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس: ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: عليكم بآدم فيأتون آدم عليه السلام فيقولون**

له: أنت أبو البشر خلقك اللَّه بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته نفسي، نفسي، نفسي اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح» فيذكر خطيئته ويقول: «نفسي، نفسي» تاب من هذه الخطيئة، أكل من الشجرة؛ يعني الشيطان حلف له وأقسم له باللَّه أنه لمن الناصحين، فاغترّ بهذا الحلف وهذه اليمين المؤكدة فأكل هو وزوجه من الجنة فعاقبه اللَّه -تبارك وتعالى- بأن أخرجه من الجنة، تاب توبة نصوحًا: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣] فتاب اللَّه عليه، واختاره نبيا، واجتباه ﷺ، واصطفاه ونبّأه تعاليم من اللَّه -تبارك وتعالى- يتعبد اللَّه بها ويبلغها لذريته -عليه الصلاة والسلام-.

خطيئة واحدة؛ أكل أكلة واحدة ما نسيها في حياته وإلى يوم القيامة، هذا هو الإيمان الصادق والحياء، الإنسان إذا انعدم الحياء منه هلك وأهلك، والعياذ باللَّه.

ثم يأتون نوحًا -عليه الصلاة والسلام-؛ أبو البشر الثاني والذي لبث ألف سنة إلا خمسين عامًا يدعو إلى اللَّه -تبارك وتعالى-، ليلًا ونهارًا وسرًّا وجهارًا - -عليه الصلاة والسلام- - يطلبون منه الشفاعة: «**فيقولون يا نوح إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وقد سماك اللَّه عبدا شكورا اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي ﷻ قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن**

يغضب بعده مثله وإنه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي نفسي، نفسي، نفسي اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم» ليس يعني انتقامًا منهم أو لشهوة في نفسه، بل اللَّه أشعره بأنهم لا يتوبون إلى اللَّه ولا أمل في توبتهم فاستحقوا من اللَّه الهلاك فأغرقهم اللَّه -تبارك وتعالى-، يَعُدُّ هذا ذنبًا - اللَّه أكبر- وهو في الحقيقة ليس بذنب، لكن مشاعر عظيمة وحياء عظيم ما نسي هذا إلى يوم القيامة.

إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- أفضل الأنبياء بعد محمد -عليه الصلاة والسلام-؛ خليل اللَّه، يطلبون منه الشفاعة فيذكر ما يسمى كذبات وهي معاريض في ذات اللَّه، يقولون: أنت أبو البشر واتخذك اللَّه خليلًا، فيقول إبراهيم: «**إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإني قد كنت كذبت ثلاث كذبات**» - فذكرهن ابن حبان في الحديث - «**نفسي، نفسي، نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى**» ويذكر ما يرى أنه خطيئة، ما نسيها، وهي للَّه وفي ذات اللَّه، وقال بعض العلماء: كذباته أحسن من صدقنا، أفضل من صدقنا، نعم -واللَّه- قال: «إني سقيم» وذهب يحطِّم الأصنام وله تأويل وهو يعني من المعاريض، وقال: هذه أختي؛ يعني زوجته، وهي أخته في الإسلام، لكن اعتبرها خطأ وكذبة وهي تعريض وهي حق وأنها أخته في الإسلام، فاعتبرها كذبة.

انظروا الأنبياء كيف ينظرون إلى أعمالهم؟! وكيف يقيِّمون هذه الأعمال، عليهم الصلاة والسلام.

موسى -عليه الصلاة والسلام- ضرب القبطي، معتد طاغ كافر آذى

مسلما من بني إسرائيل فجاء وضربه، لكن لا يريد قتله، فمات فقضى عليه، اعتبرها ذنبًا وتاب اللَّه عليه وندم في الدنيا وكذا، لكن يذكرها خطيئة ويجعلها عذرًا في عدم تصدِّيه للشفاعة؛ كيف أشفع وأنا فعلت كذا؟! «**فيقول إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإني قد قتلت نفسًا لم أومر بقتلها نفسي، نفسي، نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى عيسى**»[1] كيف أشفع في هذه الأمم وأنا الذي فعلت كذا وكذا، -عليهم الصلاة والسلام-.

فهل منا من يحاسب نفسه؛ على أكبر من هذه الأعمال، هذه لو كانت لنا لكانت حسنات، لعددناها من الحسنات!

فلابد أن يستحي الإنسان من ربه ﷻ؛ لأن اللَّه رقيب، مطلِّع على حركات الجوارح وخطرات النفوس، لا تخفى عليه خافية، لو تنزل تغوص في الأرض آلاف الكيلومترات وتعمل هناك في ظلمات الأرض مثقال ذرة من السيئات يراك اللَّه ويطلِّع عليك، كيف يا أخي تمارس المعاصي وتسرح وتمرح، لا خجل ولا حياء من اللَّه -تبارك وتعالى- ولا مبالاة، وتجد بعض الناس يكذب ويفتري ويقذف، ويغتاب ويفعل ويفعل ولا يحسّ بوخزة واحدة في ضميره، أين الإيمان؟! أين المشاعر النبيلة؟!

فأنا يا إخوة أنصحكم للَّه -تبارك وتعالى- أن تستحوا من اللَّه

(١) حديث الشفاعة أخرجه البخاري برقم (٤٧١٢) ومسلم برقم (١٩٤) من حديث أبي هريرة.

-تبارك وتعالى-، وأن تحترموا تعاليمه وأن تقبلوا على كتاب اللَّه، تتدبرون فتعتقدون ما فيه من عقائد وتعملون بما فيه من الأعمال، وكذلك سنة رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام-؛ فإن السلف الصالح كانوا يتعلمون ويعملون، والرسول -عليه الصلاة والسلام- كان يربي الصحابة على العلم والعمل؛ يعلمهم القرآن عشر آيات عشر آيات فقط لا يتجاوزوهن إلا بعد أن يعلموا معانيها ويعملوا بها؛ فيعلمهم رسول اللَّه العلم والعمل.

فعلى المسلم أن يقرأ القرآن بهذه الروح الصادقة العازمة على التعلم وإدراك مرامي القرآن ومقاصده ليعمل، ويستعين على هذا العلم والعمل بسنة رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام-.

فإن السنة هي المبينة لكثير من مقاصد القرآن؛ تخصِّص عموماته وتقيد مطلقاته، وتبين مبهماته، فلا بد من الربط بين السنة والكتاب ثم العمل؛ نقرأ سيرة الرسول الكريم -عليه الصلاة والسلام-؛ ماذا كان يعمل -عليه الصلاة والسلام-؟ كيف صلاته؟ «**صلّوا كما رأيتموني أصلي**»(١) -عليه الصلاة والسلام-، الصيام كيف كان يصوم؟ ماذا يصنع في شهر الصيام -عليه الصلاة والسلام-؟ كان يجدّ ويشد مئزره ويوقظ أهله في العشر الأواخر -عليه الصلاة والسلام- وهو الذي غفر اللَّه له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وهو أخشى الناس وأتقاهم للَّه، ثم يأتي بعض الناس يتقالّون عمل رسول اللَّه يقولون: قد غفر اللَّه له من

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣١).

ذنبه ما تقدم وما تأخر؛ يريد أن يقيم الليل ويصوم النهار، فيقول: «**والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له**»[1] هو أشد الناس خوفًا من ربه -تبارك وتعالى-، وأتقى الناس لله وأعلمهم بالله عَزَّ وَجَلَّ -كما في رواية أخرى- -عليه الصلاة والسلام-، فندرس سنته، ندرس القرآن وسنته وسيرته وتطبيقه، وسيرة خلفائه الراشدين المهديين رضوان الله عليهم.

هذه الأمور تساعدنا على أن نكون إن شاء الله من العلماء العاملين، أسأل الله -تبارك وتعالى- أن يوفقنا وإياكم وأن يجعلنا وإياكم من عباده المخلصين ومن أهل العلم العاملين، إن ربنا لسميع الدعاء وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٠٦٣) من حديث أنس.

المجلس الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

ففي الليلتين الماضيتين كنا قد فسرنا آيات كريمة من سورة الفرقان، وهي الآيات التي وصف اللَّه بها عباد الرحمن، وهذه الصفات يجب علينا أن نتحلى بها، حتى يرضى عنا ربنا ﷻ؛ منها الواجب، ومنها المستحب، فلنحرص على هذه الواجبات وهذه المستحبات ولنتجنب ما ينافي هذه الصفات:

﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾ [الفرقان: ٦٣ - ٧١].

شرحنا هذه الآيات إلى هنا، ونعيد قراءتها لنذكركم بها.

فقوله تعالى: ﴿يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾؛ يقبل اللَّه ﷻ توبته، واللَّه

يقبل توبة التائبين، ويفرح بتوبة التائبين ﷻ؛ لأنه أرحم الراحمين، وأرحم بعباده من الوالدة بولدها، ويفرح بالتوبة أشدّ الفرح، فعن أنس بن مالك قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لَلَّهُ أشدُّ فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينا هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللَّهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح**»[1]، هذا فرح لا يلحقه فرح، وفرح اللَّه بتوبة عباده أشد من هذا الفرح.

اللَّه يفرح بتوبتك ويرحمك ويقبل توبتك ثم لا تتوب؟! يعني تعامل ربك بأسوإ الأخلاق؟! فَتَعَامل معه تعامل العبد الكريم مع سيده الكريم، العبد الحر الشريف النبيل؛ فإنك تراعي مشاعر الناس وتتحاشى كثيرًا من الإساءات إليهم، فاللَّه ﷻ كيف لا تتحاشى معاصيه والإساءة إليه ﷻ؟! وهذه رحمته بك وفرحه بتوبتك فإن استزلك الشيطان فوقعت في خطأ، في معصية كبيرة أو صغيرة، فبادر بالتوبة إلى اللَّه -تبارك وتعالى-.

والتوبة إلى اللَّه هي أن تندم أشد الندم على ما ارتكبت من الذنب أو الذنوب؛ تتحسر، تندم، تخاف عقوبة اللَّه -تبارك وتعالى-، تستشعر جلال اللَّه وعظمته الذي تعصيه، فتدفعك هذه الأحاسيس إلى الإقلاع عن الذنب والشرط الثاني؛ تُقلع عنه، والثالث: تنوي ألَّا رجعة

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٤٧).

ولا عودة إلى هذا الذنب أبدا، تعزم على ذلك أشد العزم؛ العزم الأكيد أنك لا تعود إلى هذا الذنب؛ فهذه شروط التوبة:

الندم، ثم الإقلاع عن الذنب، ثم العزم على أن لا تعود.

وإذا كان الذنب لمخلوق فعليك بعد هذه الثلاثة أن تستحله، إن كنت قد وقعت في عرضه تستحله، وإن كنت أخذت ماله فتعيد إليه ماله أو يعفو عنك.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا﴾

هؤلاء والله هم الكرام؛ لا يشهدون الزور؛ فُسِّر شهود الزور بمعنى حضوره، وفُسِّر بعبادة الأوثان والأصنام، فسِّر بالكفر والبغي والمعاصي وغيرها، وفُسِّر بعدم حضور الغناء، وفُسر بعدم شهود مجالس السوء؛ مثل شرب الخمر وغيره من المعاصي والقمار وما شاكل ذلك، ولعل الآية تتناول هذه الأشياء كلها، فُسر أيضًا بشهادة الزور وهي الكذب على الغير، وبهته بما ليس فيه، فهم ليسوا من هذا النمط، ولا من هذا النوع الذين يقذفون الناس بما ليس فيهم؛ يعني شهادة الزور أن تقول في غيرك الباطل، هذه شهادة الزور والرسول -عليه الصلاة والسلام- اعتبر شهادة الزور من أكبر الكبائر، فالمعاصي فيها كبائر، وكبائر الكبائر ومنها شهادة الزور؛ قد تؤدي شهادة الزور إلى سفك الدماء، إلى هتك الأعراض، لها مضار وعواقب وخيمة جدًا، لهذا اعتبرها رسول الله ﷺ من أكبر الكبائر، ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠] سواء شهادة الزور أو قول الزور بالكفر والشرك أوالبغي والعدوان والغيبة والنميمة

وما شاكل ذلك.

قرن ﷻ الزور بالنهي عن عبادة الأوثان لشدة خطره، وفي حديث أبي بكرة رضي الله عنه، قال رسول اللَّه ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟!» قلنا: بلى يا رسول اللَّه قال: «**الإشراك باللَّه وعقوق الوالدين**» - وكان متكئًا فجلس -فقال: «**ألا وقول الزور وشهادة الزور ألا وقول الزور وشهادة الزور**»[1] لخطورتها وفسرت الآية بهذه الأمور، وفسِّرت بما فسرت به من الأقوال التي ذكرناها لكم، فلا هذا ولا هذا؛ لأنهم عباد الرحمن ولأنهم شرفاء كرماء نبلاء، فلا يتعاطون شيئًا من ألوان الزور أبدًا؛ لأنهم عباد الرحمن وصفوا بهذه الصفات النبيلة التي أثنى اللَّه -تبارك وتعالى- عليهم بها، فكونوا عباد الرحمن وكونوا إخوانًا في اللَّه - تبارك وتعالى- على عبادته وطاعته ومرضاته ﷻ.

﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا﴾

يسمعون السفه والطيش والسب والشتم واللغو الفارغ يمرون مرّ الكرام كأنهم لم يسمعوا: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ كما في أول هذه الآيات؛ إذا مر على لعب ولهو أو كذا يمر مر الكرام، إن كان يستطيع إنكاره غيَّره، بيده إن كان مستطيعًا ذلك، أو بلسانه أو بقلبه، فهذه من صفات عباد الرحمن فتحلَّوْا بها؛ يعني إذا سمعت اللغو والسفه ورأيت اللغو والكلام الفارغ فاربأ بنفسك عن التنازل لمجاراة السفهاء؛ لا تلعب معهم، ولا تدخل معهم في سباب وشتائم؛ لأنك

(١) رواه البخاري برقم (٥٩٧٦) ومسلم برقم (٨٧).

قريب من عباد الرحمن وهذه إضافة عظيمة جدًّا حافظ عليها .

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾

الكافر والمغرق في البدع والهوى يسمع آيات اللَّه تتلى عليه فيصر مستكبرًا كأن لم يسمعها!! الكافر كافر إلا من أراد اللَّه له الهداية، والمبتدع قد يقع في هذا البلاء فتتلو عليه الآيات والأحاديث وكلام العلماء الراسخين فيعاند ويكابر، أصم أبكم كأنه لم يسمع وكأنه لم يبصر سلبت منه هذه الحواس؛ حواس الإدراك، فلا يفقه، ولا يقبل النصيحة والموعظة! بخلاف عباد الرحمن الذين وصفهم اللَّه في آيات كثيرة ومنها قوله -تبارك وتعالى- : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢- ٤]

فهذه أيضًا من صفات عباد الرحمن؛ المؤمنون الكاملو الإيمان إذا تليت عليهم آيات اللَّه زادتهم إيمانًا، لا يخرّون عليها صمًّا وعميانًا كما يفعله الكفار الأجلاف وأهل البدع الأجلاف أيضا؛ كثير من أهل البدع تُقرأ عليهم الآيات في أبواب التوحيد وأبواب الأحكام والحلال والحرام التي يقعون في مخالفتها، وآيات الوعيد فلا يرفعون بذلك رأسًا ولا يستفيدون، ولو كان أهل البدع ممن إذا ذُكِّر بآيات اللَّه يتذكّر ويتّعظ ويزداد إيمانًا لـمَا بقيَت هذه البدع ولما بقي عليها أهلها قرونًا متطاولة.

فالمعتزلي مستمّر على اعتزاله، والرافضي مستمر على رفضه،

والخارجي مستمر على خارجيته، والصوفي الغالي مستمر في غلوه، وقد يشتركون في كثير من الضلالات، والمرجئ على إرجائه وكل قبوري على قبوريته.

تُقرأ عليهم الآيات وتتلى عليهم الأحاديث وتبين لهم أقوال العلماء فيستمرون على بدعهم، ما السر؟! إنهم يمرون عليها صمًّا وعميانًا، ليسوا من نوعية عباد الرحمن الذين إذا ذُكِّروا يتذكرون، وإذا وُعِظوا يتَّعظون، وإذا تليت عليهم آيات اللَّه زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون، ويعملون سائر الأعمال الصالحة التي ذكرت في هذه الآيات من سورة الأنفال، والتي ذكرت في كثير من آيات القرآن الكريم ومنها هذه الآيات التي نتحدث عنها الآن من سورة الفرقان.

فاحرصوا على أن تستسلموا وتنقادوا وتتصفوا بصفات المؤمنين، وصفات عباد الرحمن فإذا كنت على خطأ فارجع، وإذا كنت على صواب فازدد إيمانا: ﴿وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾ وإياك ثم وإياك أن تتشبه بالكافرين الجاحدين، أو بالمبتدعين الضالين المعاندين، اتصف بصفات المؤمنين.

واللَّه إن بعض السلفيين أو المتسلفين ينحرف في جزئية أو كلية ثم تتلى عليه الآيات والأحاديث وأقوال العلماء فلا يرجع، فيصبح أسوأ من أهل البدع، يصبح أسوأ وأفجر وأخبث من أهل البدع؛ لأن فيه شبها بالمرتدين، المرتد عرف الإسلام وعرف الحق ثم انحرف عن الإسلام وارتد عنه، فهو أقبح وأخبث من الكافر الأصلي، وهذا الذي كان سلفيا ثم انحرف يكون أقبح من المبتدع الأصيل، وأشد عنادًا

ويدخل في الكذب والبهتان في محاربة الحق وأهله!!

ونحن نعيش من سنوات مع أناس يلبسون لباس السلفية وهم أكذب وأفجر من أهل البدع والعياذ باللَّه! ويقعون في كذب يخجل منه اليهود والنصارى؛ هؤلاء فيهم شبه بالمرتدين الذين عرفوا الحق ونابذوه وحاربوا أهله، وأخشى أن بعضهم يقع في الردة والعياذ باللَّه، لأنه عرف الحق وحاربه وأبغضه - والعياذ باللَّه- وأبغض أهله وحاربهم، فهذا الآن يجري في أناس يرفعون عقيرتهم بأنهم من السلف وهم أسوأ من الخلف، وأحطّ أخلاقًا، فاحذروا هذه الأصناف وحذِّروا منها.

تنصحه بالرجوع إلى الحق وتأتي له بأقوال العلماء وأحكامهم المعضّدة بالأدلة والبراهين، فيطعنون فيهم ويسقطونهم، يُسقِط الحق وأهله، ويُسقِط الأدلة والبراهين ويتشبّث بأباطيله. فاحذروا من هؤلاء أشدّ مما تحذرون من أهل البدع، وحذِّروا منهم فإنهم قد سلكوا أنفسهم في شرّ أنواع أهل البدع - والعياذ باللَّه -.

ونحن نسأل ونطلب من المخدوعين بهذه الأصناف الرديئة أن يتّقوا اللَّه في أنفسهم ويتحلّوا بأخلاق المؤمنين وأخلاق عباد الرحمن؛ فلا يصيرون عن الحق صمًّا وعميانًا: ﴿صُمٌّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١].

فهؤلاء المخدوعون مُقلِّدون تقليدا أعمى، تقليدًا مذمومًا قبيحًا جدًّا، لا يُعذَرون فيه؛ لأنهم يسمعون الحق وأدلته وبراهينه، فيستمرون في هذا التقليد الباطل الذي يشبه تقليد الكفار؛ هؤلاء يقولون يوم القيامة: ﴿رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ٦٧ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ

ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٧- ٦٨] وآيات كثيرة وأحاديث في ذمّ هذا التقليد الخبيث.

هناك تقليد يُعذَر فيه الجاهل؛ يريد الحق فلا يعرفه فيقلد عالما تقيًا صالحًا مستقيمًا؛ لا يقلِّد الفجار، تقليد الفجار لا عذر فيه، وإنما تبحث عن العالم التقي النزيه وأنت جاهل فتسأله امتثالا لقول اللَّه - تبارك وتعالى-: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، فهو حريص على الحق ويتحرّى المسؤولين؛ من يسأل؟! لا يسأل رافضيًّا، ولا خارجيًّا، ولا فاجرًا، ولا، ولا، يذهب إلى العالم بالذكر بكتاب اللَّه وسنة رسول اللَّه فيسأله؛ لأنه يريد الحق فيجيبه العالم آخذًا حجته من كتاب اللَّه ومن سنة الرسول -عليه الصلاة والسلام-، أو يجتهد في المسألة حسب طاقته هذا يُعذَر، أما الذي يتبع هواه ويقلِّد من يوافق هواه فهذا ليس بمعذور.

فهذا من صفات عباد الرحمن أنهم إذا ذُكِّروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صمًا وعميانًا بل يتقبلونها ويبكون عندها وتقشعِّر جلودهم عند ذكرها، وتطمئنّ قلوبهم بذكرها: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]؛ تنشرح الصدور، وتطمئن القلوب وتقشعر الجلود ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣] فكونوا من هذه الأنماط الكريمة الرفيعة؛ لأن اللَّه أكرمك بالإسلام، فكن كريمًا وفي أخلاقك مع الناس كريمًا، وفي أخلاقك مع رب العالمين أكرم وأكرم، وأطوع للَّه ﷻ، وأكثر انقيادًا له ﷻ.

فمن صفات الكافرين وأهل البدع المعاندين الذين يسمعون الآيات

والأحاديث والمواعظ والزواجر فيخرّون عليها صمًّا وعميانًا -والعياذ بالله-.

ثم يقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾

هم على هذه الصفات الكاملة الجميلة وعلى هذه الأخلاق العالية ويطلبون هذا لغيرهم، يريدون الخير أن يعمّ، وأن يبدأ هذا الخير بأسرتهم، فهو لا يرضيه ولا تقرّ عينه أن يرى أسرته واقعة في الانحراف وفي المعاصي، بل يطلب من اللَّه -تبارك وتعالى- أن يهب: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ لا تقرّ أعين هؤلاء المؤمنين عباد الرحمن إلا بمن يطيع اللَّه -تبارك وتعالى-، ويستقيم على دينه عقيدة ومنهجًا، ولا تقرّ عينه أبدا ولا تكتحل براحة إن رأى من أهله من يعصي اللَّه -تبارك وتعالى-، أو ينحرف في عقيدته ومنهجه؛ لا يستريح لذلك، قرة عينه في ما يرضي اللَّه -تبارك وتعالى-، فيطلب من اللَّه ﷻ أن يقر عينه بإيمان واستقامة أقاربه وأسرته، ومع ذلك يدعو إلى اللَّه -تبارك وتعالى-، ونحن نأخذ صفاتهم لا من هذه الآيات فقط؛ نأخذها من القرآن الكريم ومن سنة النبي -عليه الصلاة والسلام-، فلهم صفات عظيمة جدًا: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٣- ٣٤]؛ فهو يدعو إلى اللَّه -تبارك وتعالى- ولا أحسن من الداعي إلى اللَّه، ولا يدعو إلى اللَّه إلا عباد الرحمن الصادقون المخلصون، ويقول

تعالى فيهم: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]؛ هذه من صفاتهم، هذه من صفات عباد الرحمن، من صفات المؤمنين الكاملين، لا يقرّون المنكرات، ويحاولون إزالتها بقدر ما يستطيعون؛ لأن الذي يقرّ على المنكرات هم اليهود ومن شابههم فاستحقوا من اللَّه اللعنات: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨- ٧٩]؛ استحقوا من اللَّه اللعنات على ألسنة النبيين الكريمين، وسائر الأنبياء لا يخالفونهم؛ لا يخالفونهم أبدا، فإذا رأيت منكرا فكما أمر النبي ﷺ: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**»(١) وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه: أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**ما من نبي بعثه اللَّه في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل**»(٢).

(١) رواه أحمد في مسنده (٣/ ٢٠) ومسلم برقم (٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) أحمد في مسنده (١/ ٤٥٨) ورواه مسلم برقم (٥٠).

والجهاد ليس شرطًا أن يكون بالسيف؛ الجهاد يكون باللسان، بالقلم، بالبيان، بإقامة الحجة، وهذا جهاد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقد يستطيع أن يجاهد فيغيِّر بيده، وقد يكون من هؤلاء الخلوف مرتدِّين وعنده قوة وعنده دولة وعنده شوكة فيجاهدهم كما جاهد شيخ الإسلام التتار، وجاهد الإسماعيلية الباطنية، وجاهد غيرها بالسيف، فقد يكون هؤلاء الخلوف مرتدِّين: «**من بدّل دينه فاقتلوه**»[1] فمن عنده سلطة وقوة وشوكة يجاهدهم، يقاتلهم ويقتلهم؛ إذا امتنعوا عن الزكاة، امتنعوا عن الصوم، امتنعوا عن الصلاة يجاهدهم؛ لأن بالإجماع إذا امتنع قوم من شعيرة من شعائر الإسلام فعلى من يمتلك القدرة من السلطان أن يجاهدهم، هذا يدخل في تغيير المنكر وهو من صفات المؤمنين الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

فكثير من الناس قد يمرّ بالمنكر فلا يحرك فيه ساكنًا، وقد يحب أهل هذا المنكر ويشاركهم فهذا يقال فيه: ليس وراء ذلك مثقال ذرة من إيمان -والعياذ باللَّه-، فإياك إياك أن تكون من هذه الأصناف.

ثم يقول تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا﴾

الغرفة هنا مفرد ولكن يراد به الجنس يعني الغرف، وفي ما قبلها: ﴿وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ يعني داعية؛ يعني إماما للمتقين، فسرها

---

(١) رواه أحمد (١/ ٢١٧) والبخاري برقم (٦٩٢٢).

البخاري[1] قال: اجعلنا أئمة نقتدي بغيرنا ويقتدي بنا غيرنا- أو كما قال البخاري رحمه اللَّه تعالى -؛ يقتدي بمن سلف من الأئمة فيدعو اللَّه أن يجعله قدوة وإمامًا؛ إمامًا يعني أئمة؛ لأنهم هم جماعة ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ يعني أئمة، فالمؤمن يدعو، ويتمنى أن يرزقه اللَّه العلم النافع والعمل الصالح وأن يكون من عباد اللَّه الصادقين المخلصين الذين وصفهم اللَّه بهذه الصفات، ويتمنى أن يكون إمامًا في الخير لا في الشر، أن يكون قدوة حسنة للناس ينشر فيهم العقائد الصحيحة والمناهج الصحيحة ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويتحمل الأذى في سبيل اللَّه -تبارك وتعالى-؛ لأن الأنبياء أئمة الناس وهداتهم وقادتهم ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويدعون إلى اللَّه ويجاهدون في سبيل اللَّه الى آخره، ويلقون من الأذى ما لا يعلمه إلا اللَّه -تبارك وتعالى-، فإمامًا حتى في الصبر على الأذى، إمامًا في التزام الحق، إماما في مواجهة الباطل، فإماما في الصبر على مواجهة الباطل والمنكرات؛ والمنكرات فيها الشرك، فيها الضلال فيها الخلاعة والانحراف، فيكون إماما للناس في كل ميدان من ميادين الخير:

﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ۝٧٤ أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا﴾ الغرفة: الجنة؛ غرف الجنة، والغرفة هنا

---

(١) في صحيحه كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول اللَّه ﷺ ورواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٩/ ٣٢٠- شاكر) عن مجاهد.

بمعنى الغرف.

ولأهل الجنة غرف فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم**»، قالوا: يا رسول اللَّه تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم، قال: «**بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا باللَّه وصدقوا المرسلين**»[1].

المهم أن اللَّه -تبارك وتعالى- وصف عباده بهذه الصفات الكريمة، وتحدث عن جزائهم؛ تحدث عن جزائهم الذي ادخره اللَّه -تبارك وتعالى- لهم بما كانوا يعملون: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢]، ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ۝٧٣ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾ [الزمر: ٧٣- ٧٤] -تبارك وتعالى-.

آيات كثيرة تحدَّث اللَّه فيها عن جزاء عباده المؤمنين، آيات كثيرة وكثيرة ومنها أنهم تتلقاهم الملائكة بالبشارة والسلام والثناء كما في الآية التي تلوناها من سورة الزمر، وهنا قال: ﴿وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا﴾، وقال في آيات أخرى: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ۝٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣- ٢٤] فيحيون بعضهم بعضًا وتحييهم الملائكة ويسكنهم اللَّه الغرف العالية؛ يستحقونها؛

---

(١) رواه البخاري (٣٦٥٦) ومسلم (٢٨٣١).

لأنهم عباده ﷻ.

فاحرصوا أشدّ الحرص أن تكونوا من عباد الرحمن الذين وصفهم اللَّه بهذه الصفات الكريمة، النبيلة، وكافأهم في الدار الأخرى بهذا الجزاء العظيم، بالإضافة إلى الغرف نعيم لا يعلمه إلا اللَّه -تبارك وتعالى-: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]، قال سهل بن سعد رضي الله عنه: شهدت من رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام- مجلسًا وصف فيه الجنة حتى انتهى ثم قال ﷺ في آخر حديثه قال: «**فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر**»، ثم اقترأ هذه الآية: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾(١) -[السجدة: ١٦- ١٧]-.

فليكن هدفك مرضاة اللَّه -تبارك وتعالى-، وليكن أهم ما عندك أن تكون من عباد الرحمن المتحلِّين بهذه الفضائل وهذه المزايا يكرمك اللَّه -تبارك وتعالى- بما وعد به المؤمنين، ومنها ما وعدهم به في الآيات التي تلوناها عليكم.

أسال اللَّه -تبارك وتعالى- أن يجعلنا وإياكم من عباد الرحمن المتواضعين للَّه، المطيعين له المتحلّين بالأخلاق والأعمال التي يحبها اللَّه ويرضاها، إن ربنا لسميع الدعاء.

وفقنا اللَّه وإياكم لما يحبه ويرضاه.

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٣٣٤) والبخاري (٣٨٢٥) ومسلم (٢٨٢٤).

قام بتفريغ هذه المادة وعرضها على الشيخ ربيع
-حفظه اللَّه تعالى- أخوكم فواز الجزائري
-غفر اللَّه له ولوالديه-
في: ١٩/ ٢/ ١٤٢٨هـ.
- مكة حرسها اللَّه وسائر بلاد المسلمين -

* * *

وصايا لقمان الحكيم لابنه

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى :

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٣-١٧].

فقد أحببت أن نتأمل في هذه الآيات العظيمة التي جمعت بين العقيدة والعبادة والأخلاق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ من أعظم الآيات التي ينبغي أن نتدبرها ونستفيد منها عقيدةً وعبادةً وأخلاقًا؛ لأننا نتعلم العلم لنعمل ولنتخلق بما نعرفه من كتاب الله ومن

سنة رسول اللَّه وسيرته ﷺ.

فاللَّه -تبارك وتعالى- يذكر نعمته على لقمان- لقمان الحكيم - مشهور بهذا الوصف لا يُذكر إلا ويقال: لقمان الحكيم؛ لأن اللَّه شهد له بأنه قد آتاه الحكمة، وحيث آتاه اللَّه الحكمة فعليه أن يشكر اللَّه - تبارك وتعالى-، ووضع اللَّه ﷻ قاعدة فقال سبحانه: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ لأن الفائدة تعود عليه، فاللَّه غني حميد، إن شكره الناس فلأنفسهم، وإن كفروا فعليهم، لا يفيده شكرهم، ولا يضره جحودهم وكفرهم كما مر بنا غير مرة ومنها ما ذكرناه في حديث أبي ذر رضي الله عنه: «**يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضرِّي فَتضروني ولَن تبلغوا نفعي فتنفعوني**»[1].

فهذه القاعدة موجودة في الكتاب والسنة ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت ٤٦].

أثنى اللَّه على لقمان بأن اللَّه قد وهبه الحكمة، وذكر هذه القاعدة العظيمة ثم بين بعض الحكمة التي آتاها اللَّه لقمان: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾، الحكمة هي وضع الشيء في موضعه، وهذه من حكم لقمان ومن كل داعية حكيم يضع الأمور في مواضعها، والأنبياء كلهم علماء حكماء ويضعون الأمور في مواضعها، ويسيرون في دعوتهم على أساس هذه الحكمة، ويربون الناس على أساس هذه الحكمة.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧) وهو قطعة من الحديث القدسي المشهور أوله: «**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي...**».

فمن الحكمة أن تبدأ بأهم الأمور فأهمها ؛ كما في حديث معاذ الذي هو بيان من رسول اللَّه ﷺ لمنهج الدعوة إلى اللَّه -تبارك وتعالى- قال ﷺ: «**إنك تأتي قوما أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا اللَّه**». . . ثم ذكر الصلاة والزكاة(١)، لقمان كذلك يعني دعا ابنه إلى التوحيد ونهاه عن الشرك، ثم بعد ذلك جاء أمره بالصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذا من الأدلة على حكمته.

ومن الحكمة أن تسير على منهج الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- في دعوة الناس وتربيتهم على دين اللَّه؛ تبدأ بالأهم فالأهم.

فلا شك أن العقيدة والتوحيد وتطهير العقول والمجتمعات من الشرك هذا هو الأساس الأصيل الذي لا يجوز أن يُبدأ بشيء قبله، والذي يتجاوز هذا المنهج ويخترع مناهج تخالف هذا المنهج فقد ضل سواء السبيل.

﴿لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ لا أعظم من الشرك باللَّه -تبارك وتعالى-؛ لأنه ذنب لا يغفر قال -تبارك وتعالى- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ وقال -تبارك وتعالى-: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾، قال لقمان رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

عن عبد اللَّهِ رضي الله عنه قال: لَمَّا نَزَلَتْ هذه الآيَةُ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ شَقَّ ذلك على أَصْحَابِ النبي ﷺ وَقَالُوا: أَيُّنَا لم يَظْلِمْ

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٣٣) والبخاري (١٣٩٥) ومسلم (١٩).

نَفْسَهُ؟! فقال رسول اللَّهِ ﷺ: «**ليس كما تَظُنُّونَ إنما هو كما قال لُقْمَانُ لابنه: يا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**»(١).

فبين لهم أن المراد بالشرك إذا أطلق إنما هو الشرك الأكبر، والكفر العظيم الذي يستحق صاحبه غضب اللَّه الشديد وتعذيبه الخالد المؤبد؛ ذنب لا يغفر ولهذا قال لقمان لابنه: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

ثم قال اللَّه -تبارك وتعالى- كلامًا معترضًا أثناء وصايا لقمان الحكيم لابنه، واللَّه -تبارك وتعالى- في عدد من الآيات يقرن حقّ الوالدين بحقّه؛ فتأتي الوصية بحق اللَّه -تبارك وتعالى- ثم يعقبها الوصية بحق الوالدين في عددٍ من الآيات كما في قوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ وقوله سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ﴾.

وهنا ذكر وصية لقمان لابنه وعقبها بقوله: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾.

وَصَّاهُ بحقِّ والِدَيْه أنْ يُحسن إليهما، وبين الأسباب التي تُحَتِّمُ عليه أن يشكر لهما ويعرف حقهما، أشار إلى ماذا تعاني الأم التي أوصاك اللَّه بالإحسان إليها ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ يعني: ضعفًا على ضعف؛ هي ضعيفة البنية وتزيدها آلام الحمل ومشاكله ومشاقّه من الغثيان ومن الدوران ومن الوحم -كما يسمونه- إلى آخره، آلام

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٦٩٣٧) ومسلم برقم (١٢٤).

ومشقَّات، وبعد هذا آلام الوضع قال تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ مَشقة وتَعب وأخطار وقد تموت، ثم بعد ذلك تربيك وتسهر عليك، ويُحَوِّل اللَّه دمها إلى حليب لترضعه منها، وخير شيء لتربية الولد ونمو جسمه أن يرضع من لبن أمه؛ حمل وولادة؛ حمل على كره وعلى ضعف وعلى مشقَّات، والولادة كذلك، وبعد ذلك التربية والحضانة والرعاية وسهر وتعب وبكاء وآلام فعليك أن تكافئها، ولهذا قرن اللَّه شكرهما بشكره ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾.

إن لم تقم بحق اللَّه وشكره وشكر والديك فسوف يعاقبك على عدم القيام بحق اللَّه وبحق الوالدين أو التقصير في أيهما.

وقوله تعالى: ﴿وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ هذا فيه وَعيد، وسيُحاسِبُك على ما قدمت في هذه الحياة؛ هل قمت بشكر اللَّه؟ هل قمت بالواجبات التي شرع اللَّه ومن أهمها بعد حق اللَّه وحق رسوله: حق الوالدين؟ حق الوالدين! واللَّهِ من ورائك حساب إن لم تعامل أبويك وتقم بحق اللَّه وحق والديك من الشكر فإن اللَّه ما خلقك سدًى ولا هملًا، وإنما خلقك لتعبده وتقوم بأوامره وتبتعد عن معاصيه، ومن أوامره: أمره إيَّاك بالقيام ببر والديك بعد القيام بحقه ﷻ، واللَّه لا يضيع مثقال ذرة ولا يظلم مثقال ذرة.

قال اللَّه -تبارك وتعالى- بعد ذلك: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ﴾.

إذا أمراك بمعصية اللَّه؛ كبيرة كانت أم صغيرة، وعلى رأس

المعاصي الشرك بالله فلا تطعهما، فليس لهما أي حق أن يأمراك بمعصية الله شركا كان أو غيره قال ﷺ: «**لا طاعة لمخلوق في معصية الله**»(١) فإن أعاناك على طاعة الله ووجّهاك وربّياك التربية الصحيحة فهذا لهما، وإن انحرفا وجاهداك واجتهدا على أن تدخل في الشرك بالله ﷻ وتقع فيه فلا طاعة لهما، ولكن لا يسقط برهما ولو جاهداك وآذياك لتكفر بالله ﷻ فعليك أن لا تنسى حقهما، وقوله سبحانه: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ أي: تُحسن إليهما وتبرهما وتنفق عليهما ولو كانا كافرين، وتبرهما في غير معصية الله؛ تخدمهما والمطالب التي يطلبانها منك عليك أن تقوم بها، وهذا من المعروف؛ كل ما يطلبانه مما ليس بمعصية فعليك أن تقوم به.

فحق الوالدين لا يسقط، ولو وقعا في بدعة، ولو وقعا في الشرك، فإنه لا بد أن تصاحبهما في الدنيا معروفا.

ثم عليك أن تتبع سبيل من أناب ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ ترجع إلى الله -تبارك وتعالى- وتطيعه وتعبده متبعا سبيل المنيبين إلى الله من الأنبياء وأتباعهم من العلماء الناصحين وعباد الله الصالحين؛ تقوم بحق الله -تبارك وتعالى- وحقوق العباد فإن هذا سبيلهم؛ سبيل من أناب أن يقوموا بحقوق الله وحقوق خلقه؛ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله، وأمور أخرى يراها هذا المنيب

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٢٥٧) ومسلم برقم (١٨٤٠) وأحمد (٢٠٦٧٥) واللفظ له من حديث علي رضي الله عنه.

إلى اللَّه -تبارك وتعالى- .

يعني في التوحيد وفي العبادة وفي الأخلاق وفي كل ما جاءت به الشرائع من الخير وما نهت عنه من الشر ومن ذلك الشرك باللَّه -تبارك وتعالى- ومحادَّة الرسل ومخالفتهم؛ هذا هو المنيب الرجَّاع إلى اللَّه؛ إن أذنب يتوب إلى اللَّه توبة نصوحا، ويتبع أحسن الحديث وهو ما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام المشتمل على التوحيد ومحاربة الشرك والاستسلام للَّه رب العالمين في كل ما يأمر به وينهى عنه .

ثم قال سبحانه : ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ مرجع الناس جميعا إلى اللَّه -تبارك وتعالى- وسيحصي عليهم كل شيء وينبئهم به، ومن ذلك هل قام الولد ببر أبويه؟ وهل استقام الأبوان على دين اللَّه الحق؟ وسيحاسبهما اللَّه على ما كان يأمرانك به من الشرك .

فالمرجع إلى اللَّه ﷻ وسينبئ العباد؛ الخلق كلهم مرجعهم إلى اللَّه، وسوف يسأل اللَّه كل المخلوقين؛ كل بني آدم، بل الجن والإنس سوف يسألهم كما قال -تبارك وتعالى- : ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ [الأعراف ٦-٧] .

هناك ينصب اللَّه تعالى الموازين، فتوزن أعمال العباد إن خيرا فخير وإن شرا فشرّ، ويأتي بمثاقيل الذر في هذا الحساب الدقيق الذي أحاط اللَّه منه بكل ذرة من ذراته؛ من الأعمال الصالحة والسيئة، ﴿فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي أنبئكم بالأعمال والعقائد؛ العقائد الصحيحة في

ميزان الحسنات والعقائد الفاسدة في ميزان السيئات، الأعمال الصالحة في كفة الحسنات والأعمال الطالحة في كفة السيئات.

ويُعطي الله ﷻ كل واحد كتابه إما بيمينه أو بشماله كما ذكر في سورة الحاقة: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة: ١٩- ٣٢].

بعد هذا استكمل الله تعالى وصية لقمان ووعظه لابنه فقال: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾.

دعاه إلى التوحيد وبيّن له علم الله وعظمته وقدرته؛ علمه الذي أحاط بكل شيء في السماوات وفي الأرضين، وأن الله لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين، فهذا العلمُ علمه الأنبياء؛ كل الأنبياء يعرفون هذا ويلقنون الناس هذه العقائد، وهذا مما تلقاه لقمان من النبوات، ويُذكر أنه كان معاصرا لداود -عليه الصلاة والسلام-، بعد رسالة نوح وهود وصالح وإبراهيم وموسى والأنبياء بعد موسى -عليه الصلاة والسلام- إلى داود، فهذه الأمور موجودة عندهم: الأمر بتوحيد الله ووصف الله بصفات الكمال، ومنها قدرته على كل شيء؛ لا يعجزه شيء في

الأرض ولا في السماء صغيرًا كان أو كبيرًا ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ .

وإن اللَّه أحاط بكل شيء علمًا وأن العباد لا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ﷻ ، فكل ذرة في الكون وكل قطرة وكل ورقة وكل شيء يعلمه اللَّه -تبارك وتعالى- ، لا يخفى عليه منه خافية ؛ قال اللَّه ﷻ : ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام ٥٩]، علمها اللَّه ﷻ وسجَّلها في لوحه المحفوظ ، وسجَّل الأعمال في الصحف التي تكتبها الملائكة على العباد من خير أو شر .

واللَّهِ ما سجَّل في الكتاب هذا لأنه ينسى -تعالى اللَّه عن ذلك- ، وإنما هو يعلمها قبل أن تكتب وبعد أن تكتب ، وفي كل لحظة من اللحظات لا يغيب عنه شيء ﷻ في السماء ولا في الأرض ؛ هذه الجبال ، هذه الرمال ، هذه القطرات ، هذه البحار بأمواجها وقطراتها وما فيها من حيوانات وما فيها من مخلوقات ، فاللَّه يعلمها بكلياتها وجزئياتها صغيرها وكبيرها ، أحاط بكل شيء علما ﷻ .

هذه العقيدة يلقنها لقمان لابنه ﴿يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ﴾ صخرة صماء يعني قوية متينة لا ينفذ أحد إلى ما فيها ، اللَّه يعلمها ويخرج هذا المثقال حبة من هذه الصخرة ؛ يخرجها ويحاسب عليها فاعلها إن كانت سيئة أو خطيئة ، وإن كانت حسنة لا تضيع عند اللَّه -تبارك وتعالى- كما قال ﷻ : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ

ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾ [النساء ٤٠].

﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ﴾ أَدَقّ الأشياء لا وزن لها والله ﷻ يعلم وزنها ومقدارها وأين كانت في السماوات أو في أعماق البحار أو في صخرة من الصخرات، بعضهم يقول الصخرة التي تحت الأرضين، لكن الظاهر أعم؛ في أي صخرة من الصخرات، هذه مبالغة في بيان نفوذ علم الله وقدرته ﷻ وأنه لا يعجزه شيء ولا يخفى عليه مثقال ذرة ﷻ.

هذه عقيدة عظيمة يجب أن يستحضرها المسلم في كل لحظة من لحظات حياته؛ يستحضر أن الله مطلع عليه ورقيبٌ عليه وعالمٌ به ﷻ وقادرٌ عليه وقادرٌ على كل شيء هذه عقيدة عظيمة يجب أن يلاحظها المسلم وأن يستحضرها دائمًا.

ولهذا؛ لقمان -أولًا- دعا ابنه إلى ترك الشرك ونهاه عنه، ومعنى هذا أنه يأمره بالتوحيد، وبيَّن له خطورة الشرك بالله فقال: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ ثم بيَّن له عظمة الله -تبارك وتعالى- لئلَّا يتخذ السفهاء معه أندادا، وهذه بعض صفات كماله ﷻ وإلا فللَّه الأسماء الحسنى ولا يحيط بها إلا هو كما أخبر عنه رسوله ﷺ: «**لا أُحْصِي ثناءً عليك أنتَ كمَا أثنيتَ على نفسكَ**»(١) وأخبر الرسول -عليه الصلاة والسلام- في مناجاته لربه أن للَّه أسماء أخرى قد يُعلمها من يشاء من عباده وقد يستأثر بها.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٤٨٦) من حديث عائشة رضي الله عنها برقم (٤٨٦).

«أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هو لك سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أو عَلَّمْتَهُ أَحَدًا من خَلْقِكَ أو أَنْزَلْتَهُ في كِتَابِكَ أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ في عِلْمِ الغَيْبِ عِنْدَكَ»(١) . -عليه الصلاة والسلام-؛ فهاتان الصفتان من صفات اللَّه؛ القدرة على كل شيء، والعلم المحيط بكل شيء، فيجب على المسلم أن لا يغفل عن هذين الوصفين؛ العلم المحيط والقدرة الشاملة ويستحضر بقية أسماء اللَّه وصفات كماله؛ فإنه كلما استحضر كمالات اللَّه بصفاته وأسمائه كلما ازداد له هيبة وحياءً وتعظيمًا وإجلالًا وخوفًا ورغبة ورهبة؛ كلما استحضر أسماء اللَّه الحسنى وصفاته العليا كلما وجدت هذه المعاني والآثار الطيبة في نفسه، وهذا توفيق من اللَّه؛ من أراد اللَّه توفيقه منحه هذه الذاكرة الطيبة والمشاعر الطيبة النبيلة ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف ٢٨] فنعوذ باللَّه من الغفلة والنسيان؛ الغفلة عن ذكر اللَّه، وذكر اللَّه ليس باللسان فقط، وإنما الغفلة عن استحضار عظمته وجلاله ﷻ وقدرته وعلمه واطلاعه وعدله ﷻ وإحسانه وكرمه.

بعد هذا التنبيه العظيم من لقمان لابنه والوعظ الأكيد بأن اللَّه قد أحاط بكل شيء علمًا ومعناه احذر أن تعصي اللَّه -تبارك وتعالى-، احذر أن تعصي اللَّه؛ فإن اللَّه ﷻ شهيد مطلع وقدير على كل شيء، يحصي عليك كل شيء، فإن لم يشأ أن يغفر لك فقد هَلَكْتَ، وإن كان

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١/ ٣٩٢، ٤٥٢] برقم (٣٧١٢) وابن حبان (٢٣٧٢- الموارد) من حديث عبد اللَّه بن مسعود، وصححه الألباني في الصحيحة رقم (١٩٩).

شركا فالهلاك محقق لا شك.

قال: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ ما قال: صلِّ، وإنما قال: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وتنبّهوا لمعنى الإقامة: يعني؛ أن تأتي بها على الوجه الأكمل الذي شرعه اللَّه ﷻ من الطهارة التي لا تقبل الصلاة إلا بها، فلابد من الطهارة من الحدثين الأصغر والأكبر «**لَا يقبل اللَّه صَلَاة بِغَيْرِ طُهُورٍ**»(١) فلابد من الطهور والطهارة من الحدث الأصغر والأكبر، ولابد من ستر العورة ولابد من استقبال القبلة، وهناك أركان لا بد منها؛ من التكبير إلى التسليم لابد من الإتيان بها، تفتتح صلاتك بتكبير اللَّه وتعظيمه ﷻ فتقول: «اللَّه أكبر» ثم تقرأ الفاتحة -ولابد منها- «**لا صَلاةَ لِمَنْ لم يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ**»(٢) ثم تركع حتى تطمئن راكعًا، وإذا لم تأت بالطمأنينة فصلاتك غير صحيحة، فلابد من الطمأنينة، ثم ترفع حتى تطمئن قائما وحتى يعود كل فقار إلى مكانه، لا تستعجل، فلابد من الطمأنينة، ثم تهوي إلى السجود بعد هذه الطمأنينة وتأتي بالسجدة الأولى حتى تطمئن فيها ساجدًا، ثم ترفع رأسك وتجلس تذكر اللَّه في هذا الجلوس بين السجدتين، ثم تسجد حتى تطمئن ساجدا، ثم افعل مثل ذلك في صلاتك كلها كما علم رسول اللَّه ﷺ المسيء صلاته؛

فعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دخل المَسْجِدَ فَدَخَلَ رَجُلٌ

---

(١) متفق عليه: البخاري برقم (١٣٥) ومسلم برقم (٢٢٥) وأخرجه أبو عوانة في صحيحه (١/ ٢٣٥- ٢٣٦) واللفظ له، من حديث أبي هريرة.

(٢) رواه البخاري برقم (٧٥٦) ومسلم (٣٩٤) من حديث عبادة بن الصامت.

فَصَلَّى، فَسَلَّمَ على النبي ﷺ فَرَدَّ وقال: «**ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لم تُصَلِّ**» فَرَجَعَ يُصَلِّي كما صلى ثُمَّ جاء فَسَلَّمَ على النبي ﷺ فقال: «**ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لم تُصَلِّ**» ثَلَاثًا، فقال: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ما أُحْسِنُ غَيْرَهُ فَعَلِّمْنِي فقال: «**إذا قُمْتَ إلى الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ ثُمَّ اقْرَأْ ما تَيَسَّرَ مَعَكَ من الْقُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حتى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حتى تعتدل قَائِمًا ثُمَّ اسْجُدْ حتى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حتى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا وَافْعَلْ ذلك في صَلَاتِكَ كُلِّهَا**»[1].

وقوله: «**اقْرَأْ ما تَيَسَّرَ مَعَكَ من الْقُرْآنِ**» هذا مبيّن بقوله -عليه الصلاة والسلام-: «**لا صَلَاةَ لِمَنْ لم يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ**»، بعض المذاهب كالمذهب الحنفي يتعلق بقوله: «**اقْرَأْ ما تَيَسَّرَ مَعَكَ من الْقُرْآنِ**» قالوا: يقرأ المصلي أي آية ولو ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾ تكفي! هذا غلط؛ فإن الرسول ﷺ بيَّن المراد من قوله: «ثم اقْرَأْ ما تَيَسَّرَ مَعَكَ من الْقُرْآنِ» بقوله -عليه الصلاة والسلام-: «**لا صَلَاةَ لِمَنْ لم يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ**» وبقوله: «**من صلى صَلَاةً لم يَقْرَأْ فيها بِأُمِّ الْقُرْآنِ فَهِيَ خِدَاجٌ ثَلَاثًا غَيْرُ تَمَامٍ**»[2] خداج يعني: ميتة مثل جنين الناقة يخرج سقطًا ميتًا لا فائدة فيه.

وتصلي خاشعًا للّه مستحضرا عظمته ﷻ كما وصف اللّه المؤمنين بقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ إلى آخر الآية الكريمة، الشاهد منها: الخشوع في الصلاة؛ الخشوع هو روح

---

(١) رواه البخاري برقم (٧٥٧) ومسلم (٣٩٧) من حديث أبي هريرة.

(٢) رواه مسلم برقم (٣٩٥) من حديث أبي هريرة.

الصلاة، وصلاة لا خشوع فيها ولا استحضار فيها لعظمة اللَّه ﷻ ولا تدبر لما يقرأه المصلي فيها خلل شديد؛ يكفي أنه لا يصدق عليه هذا الوصف ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾ يُحرم من هذا الثناء ومن هذا المدح العظيم.

فاحرص على أن تخشع في صلاتك؛ أن تنسى الدنيا؛ تنسى المال والعيال وتنسى كل شيء ولا يبقى في ذاكرتك إلا استحضار عظمة اللَّه ﷻ، وتدبر ما تتلوه من الآيات التي تزيدك إيمانًا.

ثم بعد ذلك تقرأ التشهد وتسلِّم وفي الحديث: «**تحريمها التكبير وتحليلها التسليم**»[1] فلا تخرج من هذه الصلاة بشيء إلا بالتسليم «السلام عليكم ورحمة اللَّه السلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته»، تُسلم على نفسك وعلى الملائكة وعلى كل عبد صالح في السماء والأرض؛ هذا السلام يبلغ كل عباد اللَّه «السلام عليكم ورحمة اللَّه» يتناول الملائكة ومؤمني الجن ومؤمني البشر كل صالح في السماء والأرض يتناوله هذا الدعاء، فكما يدعو الواحد لنفسه يدعو لإخوانه ويدعو للملائكة أيضا، هذا الدعاء لهم، والملائكة يدعون لنا فنكافئهم.

فتستحضر أن هذا السلام على كل عبد صالح تكسب أجرا عظيما، وإنما الأعمال بالنيات، وقد يسلم الإنسان وهو نَاسٍ ما يدري على من

---

(١) قطعة من حديث علي رضي الله عنه أخرجه أحمد (١/ ١٢٣، ١٢٩) وأبو داود (٦١٨) والترمذي (٣) وابن ماجة (٢٧٥) وقال الترمذي هذا الحديث أصح شيء في هذا الباب وأحسن.

يُسلم ويظنُّ أن السلام مجرد حكاية!

لابد أن تقصد هذا الأمر العظيم الذي نبهنا عليه رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام-.

فهذا هو معنى إقامة الصلاة، وتصلي كما كان رسول اللَّه ﷺ يصلي، لا تصلي كما تريد، ولا على أي مذهب كما تريد! وإنما كما كان رسول اللَّه ﷺ يصلي؛ اسأل وادرس واعرف كيف كان رسول اللَّه ﷺ يصلي وحاول أن تصلي كصلاته كأنما هو أمامك الآن قائم ويقرأ ويركع ويسجد إلى آخره كما رأيته يصلي، وقد حفظها لنا الصحابة بكل دقة، ونقلوا كل حركة في صلاته -عليه الصلاة والسلام-، فنحاول أن نعرفها فنصلي كما كان رسول اللَّه يصلي فإنه خير المقيمين لهذه الصلاة وخير القائمين بها -عليه الصلاة والسلام- فنتأسَّى به كما حثنا ربنا -تبارك وتعالى-: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب ٢١].

ثم قال لقمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد ذلك: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾.

يعني أن هذه من الأمور الواجبة المتحتمة؛ هذا منهج أصيل في دعوات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ إقام الصلاة وإيتاء الزكاة -وهي لم تُذكر هنا- والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى، وهذه أمور محتّمة يعني من واجبات الأمور ومعزوماتها التي حتمها اللَّه على عباده، فلابد من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لابد من إقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،

ولابد من الصبر؛

الصبر واجب على ما ينالك، يصبر المؤمن ويحتسب، يأمر بالمعروف، يأمر بالتوحيد، ينهى عن الشرك، يأمر بالصلاة، يأمر بالزكاة، يأمر ببر الوالدين، يأمر بذكر اللَّه، يأمر بالطاعات، حتى يأمر بالمستحبات فإنها من المعروف؛ الأمور المستحبة تُعلِّم الناس إياها وترغِّبهم فيها وتدعوهم إليها، وتبين لهم الآثار السيئة على التهاون فيها.

النهي عن المنكر؛ تنهى عن الشرك، تنهى عن المعاصي، عن الكبائر، عن الصغائر، عن أنواع الفسوق والمعاصي كبيرها وصغيرها، هذا هو المنكر.

المنكرات أول ما يدخل فيها الشرك، ويدخل فيها البدع، ويدخل فيها المعاصي كبائرها وصغائرها؛ فإن المنكر ضد المعروف.

المعروف: ما يعرفه الشرع ويدعو إليه، والمنكر ما ينكره الشرع ويستحقره ويحذر منه وينهى عنه؛ فتأمر بكل معروف بدءًا من التوحيد إلى آخر حسنة من الحسنات إلى الأمر بإماطة الأذى عن الطريق؛ فإن «**الإيمان بضع وسبعون شعبة أو بضع وستون شعبة أعلاها شهادة أن لا إله إلا اللَّه وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**»(١) فأنت تأمر بهذا المعروف بدءًا من لا إله إلا اللَّه مُرورًا بالصلاة، بالزكاة، بالصوم، بالحج، بِبِرّ الوالدين، بالأخلاق الطيبة إلى آخره إلى آخر شيء وأدنى مراتب الإيمان: إماطة الأذى من الطريق؛ هذه كلها من الإيمان ومن المعروف الذي يجب أن يقوم به المسلمون.

---

(١) رواه البخاري برقم (٨)ومسلم برقم (٣٥) واللفظ له.

والمنكر: الشرك والبدع والكبائر والصغائر والمعاصي والأخلاق المنحرفة؛ كل ما ينكره الشرع والعقل؛ العقل السليم الذي يوافق الشرع كل ذلك منكر والتقاليد السيئة واتباع الأعداء والانقياد لهم والتشبه بهم وإلى آخره.

انظر! عندنا كثير من الشباب يكشفون رؤوسهم! من أين جاءتهم هذه العادة؟ من الغرب، فيجب أن نخالفهم ولا نتشبه بهم؛ لأن «**مَن تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فهو مِنهم**»[1].

كان كشف الرؤوس من خرم المروءة عند المسلمين؛ يعني الذي يمشي في السوق كاشفا رأسه عندهم مخروم المروءة ولا يقبلون شهادته، فتخلصوا من تقليد الغرب ومن تقاليده السيئة -بارك اللّه فيكم- لا تقلدوا أعداء اللّه، عندنا معروف وعندنا أخلاق وعندنا عادات عالية رفيعة، وهم عندهم عادات ساقطة؛ يأكلون لحم الخنزير ويستبيحون المحرمات وهبوط أخلاقي لا نظير له ودياثة و... و... إلى آخره، فكيف نتشبه بهم وهم أسقط خلق اللّه وأحطّهم؟! لا نتشبه بهم أبدا -بارك اللّه فيكم- هذا من الأخلاق التي سنتكلم عنها.

ثم قال: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾

الصعر: هو الميل؛ لا تتكبر على الناس؛ عندما يُكَلِّمُك أحد تُدير خدّك هكذا؛ هذا من الكبر يُكلِّمك أحد فتعرض عنه وتلتفت هكذا وأنت شامخ؛ لا هشاشة ولا انبساط؛ يعني مستكبر ومتعالٍ!

---

(١) رواه أبوداد في سننه برقم (٤٠٣١) من حديث عبد اللّه بن عمر رضي الله عنهما، وهو صحيح.

فهذا نهي عن الكبر، ومن آثاره أن يلوي عنقه هكذا؛ يصعر خده للناس يعني يلويه هكذا. من الصعر وهو مرض يصيب الإبل فتلتوي أعناقها.

فهذا زجر عن الكبر، فعليك بالتواضع؛ التواضع للّه رب العالمين، والتواضع لعباد اللّه المؤمنين، تعامل مع الناس بالأخلاق الطيبة، والكبر مذموم جدا ويدفع كثيرًا من الناس إلى الكفر باللّه! يستكبر فلا يستمع للرسل ولا يسمع لآيات اللّه ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [لقمان ٧].

فالكبر من أكبر الدوافع إلى الكفر باللّه ورفض ما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام و «**الكِبْرُ بطر الحق وغَمْطُ الناس**»(١) وردّ الحق؛ يعني سواء رد الحق بما في ذلك التوحيد أو أي حق من الحقوق يأتيك فلا تخضع له وترفضه وتحتقر من يأتيك به؛ تغمط الذي يأتيك به وترد الحق الذي عنده.

ولا يجوز الكبر بأي حال من الأحوال؛ فإنّه خلق ذميم ويبغضه اللّه «**الكبرياء رِدائي والعظمة إزاري فَمن نازعني واحدًا منهما قَذفتُه في النار**»(٢) وفي رواية: «**الكبرياء ردائي فمن نازعني في ردائي قصمته**»(٣)

---

(١) رواه مسلم برقم (٩١) من حديث عبد اللّه بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) رواه احمد (٢/ ٤١٤، ٤٢٧، ٤٤٢) وأبو داود في سننه برقم (٤٠٩٠) وابن ماجة (٤١٧٤) من حديث أبي هريرة وهو صحيح.

(٣) أخرجه الحاكم (١/ ٦١) من حديث سمرة بن جندب، وليس فيه لفظة: «في»، وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي وصححه الألباني في الصحيحة (٥٤١).

يعني يهلكه ويقطع دابره، فلا تستكبر و «**لا يدخل الجنة مَنْ كان في قَلبه مِثقال ذَرَّة مِن كِبْر**»[١].

حارب الكبر من نفسك؛ خلق خبيث يدفع إلى الكفر وإلى احتقار الناس وإلى رد الحق. لهذا؛ هذا الحكيم وصى ابنه أن لا يصعِّر خده للناس؛ أن لا يتكبر على الناس؛ يكلمك أحد وأنت شامخ معرض عنه، تواضع؛ أنت إنسان مسكين، ضعيف، خُلِقت من تراب، خُلِقت من منِّيٍ قذر وتتغوط وتزور الحمام مرات كل يوم، كيف تتكبر؟!

كيف تتكبر على الناس وأنت هذا حالك، من أنت؟!

ثم لو تصيبك شوكة تبكي منها كيف تتكبر على الناس؟!

فيجب على الإنسان أن يهين نفسه إذا تكبرت وشمخت ويذكِّرها بحقارتها ودناءتها، وأن من أحقر الناس المستكبرون -واللَّه أنا في نفسي- ما أحتقر إلا المستكبرين والكذابين، واللَّه أرى أضعف الناس فأقول هذا أحسن مني، وأرى المتكبر مهما كان من أي طبقة واللَّه من أتفه الناس وأحقر الناس عندي؛ لا أحقر من المتكبر! ولا يتكبر إلا من دناءة وانحطاط خلقي ونفسي.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ لا تختل ولا تفخر، هذا من آثار الكبر؛ المشي المَرِح والبطر والأشر والاختيال، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ يفتخر على الناس بنسبه، بجاهه، بماله، بسلطانه، بعلمه، بأي شيء يختال على الناس

---

(١) رواه مسلم برقم (٩١). من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ويفتخر عليهم؟! اللَّه يبغض هذا الخلق؛ خلق بغيض، خلق دنيء، يبغض اللَّه أهله ويحتقرهم ويزدريهم ويعاقبهم أشد العقوبة على هذا الخلق؛ إذا ما أحبك اللَّه فما معناه؟! معناه أنك عدوٌّ للَّه إذا ما أحبك اللَّه، وأنت على كبر واختيال وافتخار وتطاول على الناس بأي شيء من الأشياء التي تفتخر بها ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء ٣٧].

من أنت؟! حتى لو بلغت الجبال طولًا لا يجوز لك أن تتكبر، وحتى إذا خرقت الأرض إلى الأرض السابعة لا يجوز لك أن تتكبر؛ لأنك مخلوق مسكين، ومن حق اللَّه عليك أن تتواضع، واللَّه فرض عليك التواضع وحرم عليك الكبر؛ لأن الإسلام يحارب الأخلاق الرذيلة أشد الحرب؛ كل الأخلاق الرذيلة يحاربها الإسلام؛ الفحش والكذب والخيانة والغش والكبر؛ كل الأخلاق هذه يحاربها الإسلام حربا شديدة، فيجب أن ننبذها وأن نربّي الناس على ضدها من الأخلاق الطيبة التي يحبها اللَّه -تبارك وتعالى- ويرضاها ويحب أن نتخلق بها، وحسن الخلق من أثقل الأعمال في الميزان يوم القيامة، وأكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا، والرسول ﷺ بعث متمما بمكارم الأخلاق؛ الأخلاق موجودة عند الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-، منها الحياء ومما أثر عنهم ما قاله الرسول ﷺ **«إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت»**(١).

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٤٨٤) من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه.

الحياء خلق كبير -يا إخوة- الحياء خلق عظيم وشعبة من شعب الإيمان، وصاحب الحياء يحجزه الحياء من أن يرتكب معصية اللَّه؛ يحجزه الحياء من أن يقع في الأخلاق الدنيئة؛ الحياء خلق نبيل وخلق عظيم لابد أن يتخلق به الإنسان؛ فإنه من أعظم الروادع للإنسان أن يرتكب معصية أو يقع في خلق دنيء، لهذا قال الأنبياء كما ذكر النبي ﷺ: «**إنَّ مِما أَدركَ الناس مِن كلام النبوة الأولى إذا لم تَستحِ فاصنع ما شِئتَ**»، الذي يقع في الشرك لا يستحي من اللَّه، المبتدع لا يستحي من اللَّه ولا يحترم هذه الشريعة التي شرعها الرسول -عليه الصلاة والسلام-، والفاسق عنده خلق دنيء وفيه عدم الحياء من اللَّه.

فالحياء لا بد منه -يا إخوان- ولابد من نبذ الأخلاق الرديئة، تعلموا هذه الأشياء وطبقوها في حياتكم -بارك اللَّه فيكم- وأذكر حديث وفد عبد القيس:

جاء وفد عبد القيس إلى النبي ﷺ ونزلوا قريبًا من البقيع ووضعوا رواحلهم هناك ومشوا فورا إلى الرسول -عليه الصلاة والسلام- وبقي الأشج؛ تأخر ولبس أحسن ثيابه وجاء يمشي في سكينة وسلم على النبي -عليه الصلاة والسلام-، قال له: «**إِنَّ فِيكَ خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّه: الحِلْمُ وَالأَنَاةُ**» يقابل الحلم والأناة: الطيش والسفاهة فحذار حذار مما ينافي هذين الخلقين، فقال: يا رسول اللَّه: أخلقان تخلقت بهما؟ أم خلقان جُبِلت عليهما؟ فقال: «**بل خُلقان جُبِلْتَ عليهما**» فقال: الحمد للَّه الذي جبلني على خلقين يحبهما اللَّه تعالى[1].

---

(١) رواه أبو داود برقم (٥٢٢٥) وغيره وأصله في صحيح مسلم برقم (١٧).

اللَّه يُحب الحلم والأناة ويبغض العجلة والطيش وما ينافي هذين الخلقين فاحرصوا على التخلق بهذين الخلقين الذين يحبهما اللَّه .

احفظوا هذا الحديث «**إِنَّ فِيكَ خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّه : الْحِلْمُ وَالأَنَاةُ**» والإنسان إذا كان يفقد مثل هذه الأمور العظيمة يربي نفسه عليها ، «**من يَسْتَعِفَّ يُعِفَّهُ اللَّه وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّه وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّه وَلَنْ تُعْطَوْا عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ من الصَّبْرِ**»[1] ربِّ نفسك على الصبر وعلى الحلم وعلى الحكمة وعلى الأخلاق العالية .

بجهادك لنفسك تتحول هذه إلى ملكات إن شاء اللَّه والحديث يشير إلى هذا «أخلقين تخلقت بهما» يعني قد ينشأ الحلم والأناة عن التخلق وتربية النفس على الأخلاق الكريمة ، فالنفس قابلة للتربية على الخير وعلى الشر ، إن ربيتها على الشر نمت عليه وألفته وصار من طباعها - والعياذ باللَّه- وإن ربيتها على الأخلاق الكريمة تطبعت بها وصارت جزءً من حياتها وصارت ملكة لصاحبها .

فاحفظوا هذه الوصايا : التوحيد ومحاربة الشرك وإقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والأخلاق الفاضلة العالية ؛ محاربة الكبر والفخر والخيلاء وما شاكل ذلك ، وتعلموا الحلم والأناة وكل هذه الأخلاق ، ادرسوها من كتاب اللَّه ومن سنة رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام- فإن هذه الأخلاق جانب مهم من جوانب الإسلام

(١) قطعة من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، رواه البخاري برقم (٦٤٧٠) ومسلم برقم (١٠٥٣) واللفظ للبخاري .

ومن صميم الدعوة السلفية، بها تنتشر دعوتكم ويرفع اللَّه مكانتكم عند الناس، وبخلافها توضع هذه الدعوة وتشوه أمام الناس.

فأحسنوا الدعوة إلى اللَّه -تبارك وتعالى- ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ [النحل ١٢٥] لا تجادل حتى الكافرين إلا بالأخلاق الطيبة وبالتي هي أحسن؛ لا سب، ولا شتم، لا احتقار، ولا ازدراء، ولا طعن، ولا صياح، ولا صخب، ولا شيء.

ثم قال ﷻ: ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾.

﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ﴾ أي لا تسرع، ﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ﴾ يعني لا ترفع صوتك إلا بقدر الحاجة.

وقال له: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ إذا رفعت صوتك بغير حاجة تدعو إلى رفع الصوت وبمقدار ومقياس دقيق في رفع الصوت فأنت تشبه الحمار، وأخذ العلماء من هذا أنه لا يجوز رفع الصوت؛ لأن اللَّه شبهك بأخس الحيوانات، و«**ليس لنا مثل السوء**»[1] فلا ترفع صوتك إلا بقدر الحاجة؛ إذا كان عندك واحد أو اثنين وأنت تصيح وترفع صوتك ماذا تريد؟! هذا يشبه صوت الحمير؛ فالصوت يكون على قدر الحاجة.

والمشي كذلك؛ تمشي معتدلا متوسطا، يعني القصد الوسط؛

---

(١) قطعة من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، رواه البخاري برقم (٦٩٧٥).

لا تمشي مشية المتماوتين ولا تسرع سرعة الطائشين، توسط في المشي واعتدل وهي مشية عباد اللَّه المؤمنين الذين قال اللَّه فيهم: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ إذا خاطبهم الناس بالسفاهات يقولون كلامًا محترمًا الذي فيه السلام وفيه المسالمة وفيه دفع السيئة بالتي هي أحسن.

نسأل اللَّه -تبارك وتعالى- أن يرزقنا وإياكم العلم النافع والعمل الصالح والأخلاق الطيبة الجميلة التي يحبها اللَّه -تبارك وتعالى-، وأرجو -يا إخوة- أن نعي هذه الدروس الطيبة؛ ما الفائدة من حضور هذه الدروس يوميًّا ثم لا نعمل، ونعطي صورة سيئة عن دعوتنا ما الفائدة؟!

فأسأل اللَّه أن يجعلنا وإيَّاكم من أهل العلم والعمل والأخلاق النبيلة إن ربنا سميع الدعاء وصلى اللَّه على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

* * *

اعتنى بهذه المادة وعرضها على الشيخ -حفظه اللَّه-
أخوكم فواز الجزائري
غفر اللَّه له ولوالديه ولسائر المسلمين.

* * *

وقفات مع سورة الزمر

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شرور أَنْفُسِنَا ومِنْ سَيئاتِ أعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعدُ:

فإنّ أصدق الحديث كلام اللّه، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرّ

الأمور محدثاتها، وكلّ محدثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النار.

قال اللَّه تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٦ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٧ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ٦٨ وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٦٩ وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَا يَفۡعَلُونَ ٧٠ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧١ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ٧٢ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ٧٣ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ٧٤ وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡۖ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الزمر: ٦٥-٧٤].

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول اللَّه وعلى آله وصحبه ومن اتّبع هداه.

من فهم هذه الآيات التي لم تدع مقالًا لقائل كفته عما سواها! وماذا

سيكون كلامي حول هذه الآيات؟! إنه كلام الله!

في هذه الآيات تحذير اللَّه -تبارك وتعالى- من الشرك؛ فإنه أعظم الذنوب وأعظم الظلم، اللَّه يتهدد عباده بأنهم إذا وقعوا في الشرك ليحبطن أعمالهم؛ يقولها للأنبياء! إذا كان هذا الوعيد للأنبياء فكيف بالناس الآخرين؟!

يقول ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ يا محمد! ﴿وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾ من الأنبياء، قيل لكل واحد منهم: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾، هنا تظهر عظمة اللَّه -تبارك وتعالى- وجلاله، ويتضاءل أمامه كل شيء ﷻ؛ الأنبياءُ- على منزلتهم الرفيعة- يهددهم اللَّه، كما هدد الملائكة[1]، ويهدِّد كل من يعصيه ﷻ، الجبار، القاهر، كلُّ شيء يخضع لجلاله وعظمته، ويذلُّ أمامه ﷻ، فلا يتعاظمه شيءٌ ﷻ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾، الشرك يبطل العمل ولو جئت بأعمال مثل الجبال وأشركت باللَّه ﷻ لذهبت هباءً، كل هذه الأعمال تذهب كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف؛ قال -تبارك وتعالى-: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾[2]، فلنحذر الشرك كبيره وصغيره، دقيقه وجليله، لنخلص الدين لله رب العالمين،

---

(١) قال اللَّه تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٩].

(٢) [الفرقان - آية ٢٣].

ونعرف التوحيد بتفاصيله، والشرك بتفاصيله، نعرف الشرك تفاصيله حتى لا نقع في شيء منه، والتوحيد نعرف تفاصيله حتى لا نقصِّر في شيء منه، قال تعالى: ﴿لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾، ويا لها من خسارة! لأن عاقبة الشرك الخلود في النار! قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾(١)، وقال سبحانه حاكيًا عن لقمان: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾(٢)، والعياذ بالله! ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ لا يتصوره العقل ولا تدركه الخواطر، عظيم! عظيم في غاية العظمة! والذي يستحق صاحبه الخلود في النار أبد الآبدين، فنعوذ باللَّه من الشرك صغيره وكبيره، ودقيقه وجليله.

﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ أخلص الدين لله وحده ﷻ، ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ﴾ هذا حصر العبادة لله وحده، لأن تقديم المعمول يقتضي الحصر، مثل قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، المعنى: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ﴾ وحده ﷻ، ولا تجعل له ندًّا؛ لا من الملائكة، ولا من الجن، ولا من الإنس، ولا من الأشجار، بل أخلص له العبادة وحده، واعرف هذه العبادة، اعرف هذه العبادة حتى تعبد اللَّه على علم، لا تعبده على جهل وضلال، ادرس هذه العبادة من كتاب اللَّه ومن سنة رسوله -عليه الصلاة والسلام-، افهمها حق الفهم، وتقرَّب بها إلى

(١) [النساء - الآية ٤٧].
(٢) [لقمان - الآية ١٣].

الله؛ لأنه ما خلقك إلا من أجلها، كلَّفك بعبادة تقوم بها، ما خلقك من أجل الدنيا فقط! خلق الدنيا للامتحان والابتلاء! يراك أتعبده وتشكره أو لا! كما قال -تبارك وتعالى-: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾(١)، أحسن الناس عملًا: هو المخلص الموحد، هذا هو أحسن الناس عملًا، الممتثل لأوامر اللَّه والمنتهي عن نواهيه.

﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾، قد ذكرنا أمس تعريف الشكر، فالشكر التزام طاعة اللَّه، والثناء عليه؛ حمده والاعتراف بفضله ومنّه، واعترافك له أنك لو أفنيت حياتك في عبادته ما جازيت أدنى نعمة من نعمه ﷻ، فيجب أن تلهج بقلبك ولسانك وجوارحك بشكر اللَّه -تبارك وتعالى-.

ثم قال في الكفار الذين يعبدون غير اللَّه ويتخذون معه أندادًا -وللعصاة أيضًا-: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ اللَّه العظيم الجليل لو قدروه حقَّ قدره ما عبدوا غير اللَّه أبدًا، ولم يتخذوا معه أندادًا، بل لَمَا عصوه إطلاقًا، فما يعبد غير اللَّه أو يعصي أوامره إلا إنسان ما عظَّم اللَّه، ولا قدره حقَّ تقديره، وما عظَّمه حقَّ تعظيمه، وما أجلَّه حقَّ إجلاله ﷻ، ثم برهن على عظمته؛ فقال: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ تصور! هذا الذي يقبض الأرض والسموات بيمينه كيف يُعصى! الذي حاله بلغ من العظمة والقدرة والربوبية والألوهية والجلال أن السموات والأرض كحبَّة رمل

(١) [الملك - الآية ٢].

في يد أحدنا[١] -وتعالى اللَّه عن الأمثال-، الكون كله في قبضته! كل شيء يتضاءل أمام عظمته وجلاله، فكيف يُعصى من هذا شأنه؟! خلقك لعبادته، وخلق هذا الكون، وهذه قدرته، وهذه عظمته، وهذا جلاله؛ كيف تعصيه؟! كيف تعصيه وتجد الإنسان يخاف من إنسان مثله؛ يخاف من جندي ما يستطيع أن يخالف أوامره، جندي مثلك مخلوق ويبول ويتغوط ويمرض إلى آخره وتخاف منه، ولا تخاف اللَّه ﷻ؛ هذا العظيم الذي خلق هذا الكون ودبَّره، والسموات مطويات بيمينه، والأرض في قبضته كيف تعصيه سبحانه وتعالى؟!

﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ نزَّه نفسه! كيف تتخذون معه أندادًا من الأصنام المنحوتة التي تصنعونها بأيديكم، ومن الأحجار، ومن الحيوانات؛ فيه ناس يعبدون القرود والخنازير إلى غير ذلك! ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾[٢]، ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[٣]، إلى اللَّه المشتكى! ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ أي: تنزَّه ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، شرك الربوبية وشرك الألوهية، هناك أناس يقولون: نحن مسلمون ويدَّعون في مخلوقين ضعفاء مثلهم أنهم يعلمون الغيب، ويتصرَّفون في الكون،

---

(١) أخرج عبد اللَّه بن أحمد في السنة (٢/ ٤٧٦، برقم ١٠٩٠)، وابن جرير في تفسيره (٢١/ ٣٢٤)، وذكره ابن بطة في الإبانة الكبرى (٣/ ٣٠٨، برقم ٢٣٧- الأثيوبي): عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «ما السموات السبع، والأرضون السبع في يد اللَّه إلا كخردلة في يد أحدكم».

(٢) [عبس - الآية ١٧].

(٣) [إبراهيم - الآية ٣٤].

ويكشفون الكروب، هؤلاء من المنتمين للإسلام! فكيف بالنصارى واليهود والوثنيين؟! ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾! ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾!

قال -تبارك وتعالى- مخبرًا بمآل هذا الكون ونهايته: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ مخلوق من مخلوقات اللَّه يبلغ من القوّة أن ينفخ نفخة واحدة، فيهلك كل من في الكون، إلا من شاء اللَّه كلهم! ما أضعف الإنسان! ما أضعف المخلوقات أمام عظمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ! وهذا المخلوق إسرافيل عَلَيْهِ السَّلَامُ ينفخ في آلة الصور؛ فإذا بهم قد هلكوا، هذه نفخة الصعق، وقبلها نفخة الفزع، وتأتي بعدها نفخة البعث، نفخات ثلاث: نفخة الفزع في قوله تعالى: ﴿فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾[1]، والصاعقة كما في قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ﴾، يموتون كلهم الملائكةُ والإنسُ والجنُّ ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ﴾ قالوا: المستثنى هم الشهداء[2]؛ لأنهم أحياء عند ربهم، لأنهم ضحُّوا بأرواحهم في سبيل اللَّه، فيكافئهم اللَّه بهذه الحياة. وبعدها نفخة البعث قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾، يهلك الناس

---

(١) [النمل: ٨٧].

(٢) روي هذا القول عن ابن عباس وأبي هريرة وسعيد بن جبير وعطاء - رحمهم الله-، انظر: تفسير ابن جرير (٢١/ ٣٣١)، وتفسير البغوي (٦/ ١٨١-١٨٢)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (١٦/ ٣٣)، والروح لابن القيم (ص٣٥)، والدر المنثور للسيوطي (٧/ ٢٥٠).

من الصعقة إلا من شاء اللَّه، ثم ينزل اللَّه مطرًا كالطَّلِّ أربعين سنة أو كذا، ثم لما تتكامل الأجساد يأمر اللَّه بالنفخ في الصور(١)، فتعود الأرواح إلى أجسادها بنفخة واحدة من مخلوق من مخلوقات اللَّه ﷻ ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ هذا برهان على عظمة اللَّه وقدرته ﷻ.

فإذا عادت الأرواح إلى أجسادها دنا الفصل في القضاء ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ تتجلَّى الأرض بنوره وجلاله ﷻ، ويقضي بين العباد يأتي بالنبيين والشهداء، يأتي بالأنبياء، فيشهدون على أممهم، ويأتي بالشهداء من الملائكة يشهدون على الناس بما قدَّموا في هذه الحياة من أعمال صالحة أو طالحة، أعمال خير وأعمال شرٍّ -لا يظلمون مثقال

---

(١) روى البخاري برقم (٤٨١٨)، ومسلم برقم (٢٩٥٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ». قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ! أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ. قَالُوا: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ. قَالُوا: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَبَيْتُ، «ثُمَّ يُنْزِلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً، فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ»، قَالَ: «وَلَيْسَ مِنَ الإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».
وجاء في رواية عند ابن أبي داود في البعث (ص٤٣، برقم ٤٢) وابن منده في الإيمان (٣/ ٧٧٣ برقم ٨١١، ٨١٢)، وابن مردويه في تفسيره- كما في الفتح لابن حجر (٨/ ٥٥٢ و١١/ ٣٧٠)، والدر المنثور للسيوطي (٧/ ٢٥٢)- تعيين الأربعين بالسنين. إلا أن الحافظ حكم عليها في موضع بالشذوذ وفي آخر بالضعف.
وروى مسلم برقم (٢٩٤٠) عن عبد اللَّه بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «ثُمَّ يُنْفَخُ في الصُّورِ، فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَى لِيتًا وَرَفَعَ لِيتًا، وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ فَيُصْعَقُ وَيُصْعَقُ النَّاسُ حولهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ -أو قالَ: يُنْزِلُ اللهُ- مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ أو الظِّلُّ، فَتَنْبُتُ مِنهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ».

ذرة-، وتدنو الشمس من الناس وهم في الموقف حتى ما يكون بينها وبينهم إلا مقدار ميل، قال الراوي: «لا أدري ميل المكحلة يعني الصغير أو ميل المسافة»(١) وينزل بالناس من الأهوال والكروب ما لا يعلمه إلا الله -تبارك وتعالى-، ويأتي الله لفصل القضاء فيحاسب عباده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وتنصب الموازين؛ ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾(٢)، وبعد ذلك يساق الكفار إلى النار ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ كل شكل مع شكله اليهودي مع اليهودي، والنصراني مع النصراني، إلى آخر الملل والنحل، وفي الحديث الصحيح يقول النبيُّ ﷺ: «**إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ لِيَتَّبِعْ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ مِنَ الأَصْنَامِ وَالأَنْصَابِ إِلَّا يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ وَغُبَّرِ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَيُدْعَى الْيَهُودُ فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللَّهِ. فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ! مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ، فَمَاذَا تَبْغُونَ؟ قَالُوا: عَطِشْنَا يَا**

(١) روى مسلم في صحيحه برقم (٢٨٦٤) عن سليم بن عامر قال حدثني المقداد بن الأسود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ**». قَالَ سُلَيْمُ ابْنُ عَامِرٍ: فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِى مَا يَعْنِي بِالْمِيلِ، أَمَسَافَةَ الأَرْضِ، أَمِ الْمِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ الْعَيْنُ. قَالَ: «**فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا**». قَالَ: وَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ.

(٢) [الزلزلة - الآية ٧-٨].

رَبَّنَا فَاسْقِنَا! فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ: أَلَا تَرِدُونَ! فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ. ثُمَّ يُدْعَى النَّصَارَى فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ. فَيُقَالُ لَهُمْ: كَذَبْتُمْ! مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ. فَيُقَالُ لَهُمْ: مَاذَا تَبْغُونَ؟ فَيَقُولُونَ: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا! فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ: أَلَا تَرِدُونَ! فَيُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ»[(١)]، ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾، ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾[(٢)] تسوقهم الملائكة كما تساق الحمير، في غاية الذل، في غاية الهوان إلى النار، والعياذ بالله! ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ تكون مغلقة، فإذا جاءوها فتحت أبوابها فجأة، فيلقون من الحرِّ والهول ما لا يتصورونه، وكيف تستقبلهم الملائكة؟ تباشرهم بالإهانات والتوبيخ والتبكيت ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ﴾ الموكَّلين بالعذاب الذين وصفهم اللَّه بأنهم ﴿غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[(٣)]، يقول الخزنة لهم: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ اعترفوا! أما في الحياة الدنيا فقد كذَّبوا الرسل وسخروا بهم واستهزءوا بهم وهم يتلون عليهم آيات اللَّه البينات، ويظهرون المعجزات الباهرات، الدالة على

---

(١) مقطع من حديث الشفاعة؛ رواه البخاري في صحيحه برقم (٤٥٨١)، ومسلم في صحيحه برقم (١٨٣)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) [الطور: ١٣].

(٣) [التحريم: ٦].

عظمة اللَّه، وعلى ألوهيته، وعلى صدق أنبيائه ورسله، لكنهم استهزءوا وسخروا منهم، وكذبوهم، وقتلوا من قدروا على قتله، وما تركوا سبيلًا للصدِّ عن دين اللَّه إلا سعوا فيه معاجزين، أولئك تقرِّعهم خزنة جهنم: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ رَبِّكُمْ﴾ تبيِّن ألوهيته وتوحيده، وأنكم عباده يجب أن تعبدوه، ويجب أن تؤمنوا بتشريعاته، وتنقادوا لأوامره ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ ما جاءوكم يبيِّنون لكم أن من يعصي اللَّه، ويكذب رسله أنَّ مصيره النار، ويصفون لهم هذه النار، ويبينون لكم أهوالها، ويصفون لكم الجنة ويبينون لكم ما فيها من النعيم، وأن من وحَّد الله؛ فهذا جزاؤه، ومن أشرك به وعصاه؛ فهذا جزاؤه، ألم يبيِّنُوا لكم حتى استحققتم هذا المصير المهلك؟ ﴿قَالُواْ بَلَىٰ﴾ الآن يعترفون ويندمون! ولا ينفع الندم! ما ينفعهم إيمانهم والاعتراف والتصديق الآن! ما ينفعهم، لأن المؤمن الحقَّ هو الذي يؤمن بالغيب، ويتّبع الرسل ويصدِّقهم في كل ما يقولون، أما أن يكذب الرسل حتى إذا شاهدوا ما كانوا يكفرون به، وتظهر لهم الحقائق كما هي؛ قال: آمنت! هذا لا يقبل منه، يومئذٍ ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾(١)، حتى في الدنيا، الذين كذبوا الرسل وجاءهم العذاب في الدنيا، فإذا شاهد العذاب قال: آمنت؛ أولئك لا ينفعهم إيمانهم؛ فات الأوان! لم يزل في تكذيب وجحود فعندما شاهد الحقائق أمامه صدَّق! أنت كنت تكذب الرسل المؤيدين بالآيات

---

(١) [الأنعام: ١٥٨].

والمعجزات والبراهين والآن تؤمن! لا ينفعك إيمانك!

﴿قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، هذه الجملة الأخيرة ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أظن أنهم هم الذين يقولونها، وقد تكون من قول الملائكة لهم، كلمة العذاب هي كلمة اللَّه عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[(١)]، اللَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ خلق الناس فريقين: فريق في النار في السعير، وفريق في الجنة؛ فمن أراد اللَّه له أن يكون شقيًّا ومن أهل النار عمل بأعمال أهل النار، وصدقت فيه كلمة اللَّه ووعدُه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ومن أراد له السعادة يسَّره لعمل أهل السعادة ودخول الجنة؛ ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾[(٢)] تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، اللهُ خلق العباد وقسمهم قسمين: أشقياء، وسعداء، فنسأل اللَّه بجدٍّ وإخلاص أن يجعلنا جميعًا من السعداء، وأن يُجنِّبنا طرق الضلالة والشقاء.

قال اللَّه عَزَّوَجَلَّ: ﴿قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾.

تقدَّم لكم بالأمس أن منشأ كل الضلالات الكبر والكذب- نسأل اللَّه العافية- ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ ما أقبح هذا المصير! هذا المتكبر هذا مصيره، إنه أذل خلق اللَّه وأحقرهم وأرذلهم مهما بلغ من المنزلة في الدنيا وبلغ من الملك؛ هذا مصيره ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾، لا أسوء ولا أبأس من هذا المصير المظلم المهلك السيئ؛ جهنم أبد

(١) [هود - الآية ١١٩].

(٢) [الأنبياء - الآية ٢٣].

الآبدين!! ﴿ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ﴾ أبد الآبدين ﴿فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ لا أسوء من هذا المثوى!

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ﴾ أفواجًا، الأنبياء مع الأنبياء، والصديقين مع الصديقين، الشهداء مع الشهداء، وهكذا كل شكل مع شكله، مكرَّمين معزَّزين على نجائب[1] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ وجدوها مفتوحة، ما قال: (فتحت أبوابها) كما قال في أبواب النار أي: لم تفتح فجأة، بل قال: ﴿وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ أي: والحال أنهم وجدوها مفتوحة لهم؛ تكريمًا لهم تنتظرهم، ﴿وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ﴾ ما فيه توبيخ، سلام، وإكرام، وتبجيل، وتبشير بالسلامة، ﴿طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾؛ لأنهم عملوا الطيبات في الحياة الدنيا من الأعمال الصالحة، كانت حياتهم طيبة بالتوحيد، والإيمان، والأعمال الصالحة، وحب اللَّه، والتوكل عليه، والشفقة على عباده، وصلة الأرحام، والبر، وسائر الأعمال التي شرعها اللَّه، فكانت حياتهم طيبة في الدنيا، فجزاؤهم أن يحيوا الحياة الطيبة في الآخرة، وأولئك كانت أعمالهم سيئة ﴿فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾.

﴿طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ اللَّه أكبر! ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي

---

(١) قال السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٣٨): «أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدًا﴾ قال: رُكبانًا». وذكر عن علي وأبي هريرة وأبي سعيد وابن جريج وسفيان الثوري وغيرهم نحوه. انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٢٥٤-٢٥٥)، والدر المنثور (٥/ ٥٣٨-٥٣٩).

صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ﴾ ، ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ﴾ بأنهم إذا آمنوا وعملوا الصالحات واتبعوا الرسل وقاموا بأوامره واجتنبوا نواهيه أن يدخلهم الجنة، يقولون هذا بعد أن رأوها وشاهدوها ودخلوها وتمتعوا بنعيمها ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُ﴾ ، فيكون أدناهم منزلة ينظر في ملكه مسيرة ألف سنة[1]، وآخر من يخرج من النار ويدخل الجنة له مثل الدنيا وعشر

---

(١) جاءت هذه الجملة في حديث ثوير بن أبي فاختة عن ابن عمر رضي الله عنهما عند عبد ابن حميد برقم (٨١٩)، وأحمد (٢/ ٦٤)، والترمذي برقم (٢٥٥٣ و٣٣٣٠)، وأبي يعلى برقم (٥٧١٢)، وعبد الله بن أحمد في السنة برقم (٤٦١) والطبري في التفسير (٢٤/ ٧٣)، وأبي الشيخ في العظمة برقم (٦٠٤)، والآجري في «التصديق بالنظر» برقم (٥٣ و٥٤)، والدارقطني في الرؤية برقم (١٨٥-١٨٨) وغيرهم. قال الترمذي: «حديث غريب»، وأشار إلى ضعفه الحافظ ابن حجر في الفتح (١٣/ ٤١٩)، وضعفه الألباني في الضعيفة (٤/ ٤٥٠-٤٥١، برقم ١٩٨٥).

وروى الدارقطني في الرؤية برقم (٤٧)، وأبو نعيم في صفة الجنة (٤٧٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ ذكر آخر من يخرج من النار ويدخل الجنة وفيه: «**فَيَدْخُلُ أَدْنَى قَصْرِهِ -وَذَكَرَ شَيْئًا- وَمَمْلَكَتُهُ مَسِيرَةُ أَلْفِ سَنَةٍ**».

وروى إسحاق بن راهويه في مسنده (٤٦٦٣-المطالب العالية)، وعنه محمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة (٢٨١)، ورواه الطبراني في الكبير برقم (٩٧٦٣)، والدارقطني في الرؤية (١٧٥) عن ابن مسعود موقوفًا؛ قال في أثر طويل وفيه: «**فيفتح له باب من الجنة، فيقول: يا رب! أدخلني هذا الباب. فيقول: عبدي لعلي إن أدخلتك تسألني غيره. قال: فيدخله، فبينما هو معجب بما هو فيه، إذ فتح باب آخر، فيستحقر في عينه الذي هو فيه. فيقول: يا رب! أدخلني هذا. فيقول: أولم تزعم أنك لا تسألني غيره؟ فيقول: وعزتك وجلالك لئن أدخلتنيه لا أسألك غيره. قال: فيدخله حتى يدخله أربعة أبواب، كلها يسألها، ثم يستقبله رجل مثل النور**، =

أمثالها(١)، مُلك اللَّه واسع ﷻ وكرمه واسع، وفضله واسع ﷻ، ما مقدار العمل الذي عمله الإنسان! لكن اللَّه كرمه واسع، وفضله واسع ﷻ، احترم وأكرم الأنبياء وأكرم الحق؛ يكرمك اللَّه ﷻ، احترم الأنبياء واحترم ما جاءوا به وعظِّم اللَّه حقَّ تعظيمه، وقدره حق قدره؛ ترَ جزاءً لا يخطر بالبال ولا يدور بالخيال؛ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾(٢)، كم فيها من الحور! كم فيها من القصور! كم فيها من الجنان! كم فيها من الأنهار: من خمر، من لبن، من عسل، ومن. . . ومن . . . ومن، والخدم طوَّافون ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾(٣)، واللباس من الحرير الفاخر ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾(٤) خمر لكن طهور، خمر الدنيا نجس قذر، أما ذاك فطهور، جزاءٌ عظيم لا يخطر ببال! ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ

= **فإذا رآه هوى يسجد له. فيقول: ما شأنك؟ فيقول: ألست بربي؟ فيقول: إنما أنا قهرمان، لك في الجنة ألف قهرمان، على ألف قصر بين كل قصرين مسيرة ألف سنة، يرى أقصاها كما يرى أدناها» الحديث. قال الحافظ ابن حجر** رَحِمَهُ اللَّهُ: «إسناد صحيح متصل، رجاله ثقات». وصححه البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة برقم (٧٦٨٤).

(١) كما ثبت في حديث عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه في الصحيحين؛ رواه البخاري برقم (٦٥٧١)، ومسلم برقم (١٨٦).

(٢) [السجدة - الآية ١٧].

(٣) [الإنسان - الآية ١٩].

(٤) [الإنسان - الآية ٢٠- ٢١].

أَعۡيُنٍ﴾. فاستعدُّوا -أيُّها الإخوة-، وأعدوا لهذا اليوم؛ ليكرمكم اللَّه ﷻ بهذا الجزاء العظيم؛ الذي وعدنا على ألسنة رسله، ونسأل اللَّه أن يوفِّقنا لدخول الجنة والعمل لها، ونقول: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾.

ثم قال اللَّه -تبارك وتعالى-: ﴿وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡۖ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، وقال اللَّه ﷻ: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾(١) هذا في الدنيا، وفي الآخرة يبقى الملائكة حافين بالعرش يسبحون بحمد ربهم، اللَّه العظيم الجليل سبحانه، له الدنيا وله الآخرة، سيد هذا الكون وخالقه ومالكه ومدبره، وكل من فيه خاضع لجلاله وعظمته: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا﴾(٢).

نسأل اللَّه -تبارك وتعالى- أن يوفِّقنا لتعظيم ربنا وإجلاله، والقيام بما نستطيع من حقوقه؛ لأننا لا نستطيع أن نقوم بشكر أدنى نعمة، فضلًا عن أن نقوم بشكر نعمه، ولكن عفوه أوسع، ورحمته وسعت كل شيء.

نسأل اللَّه أن يتغمدنا بواسع رحمته، وأن يُتحفنا بنعمه وفضائله، إن

(١) [الشورى - الآية ٥].
(٢) [مريم - الآية ٩٣- ٩٥].

ربنا لسميع الدعاء.

وصلى اللَّه على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

قمت بتفريغ هذه الكلمة ثم أرسلتها لشيخنا ربيع بن هادي المدخلي - حفظه اللَّه -

فتفضل الشيخ بمراجعتها ثم الإذن بنشرها

بتاريخ: الأحد ١٠/ ٢/ ١٤٢٩هـ

الموافق: ١٧/ ٢/ ٢٠٠٨م

فجزاه اللَّه خيرًا وبارك بعلمه وعمله

محبكم في اللَّه أبو عبد اللَّه السرتاوي

* * *

فهرس الموضوعات

* لمحة عن معاني سورة الفاتحة ٣
* شرح الوصايا العشر من سورة الأنعام ١٧
* صفات عباد الرحمن ٣٧
- المجلس الأوَّل ٣٧
- المجلس الثاني ٥٨
- المجلس الثالث ٧٢
* وصايا لقمان الحكيم لابنه ٨٧
* وقفات مع سورة الزمر ١١١
- فهرس الموضوعات ١٢٨

* * *